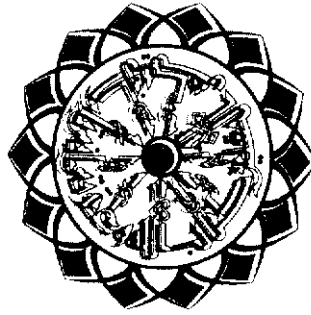


بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



# رسالة الثقلين

مجلّة إشتیاقیة جامعة

العدد التاسع والعشرون . السنة الثامنة . الحزم الحرام - ربيع الأول ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

المراسلات والاتصالات مع رئيس التحرير على العنوان التالي :

\* الجمهورية الإسلامية الإيرانية - قم . ص . ب . ( ٨٩٤ - ٣٧١٨٥ )

\* هواتف : ٧٤٠٣٩٤ ، ٣ ، ٧٤٠٧٧١ فاكس : ٧٣٥١٧٩

\* موقعنا على الانترنت :

<http://www.iran-itf.com/risalatuth-thaqalayn.html>

## رسالة الثقلين

### مقالة اسلامية بامتياز

• تعنى باحياء الدعارف  
الاسلامية من منبج  
الثقلين والدفاع عن  
حريم القرآن الكريم  
والسنة الشريفة للرسول  
الأمين ﷺ واهل بيته  
الطيبين الطاهرين ﷺ .

• تستقبل نتائج العلماء  
والمفكرين والكتاب  
الاسلاميين التي تصب  
في رسالة الثقلين  
لتكريس وحدة الامة  
الاسلامية وتثبيت  
شيوكتها في أرجاء  
العالم .

• الآراء الواردة فيما  
يُنشر لا تعتبر بالضرورة  
عن رأي المجمع أو المجلة .

• تسلسل الموضوعات  
يخضع لاعتبارات فنية .

• يُرجى ممن يرقد المجلة  
بنتاجاته الاحتفاظ  
بصورة منها، فإنها  
لاتعاد نشرت أم لم تنشر .

### مقتويات العدد

#### □ قائمة التمرير

##### • التطرف: الاسباب والعلاج

..... بقلم رئيس التحرير ٤

#### □ من احلى القيادة الاسلامية

##### • العبر المستفادة من عاشوراء

..... ولي أمر المسلمين آية الله العظمى السيد الخامنئي (دام ظله) ١٦

#### □ دراسات

##### • حدود الله

..... الشيخ محمد مهدي الآصفي ٤٠

##### • ولاية اهل البيت (ع)

قسم الدراسات الاسلامية في مؤسسة بعثة الامام الخامنئي للحج ٩٠

##### • نظام العبادات في مدرسة اهل البيت (ع) (٥)

..... السيد محمد باقر الحكيم ١٠٢

##### • تزكية النفس من منظور الثقلين (٧)

..... السيد كاظم الحائري ١٢٤

##### • ابو طالب الصحابي المفترى عليه (١)

..... عز الدين سليم (العراق) ١٥٠

#### □ من ذروة مدرسة اهل البيت (ع)

##### • العمل الحكومي ودوره في تحقيق مسؤوليات الدولة الاسلامية (١)

..... الشيخ محمد علي التسخيري ٦٥

#### □ استطلاء

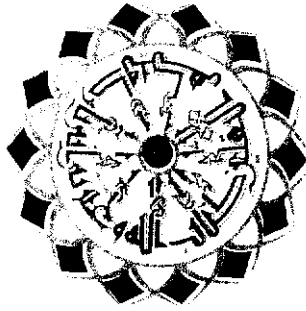
##### • الاسلام والمسلمون في افغانستان (٢)

..... اعداد: قسم الارشيف ١٧٢

#### □ تقرير

##### • تقرير وتوصيات الدورة الثانية عشرة للجنة تنسيق العمل الاسلامي

المشارك لمنظمة المؤتمر الاسلامي ... مكتب الامين العام للمجمع ١٨٨



## □ قانون وأدب

- قصيدة : ميلاد النور ..... السيد محمد جمال الهاشمي ٩٨
- قصيدة : هيهات ..... ابو فراس الحمداني ١٢٢
- قصيدة : مدارس آيات ..... دعبيل الخزاعي ١٤٤

## □ اهل البيت (ع) في روايات الصلوات

- روايات جابر بن عبد الله الانصاري (٢)

..... اعداد : صادق السوداني ٢٠٢

## □ من عمر حكم اهل البيت (ع)

- الوالدان والولد حقوق وواجبات (٢)

..... عبد القادر فرج الله (العراق) ٢٠٧

## □ من أبناء الصربي

### الجمهورية الاسلامية الايرانية :

- من سيرة ولي أمر المسلمين آية الله العظمى السيد الخامنئي (دام ظلّه) ٢٢٠
- العلاقات الاسلامية (العربية - الايرانية) ..... ٢٢٥

### فلسطين :

- عرفات تنازل عن كل شيء مقابل لا شيء ..... ٢٣٢

### العراق :

- اميركا وسياسة الاحتواء المزدوج للنظام والمعارضة ..... ٢٣٨

### كوسوفا :

- مسلمو كوسوفا بين مؤامرتين ..... ٢٤٢

### فرنسا :

- إصدار وثيقة مسيحية بأن الدين الاسلامي لا يناقض الدين المسيحي ٢٤٤

### هولندا :

- محطة لعبور اسلحة الدمار للكيان الصهيوني ..... ٢٤٧

### الولايات المتحدة الاميركية :

- صرعات الهيمنة الاميركية هواء في شبك ..... ٢٤٩

## □ مع خراج النبالين

- رسائل القراء ..... ٢٥٧

الشيخ الشيخ :

الشيخ الشيخ

محمد علي التليخاني

رئيس التحرير :

الشيخ الشيخ

قواعد كتاب الفقه الإسلامي

العدد التاسع والعشرون

. السنة الثامنة .

الحمد لله - ربيع الأول

# التطرف

## الأسباب والعلاج

كلمة التمرير

✽ بقلم رئيس التمرير

التطرف كما يجري في عالم الفكر يجري أيضاً في الحياة العملية ، وخصوصاً في الواقع السياسي منها ، وفي عالم السياسة هو اصطلاح يحمل في روحه المعنى اللغوي الذي اشتق منه ، وهو - أي المعنى اللغوي - «من تطرف : صار طرفاً ، أي جاوز حد الاعتدال ، ومنه تطرف في آرائه فهو متطرف أي جاوز حد الاعتدال فيها»<sup>(١)</sup> .



(١) المنجد، حرف الطاء،  
كلمة طرف .

ويقال أيضاً : «رجل طرف ومتطرف ومستطرف ، وهو الذي لا يثبت على أمر ، ورجل طرف وامرأة طرفة إذا كانا لا يثبتان على عهد»<sup>(٢)</sup> ، وهذا يعني أن المتطرف المتجاوز للحد قد بلغ - رأياً أو عملاً - أحد الاطراف وهو جانب الافراط ، وبذلك وصل حد النهاية واوشك

(٢) لسان العرب، حرف  
الفاء كلمة طرف .

(٣) البقرة: ١٤٣.

على السقوط والخروج من ذلك الجانب ، فهو غير ثابت ولا مستقر؛ إذ كل من يقف على طرف يوشك أن يسقط ؛ بخلاف الأمة الوسط فهي تكون ثابتة ومتوازنة ، تلك هي أمة الاسلام : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾ (٣).

ويتساءل الكثير من العاملين في الحياة الثقافية والسياسية عن اسباب حصول ظاهرة التطرف والتطرف المضاد في العمل السياسي والثقافي ، وذلك بالانشداد مرةً إلى أقصى اليمين ، ثم التحول برّد فعل معاكس إلى أقصى الشمال مرةً أخرى ، ولا يحصل هذا في الدوائر العامة للعمل الثقافي فحسب ، بل قد تجده حتى في اطار الدوائر الخاصة لحركة أو جماعة معينة ، مهما كانت صغيرة ومحدودة ، وتتعاظم خطورة هذه الظاهرة في حالتين رئيسيتين :

الحالة الاولى : عندما يكون المصاب بهذا المرض العضال من المتصدين الذين تبوأوا منصباً أو موقعاً مؤثراً في الحياة الثقافية والسياسية للأمة ، الامر الذي سيؤدي إلى تحرك الواقع المؤثر فيه باتجاه حركته المتطرفة ، مرةً لهذا الجانب وأخرى للجانب المعاكس ؛ لتبرز تبعاً لذلك حالات من التصادم والخلاف الحاد ، فتصبح الجماعة الواحدة جماعات ، والوجود الواحد وجودات متعارضة متخالفة .

الحالة الثانية : عندما يكون هذه المرض على شكل حالة اجتماعية نتجت بسبب حدث استثنائي حاد ، كثورة عارمة عصفت بواقع وسلبت وجوده من الحياة الثقافية والسياسية ؛ لتبدأ حياة وجود جديد لمّا تظهر معالمه الثقافية والسياسية في الواقع بعد ، وهنا تبرز حالات كثيرة من التطرف في التعامل والمواقف على الصعيد العام ، فمرة تظهر على شكل آراء وشعارات حادة ، أو فهم متطرف لها باتجاه معين ثم لا تلبث بعد فترة أن تتحول إلى اتجاه مضاد ، وهذا قد يحصل أيضاً في الوحدات الحركية التي تتأثر كثيراً بالاحداث الثقافية

والسياسية الكبرى لمجتمعاتها ، وغالباً ما تحدث هذه الظاهرة المرضية عند فقدان القيادة المبدئية الحكيمة التي تمسك بزمام الامور ، وتسير بالامة باتجاه الرشد والتكامل الحركي في بناء حياتها الثقافية والسياسية الجديدة ، ففرق كبير بين الثورة الاسلامية في ايران ، والثورة في الجزائر ضد الاستكبار الفرنسي ، التي فقدت قيادتها الاسلامية الاولى وتحولت فيما بعد إلى واقع لا اسلامي ، واطهر منها الثورة الفلسطينية - قبل ظهور الحركات الاسلامية بعد انتصار الثورة الاسلامية في ايران ، كحركة حماس وامثالها - ، تلك الثورة التي بدأت اسلامية ثم تحولت عن اسلاميتها وعاشت فصائلها أنواع التطرف والتطرف المضاد ، عندما تجزأت على اساس ذلك وغابت عنها قيادتها الاسلامية الاولى ، فارتمى جزء منها في أحضان الشرق والآخر في احضان الغرب ؛ فالثورة الاسلامية في ايران سارت برشد قيادتها الاسلامية الفذة ، وتكاملت بفضل إمامها الحكيم الخميني الكبير رحمته الله . وواضح إن هذه الحالة تختلف عن سابقتها بسعة شمولها للواقع الثقافي والسياسي ، وفي بقاء ظهور حالات التطرف المضاد فيها .

### الأسباب

ولو أمعنا النظر في هذه الظاهرة وبحثنا عن جذورها واسبابها ، فإننا نجدها لا تعدو الاسباب التالية متفرقة أحياناً ومجموعة أحياناً أخرى :

الأول : الجهل ، ولا نقصد به هنا الجهل البسيط فإن أمره هين يسير ؛ إذ يكفي فيه التنبيه على موارد الجهل والتصدي لبيانها وتعليم الجاهل بها ، وهذا شأن أغلب سواد الأمة ومن هو على سبيل النجاة ، وإنما نقصد بالجهل هنا الجهل المركب الذي تصوّر صاحبه أنه يعلم ،

وهو يجهل أنه يجهل ، وهذا السبب هو اقوى الاسباب واطورها ؛ إذ منه يحصل الانحراف المبدئي ، وفي باحته تحط رحال البدع والضلالات ، ومنه تتشكل قوة المعارضة الجاهلية لخط الاسلام الاصيل ، حين تبرز ظواهر التطرف شيئاً فشيئاً ، حتى تسفر عن وجهها الطالح في صور من العدااء الذي قد يأخذ صوراً من المواجهة العملية تخرجهم عن اصل الدين ، كما هو شأن كثير من الفرق الاسلامية المنحرفة ، كالخوارج ومن على شاكلتهم .

وفي مرحلتنا المعاصرة نجد أن الجهل هو الذي مكّن الدعوات الاستعمارية بعد الاحتلال العسكري المباشر ، وتقسيم بلاد المسلمين بين دول الاستكبار ، من تغذية حالة التطرف السلبية تجاه بعض مظاهر الدين في الأمة ، كالحجاب مثلاً ، وأن يزرع الوجودات الثقافية والسياسية التي تتطرف نحو العرقية والقومية ، مقوماً انتماءها الديني على اساسها ، فأصبحت الأمة الاسلامية قوميات متطرفة ، منها للعروبة واخرى للفارسية وثالثة للتركية وهكذا .

وحتى بعد قيام الثورة الاسلامية في ايران ، وبروز ظاهرة الصحوة الاسلامية بين المسلمين ، نجد أن البعض من الفئات والخطوط السياسية الاسلامية كابرت واتخذت موقفاً سلبياً من الثورة الاسلامية ، وذلك لأن اجواء التطرف القائم على الجهل المركب جعلها في شباك المخططات الاستكبارية بشكل مباشر أو غير مباشر ، راكبة مركب العدااء السافر والمبطن من خلال ذلك ، وصدق أمير المؤمنين علي عليه السلام عندما قال : «... فمن جهل شيئاً عاداه ، فأنزل الله ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه﴾ » (٤) .

(٤) البحار ١٠٤: ٣٧٠.

الثاني : الشبهات والرواسب الفكرية المنحرفة ، وهذا السبب وإن كان يلتقي بسابقه من حيث أنه نوع من انواع الجهل المركب ، ولكن صورته تختلف من جهة أن لتاريخ هذا الشخص المتطرف أو الجماعة

المتطرفة مضامين وركائز فكرية أثرت على مسار تفكير كل منهما ،  
وشابته بشوائب خلقت له سلوكاً ومنهجاً متطرفاً بالنسبة إلى منهج  
الاسلام المستقيم والتفكير السليم .

والتاريخ بكافة فتراته الغابرة والقريبة يحكي لنا صوراً كثيرة عن  
هذه الحالة ، فغني عن التعريف الرواسب الجاهلية التي ضلّت عالقة  
في اعماق الكثيرين ممن أعلن اسلامه ، سواء كان قبل فتح مكة أو  
بعدها ، والتي برزت آثارها شيئاً فشيئاً منذ حياة رسول الله ﷺ إلى  
المرحلة التي اعقبت وفاته ، والتي تجسدت فيما بعد بشكل واضح  
وجلي في جاهلية وانحراف دولة بني أمية ومن لحقها من دول البدع  
والضلال ، وفي تاريخنا القريب شيء كثير من ذلك تجده في واقع  
الأمة والعديد من رجالاتها ، ولعل أبرز تلك الرواسب هي رواسب  
العصبية الاقليمية والعرقية التي زرعها وغذاها الاستكبار خلال  
عشرات السنين من احتلاله للبلاد الاسلامية ، تلك الرواسب التي  
وقفت عقبة كؤوداً دون تفاعل الأمة وذوبانها الفعلي في الاسلام ،  
وهكذا بالنسبة لسائر موروثات الفترة الاستكبارية التي حجبت النور  
والصحة عن الأمة طيلة سنين مضت ، تركت آثارها على طريقة  
تفكيرها ، وخصوصاً على طبقاتها المثقفة ، التي أسرت بالمنهج  
الغربي على كافة الاصعدة ، حتى إنهم راحوا يقيسون مدى نجاح  
مجتمعهم الاسلامي على ضوء ما يحاكيه من صور التقدم المدني  
والتقنين الاجتماعي والثقافي والسياسي للغرب ، واكتفوا من اسلامهم  
باسمه ومن قرآنهم برسمه ، وقد اشار القرآن إلى ذلك بقوله عزّ من  
قائل : ﴿ قل يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد  
ضلوا من قبل واضلّوا كثيراً وضلّوا عن سواء السبيل ﴾ (٥) ، كما وصف  
حاليهم قائلاً : ﴿ فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم  
وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون ﴾ (٦) .

(٥) المائدة : ٧٧ .

(٦) غافر : ٨٢ .



ومثال على ذلك من تاريخنا المعاصر ما اعلنه الكثير من العلماء في العراق ، وخصوصاً في النجف الاشرف في الفترة ما بعد اعلان ما سميت في حينه بالحكومة الوطنية - أي حكومة الانتداب الانجليزي - عن تعهدهم بعدم التدخل في الشؤون السياسية للبلاد ، ولعل الهدف الرئيسي من ذلك كان لأجل حماية الجامعة العلمية الاسلامية في النجف الاشرف وكريلاء ، لئلا يُمغن في تصفية وجودها ، وهي الحصن العلمي الحصين للاسلام والمسلمين ، خصوصاً بعد الموقف الثوري من دخول الانجليز العراق عام ١٩١٧ م ، وعلان الثورة في عام ١٩٢٠ م من قبل علماء الاسلام في النجف الاشرف وكريلاء . هذا التعهد أوحى بموقف سلبي من التدخل في الشؤون السياسية ، وأنها ليست من الدين الاسلامي ، الأمر الذي خلق حالة متطرفة تجاه أي تحرك سياسي اسلامي ظهر فيما بعد ، وقد عاشت المرجعية الاسلامية الرشيدة وحركتها المجاهدة ، خصوصاً عند بروز المفكر العملاق آية الله العظمى الشهيد السيد محمد باقر الصدر رحمته الله ، حالة من العداوة والتشويه من قبل المتطرفين ضد العمل السياسي ، ولعبت الرواسب والشبهات الفكرية لتلك الفترة دورها في الموقف العدائي من السيد الصدر ، ومقاومة دوره الرسالي في التوعية السياسية للأمة ، ووضعها في موقعها الاسلامي المطلوب ضمن عملية الصراع بين الاسلام والكفر .

الثالث: التعصب العاطفي ، ونقصد به عدم قبول الحق عند ظهور الدليل والبرهان ، بسبب ميل إلى جانب أو تعاطف مع جهة ، ولهذا تشير الآية الكريمة : ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْثَةٍ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فاعمل إننا عاملون ﴾ <sup>(٧)</sup> ، وقوله عزّ من قائل : ﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ <sup>(٨)</sup> .

(٧) فصلت: ٥٠ .

(٨) الاعراف: ١٩٨ .

ولعل هذا الداء من أكبر الادواء واكثرها شيوعاً بين العاملين ، وهو يشكل نقطة ضعف اساسية على صعيد الفرد والجماعة ، ومنها تنشأ ظواهر المحورية على مستوى الجماعات ، وظواهر الذاتية الانانية على مستوى الافراد .

وقد لا يقف حد التعصب هذا عند حدود الموقف السلبي من قبول الحق ، وإنما قد يتخذ صوراً من الفعل الايجابي ، كالتخطيط لتكريس حالة ذاتية أو محورية قائمة على اساس التعصب العاطفي ، وتتجسد الخطورة لا بالتجسيد الظاهري لهذه الحالة فقط ، وإنما تكمن أيضاً ، وبصورة خفية ، في زوايا الممارسات والمواقف ، ومقدمات الاعمال ، والاعداد في ما وراء الستار . إن مثل هذا التعصب المخطط هو الذي يصادر جهود المجاهدين ، وثمرات العاملين الرساليين ، ويهدد مصير حركتهم بالأفول والانحراف عن سبيل الله المستقيم . وتاريخنا الاسلامي مملوء بمصاديق تحكي هذه الانتكاسات ، سواء في حياة رسول الله ﷺ أو ما بعد وفاته ، بل طيلة حياة الائمة الطاهرة إلى يومنا هذا ، فكثير من العقبات التي ظهرت في طريق الثورة الاسلامية المعاصرة ، وخصوصاً في ايران الاسلامية ، كان بفعل العناصر التي تتحرك على اساس التعصب المحوري والذاتية الانانية ، وكثيراً ما انبرى امام الأمة الخميني الكبير رحمه الله ، ومن بعده ربيبه آية الله العظمى السيد علي الخامنئي (دام ظله) ، بحكمتها ونفاذ بصيرتهما ليُشخّصا مواطن هذا المرض الخبيث ، ويعرضا لاسبابه ، والموقف المناسب منه ، معبرين في ذلك عن حقيقة قول الامام علي عليه السلام : «غير منتفع بالحكمة عقل مغلول بالغضب والشهوة»<sup>(٩)</sup> .

(٩) غرر الحكم : ٢٢٢ .

الرابع : ضعف التجربة والتخلف الحركي ، فقد يتصور البعض أن الاحاطة النظرية بالعلوم والمعارف كافية في تأهيل المرء لخوض معترك العمل الثقافي والسياسي ، والانطلاق في حركته نحو هدفه

الكبير ، متغافلين عن أن الجزء الاساسي الآخر لنضج القدرة العلمية والكفاءة الحركية للعاملين السياسيين ، هو رسوخ وتكامل التجربة من خلال تدرج طبيعي في سلّم العمل والحركة الثقافية والسياسية الهادفة ، لذا قال أمير المؤمنين علي عليه السلام : «رأي الرجل على قدر تجربته»<sup>(١٠)</sup> ، وقال أيضاً : «العقل غريزة يزيد بالعلم والتجارب»<sup>(١١)</sup> ، وهذا لا يعني أن يؤخذ الزمن مجرداً عن مستوى التجربة وسعتها ، بل إن الزمن بما هو ظرف يستوعب في أجزائه تلك التجارب المتواصلة والمتراكمة والمتكاملة ، «فالأيام تفيد التجارب»<sup>(١٢)</sup> كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام ، ويقول أيضاً : «لولا التجارب عميت المذاهب ، وفي التجارب علم مستأنف»<sup>(١٣)</sup> .

(١٠) م.ن.

(١١) م.ن.

(١٢) م.ن.

(١٣) البحار ٧١ : ٣٤٢ .

ومن موارد ضعف التجربة وضآلتها هو الانغلاق على الذات والاستغناء بتجاربها عن تجارب الآخرين ، في حين أن نظرية تراكم التجارب وتكاملها تقوم على اساس اكتساب تجارب الآخرين ، و اضافتها إلى التجارب الذاتية ، والاستفادة منها ، وإثراء الحركة الهادفة بها ، ففيما اوصى به أمير المؤمنين عليه السلام ابنه الحسن عليه السلام : «ولتستقبل بجد رأيك من الأمر ما قد كفاك اهل التجارب بُغيته وتجربته ، فتكون قد كفيت مؤونة الطلب وعوفيت من علاج التجربة»<sup>(١٤)</sup> . وضعف التجربة هذا سيفرز بطبيعته تخلفاً حركياً لا لدى الأفراد العاملين بما هم افراد وحسب ، بل إن ذلك سيلازم العمل الحركي ككل ، فتراه يسير وراء الاحداث وكأنه ليس في خضمّها ، وتراه يتأخر عن مسيرة الأمة وكأنه ليس منها ، وبمرور الزمن لن تجد رجاله إلا ركاماً من المتقاعدین والمتقاعدسين ، ليس لهم إلا أن يجلسوا على قارعة المسيرة يلسعون العاملين الدائبين في جهادهم بالسنتهم الحداد ، ويخرمون الهمم بتثبيطها وتوهينها ، فيحق فيهم قول صادق اهل البيت عليه السلام : «لا يطمعن ... القليل التجربة المحجب برأيه في رئاسته»<sup>(١٥)</sup> .

(١٤) البحار ١٠٧٧ : ٢٠١ - ٢٢١ .

(١٥) البحار ٧٨ : ١٩٥ .

الخامس : ضعف التقوى وغلبة الهوى ، فالمعروف أن هناك عاملان اساسيان شهيران يحققان الاستقامة في المسيرة في دائرة الفرد وفي دائرة الجماعة وهما العلم والعدالة ، وقد أشرنا في سياق ذكر اسباب التطرف إلى عامل الجهل بما يؤثر إلى ضرورة العدالة في التخلص من حالات التطرف والشذوذ ، فقد أكد علماء الاخلاق أن التوازن والحكمة والعلم تفتقر في حصولها وفي ثباتها ورسوخها إلى مدئ نقاء النفس وطهارتها بالورع والتقوى عن كل ما يخالف احكام الله ، وما يخرق نظام الاسلام المقدس ، وقد أكد القرآن الكريم هذه الحقيقة بقوله عزّ من قائل : ﴿ واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم ﴾ (١٦) ، وقوله : ﴿ ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ﴾ (١٧) ، فقدّم التقوى والتزكية على العلم والتعليم ، وفي قوله التالي أيضاً دلالة على المراد : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نوراً تمشون به ﴾ (١٨) . أما كيف يكون من نتائج ضعف التقوى وغلبة الهوى ظهور حالات التطرف ، فهذا ما تكفينا الاشارة فيه إلى بعض تلك الحالات ، فمنها حالة النفاق في حمل الشعارات ، والمزايدة من خلالها ، والغلو في تحميلها مفاهيم وتفسيرات تبعدنا عن روحها الحقيقية وحدودها الواقعية ، مما يحصر الواقع في زاوية هذه التحميلات الضيقة ، لتكون وسيلة للسبق الثقافي والسياسي والامتياز الشكلي على اخوة الدين والمصير ، ثم لا تلبث في ظرف معاكس أن تنقلب الآية ، وتطرف يصبح ما كان تهمة وشيئاً امتيازاً وزيناً ، وما كان ضرورةً ووعياً انحرافاً وتخلفاً ، فلو كانت التقوى في البين ، والخلق الاسلامي ضابطاً حقيقياً للعمل الثقافي والسياسي ، لما لاح كل ذلك في افق العاملين ، ولوجدت العقل إماماً يُحتكم إليه ، «ومن لم يُهذب نفسه لم ينتفع بالعقل» (١٩) .

وحالات اخرى لا نستطيع في هذه الكلمة المقتضبة التفصيل فيها ،

(١٦) البقرة : ٢٨٢ .

(١٧) الجمعة : ٢ .

(١٨) الحديد : ٢٨ .

(١٩) غرر الحكم : ٢٩٣ .

(٢٠) نهج البلاغة، كتاب ٢١.

(٢١) غافر: ٥٦.

ولكننا نشير إليها على سبيل التذكرة ، كالدعوة إلى العناوين الثانوية بتطرف ينسي صاحبه عنوان دعوته الأول ، وهو الله وسبيله الوحيد الاسلام العظيم ، حتى تجده في نهاية المطاف قد استغرق في عالم الدعوة إلى الذات الفردية أو الفئوية من حيث يشعر أو لا يشعر ، عندها يكون مصداقاً لقول امير المؤمنين علي عليه السلام : «... الهوى شريك العمى» (٢٠) ، فيصاب بهوى الذات ، وتعمى بصيرته عن هدفه الاساسي وهو الله والاسلام ، ومنها أيضاً غلبة الجانب الذاتي في العمل الثقافي والسياسي على الجانب الموضوعي ، فهو لا يرى مصلحة للعمل إلا من خلال نظريته الذاتية للواقع ، وأفقه الخاص في العمل ، ولا مصلحة عليا فوق كل ذلك ، ولا وجود للآخرين إلى جنبه من اخوة الدين والطريق يشاطرونه الهم والاجتهاد في تحقيق الاهداف العليا لمسيرة العاملين كل العاملين ، بحيث تجدهم يُنكرون ذواتهم في سبيل المصلحة العليا والهدف الكبير ، فيجعلونها في خدمتها ومن اجلها ، وليس العكس ، وهو أن تتكبر نفسه ، وتتعاظم ذاته ، فيصبح كالذين حكى عنهم الآية الكريمة : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (٢١) .

### العلاج

بقي الحديث فيما يحّد هذا التطرف ويعالج امره . قد يقول قائل إن الجواب واضح من خلال ما تمّ عرضه من اسباب حصوله وعوامل سريانه ، لكننا نقول إن الوقاية منه شيء - وذلك بالاقلاع عن مقدماته واسبابه - وعلاجه شيء آخر ، وفي الجواب على ذلك نميز بين أمرين :

الأول : الجواب على ماهو العلاج ؟ ، والثاني الجواب على ما الذي

يحدُّ سريانه؟

وهذان الامران يترتب احدهما على الآخر ، فلو لم ينفع العلاج  
لاصل الداء ، وجب الحد من السريان ، مثله بالضبط كمثل المصاب  
بالتعفن في عضو من أعضائه الحساسة ، فإن لم ينفع معها العلاج  
المبرئ من الداء ، وجب إيقاف سريان العفونة ببتر الجزء المتعفن  
حفاظاً على باقي أجزاء الجسم وأعضائه ، وهكذا ما نحن فيه ؛ فعلاج  
التطرف يكمن في إرشاد العناصر المصابة به إلى خطر ما هم فيه ،  
وإلى ضرورة اخضاع العقل والنفس إلى عملية تطهير وخلق جديد ،  
وإلى مراجعة نقدية شاملة لكل المواقف والتصرفات ، في ظرف مناخ  
يضفي على عملية التطهير والخلق هذه جواً من الفعل والانفعال والشد  
والتحريك باتجاه التوازن والحكمة في الفكر والعمل . ومما نقل عن  
الامام علي عليه السلام في هذا المجال قوله : «ولا تظنوا بي استثقلاً في حق قيل  
لي ، ولا التماس إعظام لنفسي ؛ فإنه من استثقل الحق أن يقال له أو العدل أن  
يُعرض عليه ، كان العمل بهما أثقل عليه ، فلا تكفوا عن مقالة بحق ، أو مشورة  
بعدل» (٢٢) ، على أن يتم ذلك في اجواء اجتماعية تعكس واقع هذا  
السلوك التغييري نحو الحق والعدل ، وتحكي صورة حياة ناصعة ،  
وهذا المعنى نلمسه في ارشادات الامام الكاظم عليه السلام لهشام بن الحكم  
قائلاً له : «... يا هشام ، مجالسة اهل الدين شرف الدنيا والآخرة ، ومشاورة  
العاقل الناصح يُمنّ وبركة ورشد وتوفيق من الله ، فإذا أشار عليك العاقل  
فإتيك والخلاف ؛ فإن في ذلك العطب» (٢٣) .

(٢٢) نهج البلاغة، ج ٢١٦.

(٢٣) تحف العقول : ٢٩٣.

ويجب أن يكون علاجنا هذا كعلاج الطبيب للمريض مليئاً بالعطف ،  
صبوراً على ما يصدر منه ، حسناً كان أو قبيحاً ، ولا يكلّ من المضي  
بالعلاج حتى مراحلها النهائية ، وفي قول الامام علي عليه السلام إشارة إلى  
ذلك : «المسلم مرآة أخيه ، فإذا رأيتم من أخيك هفوة فلا تكونوا عليه إلباً ،  
وكونوا له كنفسه ، وأرشدوه ، وأوضحوا ، وترفقوا به» (٢٤) ، حتى إذا رأينا

(٢٤) البحار ١٠ : ٩٧.

أن الداء بلغ مداه وعوامل العلاج قد استنفدت اغراضها ، ولا ثمرة محسوسة منه ، فهنا لا مناص من حماية الجماعة والأمة من خطر هذا المنحرف وتخريبه ، وذلك بالحجر عليه وقطع كل سبيل له على الأمة ، ومقاطعته حتى يعود إلى رشده أو يكون عبرة لمن اعتبر ، ليمتاز الخبيث من الطيب والمصلح عن المفسد ، وصدق رسول الله ومرشد الانسانية النبي محمد ﷺ فيما قال : « لا تجلسوا عند كل داعٍ مُدعٍ يدعوكم من اليقين إلى الشك ، ومن الاخلاص إلى الرياء ، ومن التواضع إلى الكبر ، ومن النصيحة إلى العداوة ، ومن الزهد إلى الرغبة ، وتقربوا إلى عالم يدعوكم من الكبر إلى التواضع ، ومن الرياء إلى الاخلاص ، ومن الشك إلى اليقين ، ومن الرغبة إلى الزهد ، ومن العداوة إلى النصيحة ، ولا يصلح لموعظة الخالق إلا من خاف هذه الآفات بصدقه ، واشرف على عيوب الكلام ، عرف الصحيح من السقيم ، وعلل الخواطر ، وقتن النفس والهوى » (٢٥) .

(٢٥) البحار ٢ : ٥٢ .

أما حالات التطرف العامة التي تظهر على الأمة أو بعض فئاتها وفصائلها ، فلا يختلف علاجها في الجوهر عن علاج الحالات الفردية ، من ضرورة الترشيح الاجتماعي إلى المدى الذي لابد فيه من الحجر وقطع دابر الجزء الفاسد منه ، ويبرز هنا بشكل اساسي دور القيادة الرشيدة في العلاج وحسم الموقف ، وإدارة دفة الواقع باتجاه التكامل على صعيدي الوعي والرشد التطبيقي للرسالة . وتبقى الحقيقة القرآنية الخالدة درساً وضابطاً لعملية الهدم والبناء في منهج التغيير للأمة : ﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب ﴾ (٢٦) .

(٢٦) الانفال : ٢٥ .

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم والحمد لله رب العالمين

من أضاف  
القيادة الإسلامية

# العبر المستنفاة من عاشوراء

ولي أمر المسلمين  
آية الله العظمى  
السيد الفاضل  
«دام ظلّه»

من خطبة صلاة الجمعة لولي أمر المسلمين وقائد الأمة الإسلامية  
سماحة آية الله العظمى السيد علي الخامنئي «مد ظلّه» بتاريخ ١١ محرم  
١٤١٩ هـ.ق.

## مباحث البحث في واقعة عاشوراء

هناك ، فيما يتعلق بمباحث واقعة عاشوراء ، ثلاثة محاور  
أساسية :



الأول : دراسة علل ودوافع ثورة الامام الحسين عليه السلام والأسباب التي  
حدثت على الثورة ؛ أي تحليل الدوافع الدينية والعلمية والسياسية لهذه  
الثورة . وسبق لنا أن تحدثنا فيما مضى عن هذا الموضوع بالتفصيل .  
الثاني : هو بحث الدروس المستفادة من عاشوراء . وهو طبعاً بحث  
حيّ وخالد على مر الزمن ، ولا يختص بزمان معين دون سواه ؛  
فدرس عاشوراء هو درس التضحية والشجاعة والمواساة ، ودرس



القيام لله ، والايثار والمحبة . واحد دروس عاشوراء هي هذه الثورة الكبرى التي فجرتموها أنتم أبناء الشعب الايراني امتثالاً لنداء حسين العصر وحفيد أبي عبد الله الحسين عليه السلام . وهذا بحد ذاته واحد من دروس عاشوراء . ولا أريد حالياً الدخول في هذا الموضوع .

الثالث : هو العبر المستقاة من عاشوراء . وقد سبقت لنا إثارة هذا الموضوع قبل عدّة سنوات ، وأشرنا إلى أن لعاشوراء - فضلاً عن الدروس المستقاة عنه - عبراً أيضاً .

والبحث في عبر عاشوراء يختص بالزمن الذي تكون فيه الحاكمة للإسلام . ويمكن القول - على ادنى الاحتمالات - إن مثل هذا البحث يختص الجانب الأساسي منه بمثل هذا الزمن الذي يوجب علينا وعلى بلدنا أخذ العبرة .

ورأينا طرح هذه القضية وفقاً للصيغة التالية ، وهي كيف وصل المجتمع الاسلامي الذي التف حول الرسول وأحبّه وآمن به ، امتلاً بالدين حباً وشغفاً ، ونشأ وتنامى في ضوء الأحكام التي سنتحدث لاحقاً عن شيء منها ، وفيه من أدرك عصر رسول الله صلى الله عليه وآله ، كيف وصل به الحال بعد خمسين سنة أن يجتمع ويقتل سبط الرسول أبشع قتله ؟ وهل هناك ارتداد ونكوص وانحراف أشد من هذا ؟ !

كل مجتمع إسلامي معرّض لمثل هذا الخطر . لقد كانت أكبر مفخرة لإمامنا الخميني أنه حفز الأمة إلى العمل بأحاديث الرسول . وهل يمكن مقارنة غير الأنبياء وغير المعصومين بشخصية عظيمة كشخصية الرسول الذي بنى ذلك المجتمع ؟ ! ولكن انتهى الحال بذلك المجتمع إلى اقتراف تلك الجريمة . فهل كل مجتمع إسلامي معرّض للانسياق لمثل هذه الخاتمة ؟

من الطبيعي أنه إذا اعتبر لا ينتهي إلى مثلها ، ولكنه إذا لم يعتبر فمن الممكن أن يتسافل إلى هذا الحد . فهذه عبر عاشوراء .

أما نحن فقد وقَّنا في هذا العصر بحمد الله وفضله لاقتفاء السبيل من جديد ، وأحياء اسم الإسلام في العالم ، ورفع راية الإسلام والقرآن عالية . وكانت هذه المنقبة من نصيب الشعب الإيراني المسلم الذي مر على ثورته عشرون سنة تقريباً ، وهو ما انفكَّ مرابطاً وصامداً على هذا النهج . إلا إننا إذا انتابتنا الغفلة ، ولم نحترس أو نحاذر ونثبت على المسار كما ينبغي ، فمن الممكن أن ننتهي إلى نفس ذلك المصير . وهنا يتضح معنى العبرة من عاشوراء .

يجب أولاً وقبل كل شيء إدراك مدى فداحة تلك الواقعة حتى نتحرك ونتتبع أسبابها . لا يقصر نظر أحد على أنَّ واقعة عاشوراء كانت - في النهاية - مذبحة قتل فيها مجموعة . كلا ، بل إنها كما عبَّر عنها في زيارة عاشوراء : «لقد عظمت الرزية وجلَّت وعظمت المصيبة» .

### ثلاثة مراحل من حياة الحسين عليه السلام :

ولأجل أن يتضح مدى عظم تلك الفاجعة ، أستعرض بصورة اجمالية ثلاثة مراحل قصيرة من حياة أبي عبد الله الحسين عليه السلام ، لنرى شخصية الحسين عليه السلام في هذه المراحل الثلاثة ، وهل من الممكن أن يتحمل أحد أنه ينتهي بها المآل يوم عاشوراء إلى أن تحاصره حشود من أمة جدّه ، وتقتله أشنع قتلة هو وأصحابه وأهل بيته وتسبي عياله ؟

تتلخص تلك المراحل الثلاثة في :

أولاً: مرحلة الطفولة ، وتبدأ منذ نعومة أظفاره إلى تاريخ وفاة الرسول ﷺ .

ثانياً: مرحلة شبابه أي خمس وعشرين سنة من وفاة جده إلى خلافة علي أمير المؤمنين عليه السلام .

ثالثاً: المرحلة التي استمرت عشرين سنة من بعد استشهاد أمير

المؤمنين ﷺ إلى واقعة كربلاء .

ففي المرحلة الأولى ، أي في عهد رسول الله ﷺ ، كان الحسين ﷺ طفلاً مدللاً ومحبباً عند رسول الله ﷺ ؛ فقد كان لرسول الله ﷺ بنت ، وكان المسلمون يعلمون جميعاً آنذاك أنه ﷺ قال : «إني لأغضب لغضب فاطمة وأرضى لرضاها» ، فانظروا عظيم منزلة هذه البنت بحيث أن رسول الله ﷺ يبجلها بهذه الكلمة وأمثالها في محضر المسلمين والملا العام . وليس هذا بالأمر العادي .

وزوجها الرسول الكريم ﷺ لشخص كان ذروة في المآثر زوجها علي بن أبي طالب ﷺ الذي كان شاباً شجاعاً شريفاً أكبر الناس إيماناً واسبقهم إلى الإسلام ، وأكثرهم مشاركة في كل ميادينه ، علي من قام الإسلام بسيفه ، ومن كان يُقدم حيث يُحجم الآخرون ، ويحلّ المستعصي من العقد . هذا الصهر العزيز المحبوب الذي لم تكن محبته منطلقة من وازع القرابة وما شاكلها من الوشائج ، وإنما كانت انطلاقة من عظمة شخصيته ، ولهذه الأسباب زوجة ابنته ، فكان من نسلهما الحسين .

وهذا الكلام يصدق كله أيضاً على الإمام الحسن ﷺ . إلا إن كلامي هنا يدور حول الإمام الحسين ﷺ عزيز الرسول ﷺ ، الذي كان زعيم العالم الإسلامي وحاكم المسلمين ومحبوب كل القلوب يضمه بين ذراعيه ويصطحبه إلى المسجد . والمسلمون كانوا يعلمون أن هذا الطفل هو محبوب قلب الرسول الذي تذوب القلوب جميعاً في محبته وحينما كان الرسول يلقي خطبة له من فوق المنبر ، علقت رجل هذا الطفل بعائق فسقط على الأرض ، فنزل الرسول من فوق المنبر واحتضنه ولاطفه . لاحظوا ، هكذا كانت محبة الرسول ﷺ للحسين ﷺ .

قال رسول الله ﷺ عن الحسن والحسين وهما آنذاك في السابعة

والسادسة من عمريهما : «الحسن والحسين سيذا شباب أهل الجنة» . قال  
فيهما هذا القول وهما لازال طفلين . أي إنهما وإن كان في تلك السن  
فإنهما يفهمان ويدركان ويعملان كمن هو في سن الشباب ، ويفوح  
الأدب والشرف من جنبيهما .

ولو قال قائل حينذاك إن هذا الطفل سيقتل على يد أمة هذا الرسول  
بلا جرم أو جريرة ، ما كان ليصدقَه أحد ؛ مثلما صرَّح رسول الله  
نفسه بتلك الحقيقة المرّة وبكى لها ، وتعجب في وقتها الجميع ،  
مستنكرين إمكانية حدوث عمل كهذا .

المرحلة الثانية : هي الفترة التي استمرت خمساً وعشرين سنة من  
وفاة الرسول إلى خلافة أمير المؤمنين عليه السلام ، إذ كان عليه السلام شاباً متوثباً  
وعالمياً وشجاعاً ، شارك في الحروب وخاض شدائد الأمور . كان  
معروفاً عند الجميع بالعظمة ، وعندما يأتي ذكر الكرام تشخص إليه  
الأبصار وتحوم حوله الأذهان ، واسمه يسطع بين جميع مسلمي مكة  
والمدينة وحيثما امتد الإسلام بكل فضيلة ومكرمة ، والكل ينظر إليه  
وإلى أخيه باحترام وتكريم . حتى خلفاء ذلك العصر كانوا يبدون لهما  
التعظيم والاجلال .

وكان مثلاً مقتدىً به لشباب ذلك العهد . وهكذا لو أن شخصاً قال  
آنذاك إن هذا الشاب سيقتل على يد هذه الأمة ، لما صدَّقه أحد .

المرحلة الثالثة : هي تلك المرحلة التي حُلَّت من بعد شهادة أمير  
المؤمنين عليه السلام وكانت دور غربة أهل البيت ، وكان الإمامان الحسن  
والحسين يقيمان خلال تلك المدّة في مدينة الرسول صلى الله عليه وآله ، بعد مقتل  
أمير المؤمنين بعشرين سنة انحصرت الإمامة في الحسين على جميع  
المسلمين وإن لم تكن الخلافة في يده ، وبدا مفتياً كبيراً ، وزاد  
احترامه عند الجميع ، وأضحى عروة يتمسك بها كل من يريد التمسك  
بأهل البيت ، فكان ذا شخصية محبوبة ورجلاً شريفاً نجيباً أصيلاً

عالمًا . حتى إنه بعث في ذلك الوقت بكتاب إلى معاوية ، لو كان غيره كتبه لأي حاكم لكان جزاؤه القتل . إلا إن معاوية حينما وصله الكتاب تلقاه بكل تكريم وقرأه متغاضياً عما جاء فيه . ثم لو أن أحداً كان يقول في ذلك الوقت إن هذا الرجل الشريف الكريم العزيز النجيب الذي يجسد الإسلام والقرآن في نظر كل ناظر ، سيقتل عما قريب على يد أمة الإسلام والقرآن قتلة شنيعة ، لم يكن أحد ليتصور صحة ذلك . إلا إن هذه الواقعة العجيبة البعيدة عن التصور قد حصلت فعلاً . ولكن من الذين فعلوا ذلك ؟ فعله أولئك الذين كانوا يترددون عليه ويوالونه ويعربون له عن محبتهم واخلاصهم . فما معنى هذا ؟ معناه أن المجتمع الإسلامي أفرغ طوال هذه الخمسين سنة من قيمه المعنوية وجُرد من حقيقة الإسلام ، فكان ظاهره إسلامياً وباطنه خاوياً ، وهنا هو مكمّن الخطر ، فالصلوات تقام وصلاة الجماعة موجودة ، والأمة توصف بالأمة المسلمة حتى إن البعض منها يوالي أهل البيت عليه السلام .

أؤكد لكم أن العالم الإسلامي كله كان وما زال يؤمن بأهل البيت عليه السلام ، وليس من أحد يشك في هذا . إن حب أهل البيت عليه السلام ظاهرة مشتركة بين جميع المسلمين في الماضي والحاضر . وأينما تذهب اليوم في أرجاء العالم الإسلامي تجد المسلمين يحبّون أهل البيت عليه السلام ؛ فالمسجد المسمى باسم الإمام الحسين عليه السلام ، والمسجد الآخر المسمى باسم السيدة زينب في القاهرة ، تجدهما حاشدين على الدوام بجموع الزوار ، حيث يرتادهما المسلمون ويزورون القبر ويقتبلونه ويتوسلون به إلى الله .

جاءوني في الفترة الأخيرة ، أي قبل سنة أو سنتين ، بكتاب جديد - الكتب القديمة مشحونة بهذا المعنى ، وإنما ذكرته لكونه جديداً - عن أهل البيت عليه السلام حققه أحد الكُتّاب في الحجاز ، يثبت أن أهل البيت هم

علي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام . وهذا المعتقد جزء من أرواحنا نحن الشيعة ، إلا إن هذا الأخ المسلم الذي لا ينتمي للشيعة ، كتب هذا الكتاب ونشره . والكتاب موجود ولدي نسخة منه ، ولا بد أن آلاف النسخ منه طبعت وورّعت .

ومعنى هذا أن أهل البيت يحظون بالاحترام والقبول لدى جميع المسلمين ، وكانوا في ذلك العصر يلقون غاية التكريم والمحبة . ولكن في الوقت ذاته حينما يصبح المجتمع خاوياً تقع مثل تلك الحادثة . ولكن أين العبرة من هذا ؟ تكمن العبرة فيما ينبغي عمله لكي لا ينزلق المجتمع إلى مثل ذلك المآل ، وهذا ما يوجب علينا فهم الظروف التي ساءت المجتمع إلى تلك النهاية . وهذا هو البحث المطوّل الذي أريد أن أقدم لكم موجزه .

#### ركائز بنية النظام النبوي :

أشير أولاً مقدمة للموضوع إلى أن الرسول صلى الله عليه وآله أرسى أسس نظام كانت بُناه الأساسية تقوم على عدّة ركائز ، تعتبر أربعة منها الثقل في ذلك البناء ، وهي :

الأول : المعرفة المتقنة الخالية من الغموض في شؤون الدين ، ومعرفة الأحكام ، والمجتمع ، والتكليف ، ومعرفة الله والرسول ، ومعرفة الطبيعة . وهذه هي المعرفة التي انتهت إلى تراكم العلوم ، وبلغت بالمجتمع الإسلامي في القرن الرابع للهجرة ذروة المدنية والحضارة العلمية . فالرسول الكريم صلى الله عليه وآله لم يترك أي إبهام وغموض . ولدينا في هذا الصدد آيات مدهشة من القرآن الكريم لا مجال هنا لذكرها . وحيثما كان هناك موضوع غموض أو التباس ، كانت تنزل آية تحليّه .

الثاني : العدالة المطلقة التي لا محاباة فيها ، سواء في حقل القضاء ،

أم في حقل الاستحقاقات العامة - لا ما يتعلق بحقه الشخصي ، إذ كان ﷺ يعفو عن حقه - أي العدل التام فيما يتعلق بعامة الناس ويجب تقسيمه بينهم بالعدل ، وكذا العدالة في تطبيق حدود الله ، وفي توزيع المناصب وتفويض المسؤوليات ، وتحمل المسؤولية .

ومن البديهي أن العدالة غير المساواة . لا يلتبس الأمر عليكم ، فقد يكون في المساواة ظلم أحياناً ، بينما العدالة تعني وضع كل شيء في نصابه ، وإعطاء كل شخص حقه ، فقد كان العدل حينذاك عدلاً مطلقاً لا تشوبه شائبة ، ولم يكن في عهد الرسول استثناء لأي شخص يجعله خارج إطار العدالة .

الثالث : العبودية الخالصة لله والخالية من أي شرك ؛ أي العبودية لله في العمل الفردي . العبودية في الصلاة حيث يجب أن يكون فيها قصد التقرب إليه ، وكذلك العبودية له في بناء المجتمع ، وفي النظام الحكومي وفي نظام الحياة ، والعلاقات الاجتماعية بين الناس . وهذا موضوع يستلزم بحد ذاته شرحاً مستفيضاً .

الرابع : المحبة الغامرة والعاطفة الفياضة . وهذه من السمات الأساسية للمجتمع الإسلامي . حب الله ، وحب تعالى للناس : ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ . ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ . ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ . حب الزوجة وحب الأولاد . وإن من المستحب تقبيل الأولاد ، وتستحب محبتهم ، ويُستحب حب الزوجة ، ويُستحب حب الأخوة المسلمين والتحبب إليهم ، والأعظم هو حب الرسول وأهل بيته . قال تعالى : ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ .

لقد رسم الرسول هذه الخطوط العريضة وأرسى ركائز المجتمع على أساسها ، ووضع معالم الحكومة عشر سنوات على هذا المنوال . ومن الواضح طبعاً أن تربية الناس تأتي على نحو تدريجي ولا تتحقق جملة واحدة . وبذل الرسول قصارى جهده على امتداد هذه السنوات

العشرة لترسيخ تلك الأسس ، والعمل على مد تلك الجذور في أعماق الأمة . إلا إن فترة العشر سنوات تعتبر قصيرة جداً إذا ما أريد بها تربية الناس على خلاف ما كانوا قد ترعرعوا عليه من سجايا وخصائص ، فقد كان المجتمع الجاهلي في كل شأنه على النقيض تماماً من مضامين هذه الركائز الأربعة ؛ لأنه كان فارغاً من أية معرفة وغارقاً في حيرة الجهل والضلال ، ولم تكن لديه أية عبودية لله ، بل كان مجتمع تجبر وطغيان ، وكان مجتمعاً بعيداً عن العدالة ومليئاً باللوان الظلم والتمييز .

رسم أمير المؤمنين عليه السلام في الخطبة الثانية من نهج البلاغة صورة فنية رائعة عما كان سائداً في العصر الجاهلي من ظلم وتمييز ، جاء فيها : « في فتن داستهم بأخفافها ووطنتهم باظلافها » . كان المجتمع آنذاك مجرداً من معاني المحبة ، فكانوا يثدّون بناتهم ، وكانت كل قبيلة تتأثر لقتيلها من أي رجل تجده من قبيلة القاتل ، سواء كان مستحقاً للقتل أم غير مستحق ، وسواء كان مجرمًا أم بريئاً ، وسواء كان عالماً بتلك القضية أم لا . كان يسودهم الاضطهاد والقسوة والغلظة والفضاضة المطلقة .

من نشأ في تلك الحالة يمكن أن يصلح ويتهدّب على مدى عشر سنوات إن تحققت شروط ذلك ويمكن ادخاله في الإسلام ، ولكن لا يمكن غرس هذه القيم والمفاهيم في أعماق نفسه ، إلى الحد الذي يجعل لديه القدرة على ايجاد نفس هذا التأثير في الآخرين .

دخل الناس في الإسلام أفواجا ، ودخل في الإسلام أناس لم يعايشوا الرسول ولم يدركوا تلك السنوات العشرة مع النبي . وهنا تتجلى أهمية مسألة الوصية التي يعتقد بها الشيعة ، ويكمن منشأ الوصية والنص الإلهي من أجل ديمومة ذلك النهج التربوي ؛ وإلا فمن الواضح أنها ليست من سنخ أنواع الوصايا الأخرى المتداولة في هذا



العالم ، فكل إنسان يوصي قبل وفاته لابنه إلا إن القضية هناك تعني لزوم استمرارية نهج الرسول من بعده .

لا أريد الدخول في المباحث الكلامية ، بل أريد تناول التاريخ بشيء من التحليل ، ولتتناولوه أنتم أيضاً بمزيد من التحليل . لهذا البحث طبعاً صلة بالجميع ولا يختص بالشريعة وحدهم ، فهو للشريعة وللسنة ولجميع الفرق الإسلامية على حد سواء . ونظراً لما يتصف به من الأهمية يجب أن يحظى بالاهتمام من قبل الجميع .

#### المجتمع الإسلامي بعد وفاة الرسول ﷺ :

وأما عن الوقائع التي جرت من بعد رحيل الرسول ﷺ ، فما الذي حدا للمجتمع الإسلامي خلال تلك الخمسين سنة على النكوص عن تلك الحالة إلى هذه ؟ هذا هو أصل القضية ، ويجب أن يلاحظ متن التأريخ فيها .

من البديهي أن البناء الذي بناه الرسول ﷺ ما كان لينهار بهذه السهولة . ولهذا نلاحظ أنه من بعد رحيل الرسول ﷺ ، استمرت عامة الأمور - باستثناء قضية الوصية - على ما كانت عليه ، فكانت العدالة في وضع حسن ، والعبادة على ما يرام . وإذا نظر المرء إلى الهيكل العام للمجتمع الإسلامي في سنواته الأولى يجد الأمور كما كانت ولم يرجع شيء القهقري . نعم كانت تقع بعض الحوادث بين الفينة والأخرى إلا إن ظواهر الأمور كانت تعكس بقاء نفس الأسس والركائز التي وضعها الرسول ﷺ . بيد أن ذلك الوضع لم يدم طويلاً ، فكلما كان الوقت يمضي كان المجتمع الإسلامي ينحدر تدريجياً صوب الضعف والخواء .

ثمة نقطة في سورة الحمد أشرت إليها عدّة مرّات في لقاءات مختلفة ، فحينما يدعو الإنسان ربّه بقوله : ﴿ اهدنا الصراط المستقيم ﴾ ،

يوضح بعدها معنى ذلك الصراط المستقيم بقوله : ﴿ صراط الذين أنعمت عليهم ﴾ ، فهو تعالى قد أنعم على كثير من الأقوام والأمم ؛ فأنعم على بني إسرائيل : ﴿ يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ﴾ ، والنعمة الإلهية لا تختص بالأنبياء والصالحين والشهداء : ﴿ أولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين ﴾ ، فهؤلاء أيضاً نالوا النعمة ، وكذلك بنو إسرائيل نالوا النعمة .

والذين يُنعم عليهم فريقان : فريق حينما ينال النعمة لا يتعرض لغضب الله ، ولا يحقق دواعي الغضب الإلهي ولا يضل سبيل الهداية ، وهؤلاء هم الذين ندعو الله أن يهدينا سبيلهم . وعبارة ﴿ غير المغضوب عليهم ﴾ تمثل في الحقيقة صفة ﴿ الذين أنعمت عليهم ﴾ .

أما الفريق الآخر فهم الذين حينما أنعم الله عليهم ، بدلوا النعمة وتمردوا عليها ، ولهذا حلّ عليهم غضبه ، أو إنهم ائتموا بأولئك فضلوا السبيل . وتشير رواياتنا إلى أن المراد من ﴿ المغضوب عليهم ﴾ هم اليهود ، وهذا البيان مصداق لتلك الحقيقة ؛ لأن اليهود حتى زمن النبي عيسى كانوا يحاربون النبي موسى وأوصيائه عن علم وقصد . أمّا ﴿ الضالين ﴾ فهم النصارى . إنهم ضلوا بدءاً ، أو ضل أكثرهم على أدنى الاحتمالات ، حينما أنعم الله عليهم .

أمّا المسلمون فأنزل الله عليهم نعمته . إنهم تحوّلوا - نتيجة لما اقترفوه - صوب المغضوب عليهم وصوب الضالين . ولهذا ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنه قال : « لما قتل الحسين اشتد غضب الله على أهل الأرض » ؛ وذلك لأنه إمام معصوم . ويفهم من هذا أن المجتمع الذي ينال النعمة الإلهية قد يسير في اتجاه يجلب عليه غضب الله . ولهذا يجب توخّي أقصى درجات الدقّة والحذر في المسير ، وهو أمر عسير طبعاً ويستلزم الانتباه واليقظة .

أورد فيما يلي بعض الأمثلة . فالخواصّ والعوام أصبح لكل منهما

وضعه الخاص به ، فإذا ضلّ الخواصّ فقد يحلّون في منزلة ﴿المغضوب عليهم﴾ أما العوام فقد يصبحون في فئة ﴿الضالين﴾ . وكتب التاريخ زاخرة طبعاً بالمصايد والأمثلة . وسأنقل لكم - من هنا فصاعداً - مما جاء في تاريخ ابن الأثير ، وأجتنب النقل من أي مصدر شيعي ، بل ولا أنقل حتى من مصادر التاريخ السنّيّة التي يشكك السنّة في رواياتها ، مثل ابن قتيبة الدينوري ؛ إذ جاء في كتابه الإمامة والسياسية أمور وقضايا تثير الحيرة .

حينما ينظر المرء إلى مضامين كتاب ابن الأثير الموسوم بالكامل في التاريخ ، يشعر بوجود عصبية أموية وعثمانية فيه وأحتمل أنه انتهج ذلك الأسلوب مداراة لبعض الاعتبارات ، فقد نقل هذا المؤرخ من أحداث مقتل عثمان ، أن عثمان قتله أهل مصر والكوفة والبصرة والمدينة وغيرهم . وبعدما نقل نصوص وأخبار تاريخية مختلفة يقول : وقد تركنا كثيراً من الأسباب التي جعلها الناس ذريعة إلى قتل عثمان ؛ لعل دعت إلى ذلك .

وعند نقله لقصة أبي ذر ، وكيف أن معاوية حمله إلى المدينة من الشام بغير وطاء ، ونفاه إلى الربذة بصورة شنيعة ، قال : وقد حصلت أمور لا يصح نقلها . وعلى هذا فإمّا أن يكون هذا المؤرخ قد انتهج أسلوباً من الرقابة الشخصية - حسب التعبير المعاصر - وإمّا أن كان متعصباً . وهو على كل الأحوال لم يكن شيعياً ولا يميل إلى التشيع ، بل يحتمل أنه كان أموياً عثمانياً الهوى . وأؤكد ثانية أن كل ما سأورده بعد الآن إنما أنقله عن ابن الأثير هذا .

أنقل فيما يلي أمثلة عن الخواص كيف كان الخواص على امتداد هذه السنوات الخمسين بحيث وصلت الأمور إلى هذا الحد ؟ وحينما أدقق النظر في أحداث وظروف ذلك العصر ألاحظ أن هذه الركائز الأربعة : العبودية ، والمعرفة ، والعدالة ، والمحبة ، قد تزعزعت .

وأضرب لكم بعض الأمثلة كما وردت في التاريخ عيناً .

كان سعيد بن العاص من بني أمية ومن أقارب عثمان ، وقد تولى بعد الوليد بن عقبة بن أبي معيط ليصلح ما كان قد أفسد الوليد .

قال ذات يوم رجل في مجلسه : «ما أجود طلحة !» - ولا بد أن طلحة كان قد وهب أحداً مالا أو تكرم على شخص - فقال سعيد : «إن من له مثل النشاط لحقيق أن يكون جواداً» . وكانت النشاط ضيعة كبيرة قرب الكوفة يملكها صحابي الرسول طلحة بن عبيد الله ، الذي كان يعيش حينذاك في المدينة . ثم أردف قائلاً : «والله لو أن لي مثله لأعاشكم الله به عيشاً رغداً» .

قارنوا بين هذا الوضع وبين حالة الزهد في عهد رسول الله والفترة الأولى من بعد رحيله ، ولاحظوا طبيعة الحياة التي كان يعيشها الأكابر والأمراء والصحابة في تلك السنوات ، وكيف كانوا ينظرون إلى الدنيا . لقد وصلت الأمور إلى هذا الحد من بعد مضي عشر سنوات أو خمس عشرة سنة فقط .

المثال الآخر هو أبو موسى الأشعري والي البصرة وهو صاحب الموقف الشهير في قضية التحكيم ، فقد صعد المنبر ذات يوم حينما كان والياً على البصرة ، وكان الناس يستعدون لاحدى الغزوات ، فنادى في الناس وحضهم على الجهاد وذكر شيئاً في فضل الجهاد مشياً ، فترك نفر دوابهم وأجمعوا أن يخرجوا رجالة طمعاً في الثواب . إلا إن جماعة آخرين من العقلاء فضلوا التأمل ومشاهدة حقائق الأمور ، وقالوا : لا نعجل في شيء حتى ننظر ما يصنع ؛ فإن أشبه قوله فعله ، فعلنا كما يفعل .

جاء في نص عبارة ابن الأثير في هذا الصدد : «فلما خرج أخرج ثقله من قصره على أربعين بغلاً» . كانت تلك ممتلكاته الثمينة ، وكان مضطراً إلى إصطحابها حيثما حل وارتحل حتى في ميادين الجهاد .

وسبب ذلك أنه لم تكن ثمة مصارف أو بنوك في ذلك العصر ، أضف إلى ذلك أن الحكومات لا اعتبار لها ، فقد يأتيه الأمر من الخليفة وهو في ساحة الجهاد بعزله من منصبه ، وإذا حصل ذلك لا يمكنه الرجوع إلى البصرة وأخذ تلك الأموال ، لذلك كان مضطراً لحملها معه ، فحمل ممتلكاته الثمينة على اربعين بغلاً وأخذها معه إلى ميدان الجهاد .

فلما خرج جاءه قوم وتعلقوا بعنانه وقالوا : احملنا على بعض هذه الفضول ، وارغب في المشي كما رغبتنا ، فضرب القوم بسوطه فتركوا دابته فمضى ، ولم يتحملوا ذلك منه ، بل ذهبوا إلى المدينة وشكوه إلى عثمان فعزله .

إن أبا موسى الذي كان من صحابة الرسول ومن طبقة الخواص ، كان على مثل هذا الحال .

المثال الثالث هو سعد بن أبي وقاص الذي عُيِّن والياً على الكوفة ، اقترض سعد مالاً من بيت المال . لم يكن بيت المال بيد الوالي ؛ لأنهم كانوا في ذلك العصر ينصبون الوالي للقيام بأمر الحكومة وإدارة شؤون الناس ، وينصبون شخصاً غيره للشؤون المالية هو مسؤول أمام الخليفة مباشرة . وحينما عُيِّن سعد بن أبي وقاص والياً على الكوفة ، كان خازن بيت المال عبد الله بن مسعود وكان صحابياً جليلاً .

بعدما اقترض سعد من عبد الله بن مسعود من بيت المال مالاً ، تقاضاه ابن مسعود بعد مدة فلم يتيسر له قضاؤه ، فارتفع بينهما الكلام واشتد النزاع ، وكان هاشم بن عتبة بن أبي وقاص حاضراً - وهو من اصحاب امير المؤمنين وكان رجلاً شريفاً - فقال : إنكما لصاحبنا رسول الله ﷺ والناس ينظرون اليكما . لا تتنازعا وحاولا حل القضية بينكما على نحو ما . فخرج ابن مسعود - وكان رجلاً أميناً - ثم استعان بأناس على استخراج المال من دار سعد ، وهذا يعني أن

المال كان موجوداً ، ولما علم سعد استعان بأناس آخرين على منع اولئك ، ونتجت عن مماطلة ابن أبي وقاص في رد الاموال منازعة شديدة .

فاذا كان سعد بن أبي وقاص ، وهو من اصحاب الشورى الستة ، قد وصل به الامر إلى هذا الحد بعد بضع سنوات ، بحيث وصف ابن الاثير تلك الحادثة بالقول إنه أول ما تنوزع فيه بين اهل الكوفة . فأول نزاع يقع بين اهل الكوفة - بتعبير ابن الاثير - سببه رجل من الخواص تغلب عليه حب الدنيا إلى هذا الحد .

المثال الآخر هو أن المسلمين لما فتحوا بلاد افريقية وقسموا الغنائم في الجيش ، كان يجب عليهم ارسال خمس تلك الاموال إلى المدينة ، وكان مقدارها هائلاً . نقل ابن الاثير في موضع آخر أن هذا المبلغ حينما ارسل إلى المدينة اشتراه مروان بن الحكم بخمسمئة ألف دينار ، وكان هذا المبلغ ضخماً جداً ، اضافة إلى أن قيمة ذلك الخمس كانت اكبر من ذلك المبلغ بكثير . وكان هذا مما أخذ على عثمان فيما بعد ، وكان عثمان يعتذر عن ذاك طبعاً ويقول : إنه رحمي ، وأنا اصل به رحمي لأنه يعيش في ضنك وأنا اريد مساعدته . وخالصة القول هي أن الخواص كانوا يتهافون على جمع الاموال .

والقضية الاخرى هي أنه عزل عثمان سعد بن أبي وقاص عن الكوفة ، واستعمل الوليد بن عقبة بن ابي معيط ، وكان هذا من أقارب الخليفة ، ولما دخلها تعجب اهلها من توليته عليهم ؛ لأنه كان معروفاً بالحماقة والفساد ، وفيه نزلت الآية الشريفة : ﴿ إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا ﴾ . أي إن القرآن وصفه بالفسق ؛ لأنه جاء بخبر عاد بالضرر على البعض في عهد الرسول .

انظروا إلى المعايير والمقاييس وتبدل احوال الناس ، فهذا الشخص الذي سماه القرآن - الذي كان الناس يقرؤونه يومياً - فاسقاً

أصبح والياً . حتى إن سعد بن أبي وقاص نفسه ، وعبد الله بن مسعود ، تعجبا حين شاهداه قادمًا إلى الكوفة والياً ، وقال له عبد الله ابن مسعود لما وقع بصره عليه : ما أدري اصلحت بعدنا أم فسد الناس ؟ . وكانت دهشة سعد بن أبي وقاص من بُعد آخر ، حيث قال له : أكست بعدنا أم حمقنا بعدك ؟ ، فقال له الوليد : لا تجزعن أبا اسحق . كل ذلك لم يكن . إنما هو الملك يتغذاه قوم ويتعشاه آخرون ، فتألم سعد بن أبي وقاص من هذا الكلام وقال له : «أراكم جعلتموها ملكاً» .

كان عمر سأل سلمان ذات مرة : «أملك أنا أم خليفة ؟» . وكان سلمان شخصية كبيرة ومحترمة ، وهو من الصحابة الكبار ولرأيه وزن كبير ، فقال له سلمان : إن أنت جيت من ارض المسلمين درهماً أو أقل أو أكثر ووضعت في غير حقّه ، فأنت ملك لا خليفة .

لقد بيّن له المعيار . قال ابن الاثير : فبكى عمر . لقد كانت موعظة عميقة المغزى حقاً ؛ فالقضية قضية خلافة ، والولاية والخلافة معناهما الحكومة المقرونة بالحبّة وبالتلاحم مع الجماهير ، ويواكبها عطف وحنو على أبناء الشعب ، وهي ليست تسلطاً أو تحكماً ، في حين لا تحمل الملكية مثل هذا المعنى ، ولا شأن لها بشؤون الناس ؛ فالملك حاكم متسلط يفعل ما يشاء .

هكذا كان حال الخواص ، وإلى هذا الحد انتهى بهم المآل خلال تلك السنوات . وهذا ما حصل طبعاً في عهد الخلفاء الراشدين الذين كانوا يولون أهمية للتمسك بالأحكام ، بسبب معاشتهم فترة طويلة لعهد الرسول الذي لا زال صدهاء ﷺ يدوي في المدينة حتى ذلك الحين ، وكان شخص كعلي بن أبي طالب حاضراً في ذلك المجتمع . ولكن بعد انتقال مركز الخلافة إلى دمشق تجاوزت القضية تلك الحدود كثيراً . كانت هذه أمثلة بسيطة لما كانت عليه أحوال الخواص . ولو نقّب

شخص في تاريخ ابن الاثير أو المصادر التاريخية الأخرى المعتمدة لدى الأخوة المسلمين ، لعثر على آلاف الأمثلة من هذا القبيل ؛ لأنه من الطبيعي حينما تضعيـع العدالة ، وحينما تزول عبودية الله ، يصبح المجتمع مجتمعاً خاوياً وتفسد النفوس . فذلك المجتمع حين يصل به التهافت على حطام الدنيا واكتناز الثروة إلى ذلك الحد ، ويكون الشخص الذي ينقل فيه المعارف للناس هو كعب الأخبار اليهودي ، الذي أسلم لاحقاً ولم يدرك عهد الرسول ؛ فهو لم يدخل الإسلام في عهد الرسول ولا في عهد أبي بكر وإنما في عهد عمر ، وتوفي في عهد عثمان ، فما بالك بذلك المجتمع ؟ !

يقول البعض إن تسمية هذا الرجل بكعب الأخبار خطأ ، وإنما هو كعب الأخبار ، والأخبار جمع خبر ، والخبر هو العالم ، فهذا الرجل كان قطب علماء اليهود . دخل في الإسلام ، ثم أخذ يتحدث في مسائل الإسلام . وكان ذات يوم جالساً في مجلس عثمان إذ دخل أبو ذر ، فقال قولاً أغضب أبا ذر ، فقال أبو ذر : مالك هاهنا ؟ أتعلّمنا الإسلام وأحكامه ونحن سمعناها من رسول الله ﷺ ؟

حينما تُفقد المعايير وتضعيـع المقاييس وتتقوَّض القيم ، وتفرغ القضايا من المحتوى وتقتصر على الظواهر ، وحينما يستولي حب الدنيا وجمع المال على أناس قضوا عمراً مديداً في العزة والزهد في زخارف الدنيا وقُبِضَ لهم نشر تلك الراية عالياً ، حينها يتصدى لشؤون الثقافة والمعرفة مثل ذلك الشخص الذي اعتنق الإسلام لاحقاً ، ويطرح باسم الإسلام ما يراه هو شخصياً لا ما يقوله الإسلام ، ثم يريد البعض تقديم قوله على قول مسلم له سابقة في الإيمان . هذا هو حال الخواص .

ثم إن العوام يتبعون الخواص ويسيروا وراءهم حيثما ساروا . ولهذا فإن من أكبر الجرائم التي ترتكبها الشخصيات البارزة المتميزة



في المجتمع هو انحرافها ؛ لأن انحرافها ينتهي إلى انحراف الكثير من الناس الذين إذا رأوا القيم قد حُرقت ، وأن الأعمال تناقض الأقوال وتناقض ما جاء في سنة الرسول ، تجدهم يسيرون هم أيضاً في هذا المسار أسوة بالخواص .

وأنقل لكم مثلاً عن عامة الناس . كتب والي البصرة إلى الخليفة يذكر له كثرة أهل البصرة وعجز خراجهم عن المصارف ، وسأله أن يزيد أهل البصرة خراج مدينتين ، ولم بلغ أهل الكوفة ذلك سألوا واليهم عمار بن ياسر - الرجل النبيل الذي بقي صامداً كالطود الشامخ ، ولا شك في أنه كان هناك أشخاص لم تهزهم الهزاهز إلا إن عددهم كان قليلاً - سألوه أن يكتب للخليفة يطلب منه أن يزيدهم خراج مدينتين . إلا إنه رفض تلبية طلبهم ، فأبغضوه لذلك وشكوه إلى الخليفة ، فعزله عن الولاية .

ووقع مثل هذا لأبي ذر ولآخرين ، ولعل عبدالله بن مسعود كان أحدهم . فحينما لا تراعي مثل هذه الجوانب يتجرد المجتمع حينها من القيم . وهنا تكمن واحدة من تلك العبر .

### أهمية التقوى :

إن المرء لا يقف على حقيقة مثل هذه التطورات الاجتماعية إلا بعد مرور وقت طويل ، وهذا ما يوجب علينا الانتباه والحذر والمراقبة ؛ وهو معنى التقوى ، فالتقوى معناها أن يقي نفسه من ليس له سلطان إلا على نفسه ، وأن يقي نفسه غيره من له سلطان على غيره أيضاً . أما الذين يقفون على رأس السلطة فيجب عليهم وقاية أنفسهم والمجتمع كله ؛ لكي لا ينزلق نحو التهافت على الدنيا والتعلق بزخارفها ، ولا يسقط في هاوية حب الذات .

وهذا لا يعني طبعاً الانصراف عن بناء المجتمع ، بل يجب بناء

المجتمع والاستكثار من الثروة ، ولكن لا لأنفسهم ، فهذا مستقيم . كل من لديه قدرة على زيادة ثروة المجتمع والقيام بانجازات كبرى ، يكسب ثواباً عظيماً .

لقد استطاع البعض خلال هذه السنوات بناء البلد ورفع راية العمران عالياً وانجاز اعمال كبرى ، وهذه مفخرة لهم ، ولا يدخل عملهم هذا في اطار حب الدنيا ، وإنما يصدق حب الدنيا لو كان المرء يطلب النفع لذاته ويعمل لنفسه ، أو يفكر في جمع الثروة لنفسه من بيت مال المسلمين أو من غيره . وهذا هو التصرف القبيح .

يجب إذن الحذر من الوقوع في مثل هذه المنزلقات ، وإذا انعدم الحذر ينحدر المجتمع تدريجياً نحو التخلي عن القيم ، ويبلغ مرحلة لا تبقى له فيها سوى القشرة الخارجية ، وقد يأتيه على حين غرة ويفاجئه ابتلاء شديد - كالابتلاء الذي تعرض له ذلك المجتمع حين اندلاع ثورة أبي عبدالله - فلا يخرج منه ظافراً .

عُرِضت على عمر بن سعد ولاية الري ، وكانت الري في ذلك الوقت ولاية شاسعة وغنيّة ، ولم يكن منصب الامارة على عهد بني أمية كمنصب المحافظ في الوقت الحاضر ؛ المحافظون اليوم موظفون حكوميون يتقاضون مرتبات ويبدلون جهوداً شاقة ، ولم يكن الأمر حينذاك على هذا النحو . الشخص الذي يُنصب والياً كان مطلق اليد في التصرف بجميع الثروات الموجودة في تلك المدينة ، يتصرف فيها كيف يشاء بعد أن يرسل مقداراً منها إلى عاصمة الخلافة ، ولهذا كان لمنصب الوالي أهمية عظيمة .

ثم شرطوا تولّيه الري بمحاربة الحسين عليه السلام .

من الطبيعي أن الإنسان النبيل وصاحب القيم لا يتردد لحظة في رفض مثل هذا العرض . ما قيمة الري وغير الري ؟ فلو وضعت الدنيا بين يديه لما عبس بوجه الحسين ! فما بالك بالنهوض لمحاربة عزيز

الزهرء وقته هو وأطفاله ؟ !

هكذا يقف الانسان الذي يحمل قيماً . ولكن حينما يكون المجتمع خاوياً ومجرداً من القيم ، وحينما تضعف هذه المبادئ الأساسية بين أفراد المجتمع ، ترتعد الفرائص عند ذاك ، وأكثر ما يستطيع المرء عمله في مثل هذا الموقف هو أنه يستمهلهم ليلة واحدة للتفكير في الأمر . وحتى لو فكر سنة كاملة لوصل إلى نفس النتيجة ولا تأخذ نفس القرار ؛ إذ لا قيمة لمثل هذا النمط من التفكير . لقد فكر الرجل في الأمر ليلة ، وأعلن في اليوم التالي عن موافقته على ذلك العرض . إلا إن الله تعالى لم يمكنه من بلوغ تلك الغاية .

وكانت نتيجة ذلك أن وقعت فاجعة كربلاء .

الوجه الآخر لملحمة عاشوراء :

أشير هنا بكلمة في تحليل واقعة عاشوراء . شخص كالحسين (ع) - والحسين تجسيد لكل القيم الإلهية والإنسانية - ينهض بالثورة حتى يقف بوجه استشرء الانحطاط الذي أخذ يتفشى في أوصال المجتمع ، وأوشك أن يأتي على كل شيء فيه . بلغ الانحطاط حداً أن الناس لو أرادوا عيش حياة إسلامية كريمة ، لوجدوا أيديهم خالية من كل شيء . وفي ظرف كهذا ثبت الإمام الحسين ووقف بكل وجوده أمام ذلك الخواء والفساد المتصاعد ، وضحي من أجل القيم الإلهية بنفسه وبأحبائه ، وبإبنه علي الأصغر وعلي الأكبر ، وبأخيه العباس ، ثم وصل إلى النتيجة المطلوبة .

أحيى الحسين جده رسول الله (ص) ، وهو معنى قول النبي (ص) : «وأنا من حسين» . هذا هو الوجه الآخر للقضية ، فواقعة كربلاء الزاخرة بالحماسة ، وهذه الملحمة الخالدة ، لا يمكن إدراك كنهها إلا بمنطق العشق وبمنظار الحب ، فهي واقعة لا يتيسر النظر إليها إلا بعين

العشق ليُفهم ما الذي صنعه الحسين بن علي عليه السلام من بطولة ومجد خلال يوم وليلة ، أي من عصر يوم التاسع من المحرم حتى عصر العاشر منه ، بحيث خلّده في هذه الدنيا وسيخلّده إلى الأبد ، ولهذا اخفقت جميع الجهود التي بذلت لمحو حادثة الطف من الأذهان وطيّها في أدراج النسيان .

#### صور من واقعة الطف :

أقرأ عليكم مقتطفات من كتاب المقتل - المعروف باللهوف - لابن طاووس . نمر على بعض تلك المشاهد العظيمة لذكر مصيبة الحسين عليه السلام . وكتاب المقتل هذا كتاب معتبر جداً ، ومؤلفه السيد علي ابن طاووس عالم فقيه وعارف كبير ، وصدوق موثّق ، وموضع احترام لدى الجميع ، واستاذ فقهاء كبار ، وكان أديباً وشاعراً وذا شخصية بارزة ، كتب أول مقتل معتبر وموجز . وقبل كتاب اللهوف كتب الكثير في مقتل الحسين عليه السلام ، حتى إن أستاذه ابن نما له كتاب في المقتل ، والشيخ الطوسي أيضاً له كتاب في المقتل ، وغيرهما . إلا إنه حينما كتب غطّى على جميع الكتب الأخرى في المقتل ، لانه كتاب قيّم اختيرت عباراته بدقّة وإيجاز .

من جملة المشاهد التي يصورها في كتابه هذا هو بروز القاسم بن الحسن إلى الميدان ، وكان فتى لم يبلغ الحلم . ليلة عاشوراء أعلم الحسين أصحابه بأن المعركة ستقع ، وأنهم سيقتلون جميعاً ، فأحلّهم واذن لهم بالانصراف ، فأبوا إلا أن يكونوا إلى جنبه . وفي تلك الليلة سأل هذا الفتى عمّه الامام الحسين عليه السلام ، هل سيقتل هو ايضاً في ساحة المعركة ؟ فأراد الامام الحسين اختباره - على حد تعبيرنا - فقال له : كيف ترى الموت ؟ قال : أحلى من العسل .

لاحظوا . هذا نموذج من طبيعة القيم التي كان يحملها اهل بيت

الرسول ومن تربى في حجوهم ﷺ ، فقد ترعرع هذا الفتى منذ نعومة اظفاره في حجر الامام الحسين ﷺ ، فقد كان عمره حين شهادة أبيه ثلاث سنوات أو أربعاً ، فتكفل الامام الحسين بتربيته . وفي يوم عاشوراء وقف هذا الفتى إلى جانب عمه .

وجاء في هذا المقتل ذكر هذه الواقعة على النحو التالي : «قال الراوي : وخرج غلام كأن وجهه شقة القمر وجعل يقاتل . لقد دون الرواة كل احداث ووقائع عاشوراء بتفاصيلها ؛ فذكروا اسم الضارب والمضروب ومن ضرب أولاً ، واسم أول من رمى ، ومن سلب ، ومن سرق . فالشخص الذي سرق قطيفة أبي عبد الله ذكروا اسمه ، وكان يطلق عليه فيما بعد لقب سارق القطيفة . ومن الواضح أن اهل البيت ومحبيهم لم يتركوا هذه الحادثة تضيع في مجاهل التاريخ .

«فضربه ابن فضيل الأزدي على رأسه ففلقه ، فوقع الغلام لوجهه وصاح : يا عمّاه . فجلى الحسين ﷺ كما يجلى الصقر ، وشد شدة ليث أغضب ، فضرب ابن فضيل بالسيف فاتقاها بساعده فأطنّها من لدن المرفق ، فصاح صيحة سمعه اهل العسكر ، فحمل اهل الكوفة لينقذوه ، فوطئته الخيل حتى هلك» .

دارت معركة عند مصرع القاسم ، هزمهم الحسين ﷺ فيها بعد أن قاتلهم .

قال الراوي : «وانجلت الغبرة ، فرأيت الحسين ﷺ قائماً على رأس الغلام وهو يفحص برجله ، والحسين يقول : بعداً لقوم قتلوك» . ياله من مشهد مؤثر يعكس رقة الحسين وحبّه لهذا الفتى من جهة ، وصلابته إذ اذن له في القتال والتضحية من جهة أخرى . كما يدل على ما لهذا الفتى من عظمة روحية ، وما يتصف به الاعداء من قسوة تجعلهم يتصرفون مع هذا الفتى بمثل هذا السلوك .

ويصوّر كتاب اللهوف مشهداً آخر من مشاهد تلك الواقعة ، وهو

بروز علي الأكبر للقتال ، وكان مشهداً مثيراً حقاً من جميع ابعاده وجوانبه ؛ فهو مثير من جهة الامام الحسين ، ومثير من جهة هذا الشاب علي الأكبر ، ومثير من جهة النساء وخاصة عفته زينب الكبرى . وذكروا أن علياً الأكبر كان بين الثامنة عشرة والخامسة والعشرين سنة من عمره ، أي إنه كان في الثامنة عشرة من عمره على أقل التقادير ، أو ما بينها وبين الخامسة والعشرين ، أو في الخامسة والعشرين على أعلى التقادير .

قال الراوي : «خرج علي بن الحسين ، وكان اصبح الناس وجهاً وأحسنهم خلقاً ، فاستأذن أباه في القتال ، فأذن له» .

لما جاءه القاسم بن الحسن واستأذنه ، لم يأذن له في بداية الامر ، وبعد أن ألح الغلام أذن له . أما بالنسبة لعلي بن الحسين ، بما أنه ابنه ، فما إن استأذن حتى أذن له . «ثم نظر إليه نظرة آيس منه وأرخى عليه عينيه وبكى» .

هذه هي إحدى الخصائص العاطفية التي يتميز بها المسلمون ، وهي البكاء عند المواقف والاحداث المثيرة للعواطف ، فأنتم تلاحظون أنه ﷺ بكى في مواقف متعددة ، وليس بكاؤه عن جزع ، ولكنه لشدة العاطفة . والاسلام ينمي هذه العاطفة لدى الفرد المسلم .

ثم قال : «اللهم اشهد فقد برز إليهم غلام اشبه الناس خلقاً وخلقاً ومنطقاً برسولك» .

أريد أن أبين لكم هنا مسألة ، وهي أن فترة الطفولة التي عاشها الحسين إلى جنب جده ، كان النبي ﷺ يحبه فيها كثيراً ، وكان هو بدوره أيضاً شديد الحب لرسول الله ﷺ ، وكان تقريباً في السادسة أو السابعة من عمره عند وفاة الرسول ، فبقيت صورته عالقة في ذهنه ، وبقي حب الرسول ﷺ متجذراً في اعماق قلبه ، ثم رزقه الله فيما بعد ولداً هو علي الأكبر . مضت الايام وشب هذا الفتى وإذا به

يشبه في خلقته رسول الله تمام الشبه ، فترسّخ حبّه في قلب الحسين كحبّه للنبي ، فكان هذا الفتى يشبه النبي في شكله وشمائله وفي صوته وكلامه وفي أخلاقه ، ويحمل نفس ذلك الكرم وشرف المحتد . ثم قال ﷺ : «وَكُنَّا إِذَا اشْتَقْنَا إِلَى نَبِيِّكَ نَظَرْنَا إِلَيْهِ» ، ثم صاح

الحسين ﷺ : «يا ابن سعد قطع الله رحمك كما قطعت رحمي» .

فتقدم على الأكبر نحو القوم فقاتل قتالاً شديداً وقتل جمعاً كثيراً ، ثم رجع إلى أبيه وقال : «يا أبة العطش قد قتلني ، وثقل الحديد قد أجهدني ، فهل إلى شربة ماء من سبيل ؟» .

فقال له الحسين ﷺ : «قاتل قليلاً فما أسرع ما تلقى جدك محمداً ﷺ فيسقيك بكأسه الأوفى شربة لا تظمأ بعدها» ، فرجع إلى موقف النزال وقاتل أعظم القتال ، وبعد أن ضُرب نادى : «يا أبتاه عليك السلام . هذا جدي يُقرئك السلام ويقول لك عجل القدوم علينا» .

هذه مشاهد مروّعة من تلك الواقعة الخالدة .

وجرت أيضاً في يوم الحادي عشر من المحرم ، الذي يعتبر يوم زينب الكبرى ﷺ ، مصائب فاجعة ؛ فهي قد أخذت على عاتقها منذ لحظة استشهاد الحسين ثقل الأمانة ، وقطعت ذلك الشوط بكل شجاعة واقتدار كما هو خليف بنت أمير المؤمنين ﷺ ؛ وهم الذين استطاعوا تخليد الاسلام وصيانة معالم الدين . ولم تكن واقعة الطفوف هذه استنقذاً لحياة شعب أو حياة أمة فحسب ، وإنما كانت استنقذاً لتاريخ بأكمله ؛ فالامام الحسين ﷺ ، واخته زينب ﷺ ، واصحابه وأهل بيته ، انقذوا التاريخ بموقفهم البطولي ذاك .

السلام عليك يا أبا عبد الله وعلى الأرواح التي حلت بفنائك . عليك مني سلام الله أبداً ما بقيت وبقي الليل والنهار ، ولا جعله الله آخر العهد مني لزيارتك . السلام على الحسين وعلى علي بن الحسين وعلى أولاد الحسين وعلى أصحاب الحسين .

## دراسات

الشيخ  
محمد مهدي الأصفى

# حدود الله

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تلك حدود الله فلا تقربوها﴾<sup>(١)</sup>.



(١) البقرة : ١٨٧ .

فيما يلي اذكر طائفة من الحقائق التي يقررها القرآن لتوضيح معنى حدود الله من خلال كتاب الله ، ثم ندخل بعد ذلك في تفاصيل البحث عن خصائص الالتزام بحدود الله في الدنيا والآخرة ، ومباحث أخرى تتعلق بحدود الله .

وإليك فيما يلي هذه النقاط واحدة بعد أخرى .

١ - يقرر القرآن الكريم أن الكون كله لله ، ليس له فيه شريك ، وهو سبحانه يفعل ما يشاء ، ولا يسأل عما يفعل . يقول تعالى : ﴿رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً﴾<sup>(٢)</sup> . ﴿قل أغير الله أبغي رباً وهو رب كل شيء﴾<sup>(٣)</sup> . ﴿فلله الحمد رب السموات ورب الأرض رب

(٢) المزمّل : ٩ .

(٣) الانعام : ١٦٤ .



العالمين ﴿٤﴾ .

والرب في هذه الآيات يعني المالك . ويقول تعالى : ﴿له ملك السموات والأرض﴾ (٥) . ﴿ولله ملك السموات والأرض﴾ (٦) .

٢ - والله تعالى خلق الأرض للإنسان . يقول تعالى : ﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً﴾ (٧) .

٣ - وسخر الأرض والسماء للإنسان . يقول تعالى : ﴿ألم ترؤا أن الله سخر لكم ما في السموات وما في الأرض﴾ (٨) . ﴿وسخر لكم الأنهار \* وسخر لكم الشمس والقمر دائبين﴾ (٩) . ﴿وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً﴾ (١٠) .

٤ - وأباح الله تعالى لنا التصرف في ملكه . يقول تعالى : ﴿هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها﴾ (١١) . ﴿كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين﴾ (١٢) . ﴿يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالاً طيباً﴾ (١٣) . ﴿يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾ (١٤) . ﴿وكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً﴾ (١٥) . ﴿اليوم أحل لكم الطيبات﴾ (١٦) . ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع﴾ (١٧) .

٥ - ولم يطلق الله تعالى أيدي عباده في التصرف في ملكه ، وإنما حدد لهم حدود عرفها لهم ، وأباح لهم التصرف ضمن هذه الحدود ، وحرّم عليهم التصرف في ملكه خارجها . يقول تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه﴾ (١٨) . ﴿إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله﴾ (١٩) . ﴿حرّم عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الاخت ...﴾ (٢٠) . ﴿وذروا ما بقي من الربا﴾ (٢١) . ﴿وذروا ظاهر الإثم وباطنه﴾ (٢٢) .

٦ - ونهانا الله تعالى عن تجاوز حدوده . يقول تعالى : ﴿تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون﴾ (٢٣) . ﴿ومن يتعد

(٤) الجاثية : ٣٦ .

(٥) الحديد : ٢ .

(٦) النور : ٤٢ .

(٧) البقرة : ٢٩ .

(٨) لقمان : ٢٠ .

(٩) إبراهيم : ٣٢ - ٣٣ .

(١٠) النحل : ١٤ .

(١١) الملك : ١٥ .

(١٢) البقرة : ٦٠ .

(١٣) البقرة : ١٦٨ .

(١٤) البقرة : ١٧٢ .

(١٥) المائدة : ٨٨ .

(١٦) المائدة : ٥ .

(١٧) النساء : ٣ .

(١٨) المائدة : ٩٠ .

(١٩) البقرة : ١٧٣ .

(٢٠) النساء : ٢٣ .

(٢١) البقرة : ٢٧٨ .

(٢٢) الانعام : ١٢٠ .

(٢٣) البقرة : ٢٢٩ .

(٢٤) الطلاق : ١ .

(٢٥) النساء : ١٤ .

(٢٦) البحار ٧٠ : ٢٨٥ .

(٢٧) النساء : ١٤ .

(٢٨) البحار ٢ : ١٧٠ ، ح ٦ .

(٢٩) البحار ٢ : ١٧٠ ، ح ٧ .

(٣٠) البحار ٢ : ١٧٠ ، ح ٨ .

حدود الله فقد ظلم نفسه» (٢٤) . ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها﴾ (٢٥) .

٧- والالتزام بحدود الله تعالى ، والعمل والتحرك والتصرف داخل هذه الحدود ، وعدم تجاوز هذه الحدود هي (التقوى) ، وقد سئل الامام الصادق عليه السلام عن التقوى فقال : «ألا يفقدك الله حيث أمرك ، ولا يراك حيث نهاك» (٢٦) .

٨- والعصيان هو تجاوز الحدود الالهية . يقول تعالى : ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها﴾ (٢٧) .

وهو في مقابل التقوى ، فإن التقوى هي الالتزام بالحدود الالهية ، والعصيان هو الخروج من حدود الله ، وهو الذنب والفجور والمشاقة .  
٩- إن رسالة الدين في حياة الانسان هي تحديد منطقة الرخصة التي يجوز للانسان أن يتحرك فيها .

وبهذه الحدود يعرف الانسان ما يجوز له وما لا يجوز في دين الله ، وهي حدود دين الله تعالى .

روى البرقي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام : «إن للدين حدوداً كحدود بيتي هذا ، وأوماً بيده إلى جدار فيه» (٢٨) .

وعن الصادق عليه السلام : «ما من شيء إلا وله حدود كحدود داري هذه ، فما كان في الطريق فهو من الطريق ، وما كان في الدار فهو من الدار» (٢٩) .

وعن أبي عبد الله عليه السلام : «ما خلق الله حلالاً ولا حراماً إلا وله حد كحدود داري هذه . ما كان منها من الطريق فهو من الطريق ، وما كان من الدار فهو من الدار ، حتى أرش الخدش فما سواه والجلدة ونصف الجلدة» (٣٠) .

وعن أبي لبيد عن أبي جعفر عليه السلام أنه أتاه رجل بمكة فقال له : «يامحمد بن علي ، أنت الذي تزعم أنه ليس شيء إلا وله حد ؟ فقال أبو جعفر : نعم ، أنا أقول إنه ليس شيء مما خلق الله صغيراً وكبيراً إلا وقد جعل الله له حداً ، إذا جاوز به ذلك الحد فقد تعدى حد الله فيه . فقال : فما حد

مائدتك هذه ؟ قال : تذكر اسم الله حين توضع ، وتحمد الله حين ترفع ، وتقم (\*) ما تحتها» (٢١).

إذن مهمة الدين في حياة الانسان تنظيم حياة الانسان ضمن الحدود والضوابط التي تقررها الشريعة .

وهذه الحدود هي الحرمات التي حظرها الله تعالى على الناس . فأباح الله تعالى لهم ما يقع ضمن هذه الحدود ورحّص لهم فيه ، وحرّم عليهم أن يرتكبوا ما حرّمه الله تعالى عليهم ، وأن يتجاوزوا ويتعدوا حدود ما أباح الله تعالى لهم إلى ما حرّمه عليهم .

١٠ - الحدود والفرائض . وإلى جانب الحدود شرع الله تعالى على عباده فرائض وواجبات ، كالصلاة والصوم والحج والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : يقول تعالى : ﴿واقموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين﴾ (٢٢) . ﴿يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام﴾ (٢٣) . ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً﴾ (٢٤) . ﴿ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف﴾ (٢٥) . ﴿انفروا خفافاً وثقلاً وجاهدوا بأموالكم وانفسكم في سبيل الله﴾ (٢٦) .

والشريعة هي مجموعة الفرائض التي فرضها الله تعالى على عباده ، والحدود التي حرّمها الله عليهم وحدد بها ما أحله على الناس وما حرّمه عليهم .

فأوجب الله تعالى مثلاً على الناس الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والنصيحة والتعليم والإرشاد الواجبين .

وهما مما فرضه الله تعالى على الناس من الكلام ، ثم أباح لهم أن يتكلموا وجعل للكلام الذي رخص فيه حدوداً .

منها ألا يكون كذباً ، وألا يكون غيبة ، وألا يكون تشهيراً وتسقيطاً ، وألا يكون همزاً ولمزاً ، وألا يكون شتماً ولعنأ .

وهذه هي الحدود التي رسمها الله تعالى للناس في الكلام .

(\*) قم ما على المائدة: أكله فلم يدع منه شيئاً ، ويريد الامام عليه السلام أن يتناول الأكل ما تساقط من يده على المائدة.

(٢١) م . ن . ح . ١٠ .

(٢٢) البقرة : ٤٣ .

(٢٣) البقرة : ١٨٣ .

(٢٤) آل عمران : ٩٧ .

(٢٥) آل عمران : ١٠٤ .

(٢٦) التوبة : ٤١ .

فأباح لهم الكلام الذي يقع ضمن هذه الحدود ، وحرّم عليهم الكلام الذي يخرج عن هذه الحدود .

ففي الكلام اذن واجبات وفرائض وحدود ومحرمات .  
والدين هو مجموعة الفرائض و (الحدود) التي امر الله تعالى بها الناس ونهاهم عنها .

وقد بين الله تعالى لنا في كتابه طائفة مما فرضه على العباد ومما حرّمه عليهم . يقول تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى ﴾ (٣٧) . ﴿ كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين ﴾ (٣٨) . ﴿ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام ﴾ (٣٩) . ﴿ كتب عليكم القتال وهو كره لكم ﴾ (٤٠) .

(٣٧) البقرة: ١٧٨ .

(٣٨) البقرة: ١٨٠ .

(٣٩) البقرة: ١٨٣ .

(٤٠) البقرة: ٢١٦ .

وعن المحرمات يقول تعالى : ﴿ قل تعالوا أتل ما حرّم ربكم عليكم ألاّ تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من اطلاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلاّ بالحق ذلكم وصّاكم به لعلكم تعقلون ﴾ \* ولا تقربوا مال اليتيم إلاّ بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا تكلف نفساً إلاّ وسعها وإذا حكمتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصّاكم به لعلكم تذكرون ﴾ (٤١) .

(٤١) الانعام: ١٥١ - ١٥٢ .

١١ - شمولية الحدود والفرائض . وتشمل الفرائض والحدود  
الالهية كل ما يحتاجه الانسان في تكامله وحركته إلى الله .

وما من شيء يقرب الانسان إلى الله ويبعده عن (الأنا) و (الهوى) ،  
إلاّ وقد شرّعه الله تعالى لعباده فيما شرّع لهم من الحدود والفرائض .  
عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : « قال رسول الله ﷺ في خطبته في حجة الوداع : ايها الناس ، ما من شيء يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار ، إلاّ وقد نهيتكم عنه وامرتمكم به » (٤٢) .

(٤٢) البحار ١٧١: ٢ ، ح ١١ .

١٢ - منطقة الرخصة ومنطقة الحظر . إذن مساحة الحياة تنشط

إلى منطقتين : منطقة (الرخصة) ومنطقة (الحظر) .

ومنطقة الرخصة هي المساحة التي أباحها الله تعالى لعباده وحللها لهم ، من الأكل والشرب والزواج والتمتع بالطيبات والتجارة والسياسة والرياضة والعلاقات الاجتماعية وما يتصل بذلك .

ومنطقة الحظر هي المنطقة التي حرّمها الله تعالى ونهى عنها ، كالربا والفحشاء والغيبة واللغو المحرم والظلم والعدوان وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير وشرب الخمر والخيانة والغش وما يشبه ذلك مما حرّمه الله .

١٣ - خصائص المنطقتين . ولكل من هاتين المنطقتين خصائص وآثار في حياة الانسان ، وهذه الخصائص والآثار تعم الدنيا والآخرة .

والله تعالى يقول عن آثار العيش في منطقة الرخصة ، وهي منطقة التقوى : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً \* ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ (٤٣) .

(٤٣) الطلاق : ٢ - ٣ .

ويقول تعالى : ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ﴾ (٤٤) .

(٤٤) الاعراف : ٩٦ .

وعن علي عليه السلام : « لو حفظتم حدود الله لعجل لكم من فضله الموعود » (٤٥) .

(٤٥) غرر الحكم .

وعن العيش في منطقة الحظر يقول تعالى : ﴿ ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نار جهنم خالداً فيها ﴾ (٤٦) . ﴿ ومن يتعد حدود

(٤٦) النساء : ١٤ .

الله فقد ظلم نفسه ﴾ (٤٧) . ﴿ تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون ﴾ (٤٨) .

(٤٧) الطلاق : ١ .

(٤٨) البقرة : ٢٢٩ .

وفيما يلي نوضح ونشرح خصائص وخصائص منطقة التقوى :

الخصلة الاولى : أنها تنسجم مع فطرة الانسان ، فإن الله تعالى هو الذي ركب فطرة الانسان وخلقها ، وهو اعلم بها من غيره ، وهو الذي

شرع هذا الدين ورسم للانسان حدود الحلال والحرام .  
ومن الطبيعي أن تكون هذه الحدود التي شرعها الله منسجمة مع  
الفطرة التي خلقها . يقول تعالى عن التطابق بين فطرة الانسان ودين  
الله : ﴿ فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين  
القيم ﴾ (٤٩) .

(٤٩) الروم : ٣٠ .

فإذا استسلم الانسان للهوى وخرج من حدود الله تعالى كانت  
مصيبته الاولى في نفسه ، وهي محنة التناقض وعدم الانسجام بين  
حياته التي يعيشها والفطرة التي ركبها الله تعالى فيه .

**الخصلة الثانية :** أنها منطقة آمنة لا يخترقها الشيطان ولا ينفذ إليها  
الهوى .

وإذا حصّن الانسان نفسه بحدود الله تعالى فلم يتجاوزها ، أمّن  
من سلطان الشيطان على نفسه ومن نفوذ الهوى . يقول تعالى : ﴿ إن  
الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾ (٥٠) .

(٥٠) الاعراف : ٢٠١ .

فلا يستطيع الشيطان أن يقتحم عليهم حدود الله التي تحصّنوا بها  
وإنما يمسه من بعيد طائف منه ، فإذا مسهم من الشيطان طائف  
تذكروا سريعاً ، وكأنّ إنذاراً مبكراً ينذرهم ويبصرهم بالعدو ليأخذوا  
حذرهم منه .

وبعكس ذلك فإن المنطقة الخارجة عن حدود الله تعالى منطقة غير  
أمنية وغير حصينة ، ومعرضة لغزو الهوى والشيطان .

والانسان في هذه المنطقة مكشوف تماماً لغزو الهوى والشيطان .  
يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : « اعلموا عباد الله أن التقوى  
دار حصن عزيز ، والفجور دار حصن ذليل لا يمنع أهله ، ولا يحرز من لجأ  
إليه » (٥١) .

(٥١) نهج البلاغة ، ج ١٥٧ .

ويقول عليه السلام : « إن التقوى في اليوم الحرز والجنة ، وفي غد الطريق إلى

(٥٢) م. ن. خ. ١٩٠.

(٥٣) و٥٤ و٥٥ و٥٦) غرر

الحكم للأمدى .

(\*) كذا ورد في المصدر، وهو إما اشتباه النقل؛ لأن التقوى مؤنثة، والصواب «فإنها»، وأما أن يكون الضمير عائداً إلى المصدر (اللجوء) المفهوم من «الجأوا»، أي «فإن اللجوء إلى التقوى» الخ.

الجنة» (٥٢) .

وعنه عليه السلام أيضاً : «التقوى حصن حصين لمن لجأ إليه» (٥٣) .

وعنه عليه السلام أيضاً : «التقوى حرز لمن عمل بها» (٥٤) .

وعنه عليه السلام أيضاً : «امنع حصون الدين التقوى» (٥٥) .

وعنه عليه السلام أيضاً : «الجأوا إلى التقوى فإنه (\*) جنة من لجأ إليها حصنته، ومن اعتمد بها عصمته» (٥٦) .

والتقوى ضمن حدود الله تعالى في الحلال والحرام ، وهي دار حصن عزيز كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام .

والحصن العزيز هو الحصن الذي لا يتمكن العدو من النفوذ فيه . والفجور - وهو تجاوز حدود الله تعالى - دار حصن ذليل كما يقول عليه السلام والحصن الذليل هو الذي يسهل للعدو النفوذ فيه ، والتسلق إليه .

إذن منطقة (الفجور) منطقة مكشوفة للشيطان والهوى ، ومنطقة (التقوى) منطقة منيعة ومحمية وأمنية ، لا يستطيع الشيطان أن يخترقها وينفذ إليها .

الخصلة الثالثة : وليس شيء كالالتزام بحدود الله تعالى يقرب الانسان إلى الله تعالى .

وليس شيء يبعد الانسان عن الله ويحجبه عنه تعالى مثل العصيان وتجاوز حدود الله .

يقول أمير المؤمنين عليه السلام في الوصية بالتقوى : «اوصيكم عباد الله بتقوى الله التي هي الزاد وبها المعاذ ، زادٌ مُبلغ ، ومعاذٌ مُنجح» (٥٧) .

وفي هذه الوصية يصف الامام عليه السلام التقوى بوصفه (معاذ) يعيذ الانسان من الشيطان ، و (زاد) يوصل الانسان إلى الله .

والتقوى معاذ مُنجح كما يقول الامام عليه السلام وزاد مُبلغ يبلغ الانسان

(٥٧) نهج البلاغة، خ ١١٤.

إلى الله ، والطريق إلى الله شاق وعسير وطويل ، ولا بد في هذا الطريق من زاد وخير الزاد التقوى .

(٥٨) البقرة : ١٩٧ .

يقول تعالى : ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ﴾ (٥٨) .

وبنفس المضمون يُحدثنا أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً عن التقوى .

(٥٩) غرر الحكم للآمدي .

يقول عليه السلام : « إِنْ لَتَقْوَى اللَّهِ حَبْلاً وَثِيقاً عُرْوَتَهُ ، وَمَعْقَلاً مَنِيْعاً ذَوْرَتَهُ » (٥٩) .

إن التقوى تشد الإنسان بالله تعالى شداً وثيقاً ، فهي حبل وثيق عروته كما يقول الامام عليه السلام ، وفي نفس الوقت هي معقل منيع لا يستطيع الشيطان أن يفتححه ولا أن ينفذ فيه .

الخصلة الرابعة : أن في التقوى سعة ، وفي الفجور ضيق ، فإن مساحة حدود الله تسع الناس جميعاً ، وتمكنهم من حقوقهم ومن الحياة الكريمة ، بينما يضيق الظلم والفجور بالناس حتى بشخص الظالم الذي يمارس الظلم ويتجاوز حدود الله تعالى ، فإن الظلم الذي يمارسه الظالم لا محالة يرجع إليه بصورة أو أخرى . يقول تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (٦٠) .

(٦٠) البقرة : ٢٢٩ .

والعلاقة بين الظلم الصادر من الظالم للآخرين والظلم العائد إليه من اسرار هذا الدين ، وليس هنا مجال الحديث عنه .

ولا يقتصر الامر على ذلك ، فإن الظالم حيث يسلب الأمن والتقوى من المجتمع يسلب الأمن من نفسه بالضرورة ؛ لأنه عضو في نفس المجتمع ، ينعم بما ينعم به الآخرون ، ويشقى بما يشقى به الآخرون . ولذلك يقول تعالى عن قصاص القاتل : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (٦١) .

(٦١) البقرة : ١٧٩ .

ورغم أن في القصاص هلاك القاتل وقته ، ولكن في هذا الهلاك حياة المجتمع وسلامته .

والقصاص حد من حدود الله ، فإذا التزم الناس بهذا البعد الإلهي



عاش الناس جميعاً في أمان وسلام ، وإذا تخطوا هذا الحدّ فقدوا جميعاً الأمن والسلام في حياتهم .

وهذه (الحياة) هي التي يذكرها الله في كتابه : ﴿ يا أيها الذين آمنوا استجبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ﴾ (٦٢) .

(٦٢) الأنفال : ٢٤ .

ففي هذه الدعوة حياة المجتمع وإن كان يتضرر فيها الفرد أحياناً ، إلا إنه لا قيمة لمصلحة الفرد إذا كانت تضر بمصلحة المجتمع .

والمنطقة الداخلة ضمن حدود الله تسع الناس جميعاً ، وبوسع الناس جميعاً أن يعيشوا في هذه المنطقة ضمن حدود الله ، وأن ينعموا فيها بالأمن والسلام في دنياهم وآخرتهم .

وإذا وجد أحد في هذه المنطقة (الواسعة) ضيقاً ، فخرج منها متعدياً حدود الله ، وهو يتصور أن في تجاوز حدود الله سعة ، فسوف يضيق به الظلم هذه المرة ، وسوف يكون الظلم أضيق به من العدل .

وهذه من حقائق هذا الدين واسرارها . يقول تعالى : ﴿ ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ﴾ (٦٣) .

(٦٣) الطلاق : ١ .

إن الذي يتعدى حدود الله ليوسع على نفسه ، فقد ظلم نفسه - كما يقول القرآن - وإن أوهمه أهواؤه أنه خرج بذلك من ضيق العدل إلى سعة الظلم ؛ فإن هذا الظلم يصيبه أكثر مما يصيب الآخرين - ويهدم فطرته وضميره - أولاً ، وهو خسارة فادحة في شخصية الانسان ويحجبه عن الله تعالى ثانياً ، وهي خسارة افدح من الخسارة الاولى ، ويعود عليه الظلم ثالثاً ؛ فإن الأمن الذي سلبه من المجتمع والفجور الذي مكّنه من المجتمع يمسه أيضاً كما يمسه الآخرون ، فإن الناس ينعمون جميعاً بالأمن ويشقون بالظلم ، ولا يخرج الظالم نفسه من هذه القاعدة .

يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في سياق الثورة الاجتماعية والإدارية ، التي قام بها بعد مصرع الخليفة الثالث عثمان

(٦٤) نهج البلاغة، ج ١٥.

ابن عفان في الأمر بالعدل والمنع من الظلم : «فإن في العدل سعة ، ومن ضاق عليه العدل فالظلم عليه أضيق» (٦٤) .

وقد أعلن الامام هذه الحقيقة للناس عندما وجد بعض الناس في سياسة الامام ﷺ المالية ضيقاً ، بالقياس إلى ما كانوا يجدونه في سياسة عثمان بن عفان من قبل من الاسراف في الأموال ، فبين لهم الامام أن الذي يجد في العدل ضيقاً ويتجاوز العدل إلى الظلم ليوسع على نفسه ، سوف يضيق بالظلم ، أكثر مما ضاق بالعدل ، ويكون الظلم اضيق عليه من العدل .

ونحن لا نعرف ، هل كان الناس الذين خاطبهم الامام ﷺ يومئذ بهذا الخطاب يعرفون عمق هذا المفهوم الذي القاه ﷺ يومئذ أم لا ؟ ولكننا نعلم أن الامام ﷺ القى إليهم يومئذ مفهوماً من اعمق مفاهيم هذا الدين .

فرغم أن منطقة (الرخصة) في هذا الدين محدودة بحدود الله ، من كل جانب ، كان في هذه المنطقة سعة للناس جميعاً ، ومن ضاق عليه العدل والتقوى على سعتهما ، فسوف يضيق به الظلم والفجور لا محالة .

#### الخلاصة الخامسة : التيسير والتسهيل .

إن الحياة في المساحة التي تدخل ضمن حدود الله حياة مباركة ، كثيرة البركات ، ميسرة بعيدة عن التعقيدات ، وعكس ذلك العيش خارج حدود التقوى ، فهو مقرون بالعسر والضنك والشدة والتعقيد .

وقد قسم الله تعالى للناس من الرحمة والبركة والفرج والتيسير والتسهيل في دائرة التقوى ، وضمن حدود الله ما لا يرزقه احداً خارج هذه المساحة .

وإليك بعض الشواهد على ذلك من كتاب الله :

أ - أن الله تعالى يفتح للناس بالتقوى ابواب الرحمة والبركة من الارض والسماء . يقول تعالى : ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون ﴾ (٦٥) .

(٦٥) الاعراف : ٩٦ .

ب - ويرزقهم بالتقوى من حيث لا يحتسبون . يقول تعالى : ﴿ ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾ (٦٦) .

(٦٦) الطلاق : ٢ .

والذي يجعل الله له بالتقوى مخرجاً من كل ضيق ، ورزقاً من كل فقر من حيث لا يحتسب ، لا يواجهه في حياته فقراً وبؤساً ولا يواجهه طريقاً مسدوداً .

ج - ويجعل الله تعالى لهم من أمرهم يسراً كلما واجهوا في حياتهم عسراً وشدة . يقول تعالى : ﴿ ومن يتق الله يجعل له من أمره يسراً ﴾ (٦٧) .

(٦٧) الطلاق : ٤ .

د - ويجعل الله تعالى للناس في حياتهم بالتقوى فرجاً من كل ضيق ، ومهما ضاقت عليهم مسالك الحياة فرّجها الله تعالى لهم بالتقوى . يقول تعالى : ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ﴾ (٦٨) .

(٦٨) الطلاق : ٢ .

وروى عن رسول الله ﷺ : «ولو أن السموات والارض كانتا رتقاً على عبد ثم اتقى الله لجعل له منه فرجاً ومخرجاً» (٦٩) .

(٦٩) البحار ٧٠ : ٢٨٥ .

ولما ودع الامام أمير المؤمنين عليه السلام أبا ذر عليه السلام عندما نفاه الخليفة الثالث إلى الربرة قال له : «يا أباذر ، إنك غضبت لله فارح من غضبت له ... ولو أن السموات والأرضين كانتا على عبد رتقاً ثم اتقى الله لجعل الله له فيها مخرجاً . لا يؤنسك إلا الحق ، ولا يوحشك إلا الباطل» (٧٠) .

(٧٠) نهج البلاغة ، خ ١٢٠ .

وعن الامام الجواد عليه السلام : «إن الله يقي بالتقوى عن العبد ما عذب عنه عقله ، ويجلي بالتقوى عنه غماه وجهله ، وبالتقوى نجا نوح ومن معه في السفينة ، وصالح ومن معه من الصاعقة» (٧١) .

(٧١) البحار ٧٨ : ٣٥٩ .

الخصلة السادسة : الأمن والسلام بين الناس .

الخصلة السادسة لمنطقة التقوى أنها منطقة أمينة ينعم فيها الانسان بالأمن والسلام في الدنيا والآخرة ، فإن الأمن الاجتماعي والسياسي والاقتصادي في الدنيا يقوم غالباً على نوع العلاقة فيما بين الناس ، فإذا كانت هذه العلاقة قائمة على أساس العدل والانصاف والتقوى والتزام حدود الله ، فإن الناس ينعمون في هذه المساحة بالأمن والسلام لا محالة .

عن رسول الله ﷺ : «المسلم أخو المسلم لا يخرقه ولا يكذبه ولا يخذله . كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه» (٧٢) .

وعن رسول الله ﷺ : «كل مسلم على مسلم محرم» (٧٣) .

وعن رسول الله ﷺ : «المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله . المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله» (٧٤) .

إذن هذه المنطقة في حياة الناس منطقة أمينة حصينة ، إذا دخلها الناس أمن بعضهم من بعض ، وسلم بعضهم من بعض ، ففي هذه المنطقة كل المسلم على المسلم حرام دمه وعرضه وماله . وفي هذه المنطقة يأمن المسلم على نفسه من الغش والغدر والخيانة والكذب من ناحية أخيه المسلم .

وعن رسول الله ﷺ : «ليس منا من غشنا» .

وتواترت عن الرواة خطبة رسول الله ﷺ في منى بعد أن قضى مناسكها في حجة الوداع ، وهي من غرر خطب رسول الله ﷺ وروائع كلماته .

عن الامام الصادق عليه السلام : «إن رسول الله ﷺ وقف بمنى حين قضى مناسكها من حجة الوداع ، فقال : أيها الناس ، اسمعوا ما أقول لكم واعقلوه عني ، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم في هذا الموقف بعد عامنا هذا ، ثم قال : أي يوم اعظم حرمة ؟ قالوا : هذا اليوم . قال : فأأي شهر اعظم حرمة ؟ قالوا : هذا الشهر . قال :

(٧٢) أخرجه الترمذي ٤ : ٣٢٥ .

(٧٣) أخرجه أحمد بن حنبل في المسند ٤ : ٤٠٥ .

(٧٤) أخرجه أحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٤٩٠ .

فأي بلد اعظم حرمة ؟ قالوا : هذا البلد . قال : فإن دماءكم وأموالكم عليكم حرام ، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقونه فيسألکم عن اعمالکم . ألا هل بلغت ؟ قالوا : نعم . قال : اللهم اشهد .

ألا من كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ؛ فإنه لا يحل دم امرئ مسلم ولا ماله إلا بطيبة نفسه ، ولا تظلموا انفسكم ولا ترجعوا بعدي كفاراً<sup>(٧٥)</sup> .

(٧٥) الكافي ٧: ٢٧٣. وسائل  
الشيعة ١٩: ٣.

هذا عن الأمن (في الدنيا) .

وأما عن الأمن (في الآخرة) . فليس يعيش أحد منطقة التقوى في الدنيا إلا ويرزقه الله تعالى الأمن في الآخرة ، ويجعله يومئذ من الأمنين . يقول تعالى : ﴿إن المتقين في مقام أمين﴾<sup>(٧٦)</sup> . ويقول تعالى : ﴿لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون﴾<sup>(٧٧)</sup> .

(٧٦) الدخان : ٥١ .

(٧٧) الانعام : ١٢٧ .

الخصلة السابعة : أن باطن منطقة التقوى هو الجنة وباطن منطقة الفجور هو النار . والذين يعيشون في دائرة حدود الله تعالى إنما يعيشون في الجنة وهم لا يعرفون ، والذين يعيشون خارج دائرة حدود الله تعالى وفي مساحة الحرام والفجور إنما يعيشون في جهنم وهم لا يعرفون . يقول تعالى عن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً : ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيراً﴾<sup>(٧٨)</sup> .

(٧٨) النساء : ١٠ .

إن لاعمالنا ظاهراً وباطناً ، ونحن لا نعرف من اعمالنا في هذه الدنيا إلا الوجه الظاهر منها ، والله تعالى يخبرنا في كتابه عن الوجه الباطن منها وباطن أكل أموال اليتامى من أكل النار ، كما أن باطن الغيبة هو أكل لحم الشخص ، الذي يستغيبه الانسان ، ميتاً . يقول تعالى : ﴿ولا يغتب بعضكم بعضاً أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً فكرهتموه﴾<sup>(٧٩)</sup> .

(٧٩) الحجرات : ١٢ .

والروايات الواردة في تفسير هذه الآية الكريمة تؤكد هذا المعنى .  
كما أن باطن الاعمال الصالحة هو نعم الله تعالى ومواهبه في  
الجنة ، ففي الآخرة لا يجد الناس في الجنة والنار إلا اعمالهم التي  
سبقتهم إليهما . يقول تعالى : ﴿ يومئذ يصدر الناس اشتاتاً ليروا اعمالهم ﴾  
فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره \* ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴿ (٨٠) .

(٨٠) الزلزلة : ٦-٨ .

إن القرآن يكاد أن يكون صريحاً في أن الناس يلقون اعمالهم  
بنفسها في الآخرة في الجنة والنار ، ولكن بوجهها الحقيقي ، وهو غير  
الوجه الذي كانوا يعرفونها بها في الدنيا . يقول تعالى : ﴿ يوم تجد كل  
نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً  
بعيداً ﴾ (٨١) .

(٨١) آل عمران : ٣٠ .

وعليه فإن الوجه الباطن للاعمال الصالحة هو نعم الجنة ، والوجه  
الباطن للاعمال المحرمة هو النار .

بل الكافر نفسه وقود نار جهنم . يقول تعالى : ﴿ إن الذين كفروا لن  
تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً وأولئك هم وقود النار ﴾ (٨٢) .  
ويقول تعالى : ﴿ فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة ﴾ (٨٣) . ويقول  
تعالى : ﴿ قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة ﴾ (٨٤) .

(٨٢) آل عمران : ١٨٠  
(٨٣) آل عمران : ١٢٥  
(٨٤) آل عمران : ١٢٥

سجنهم محيطة بالكافرين في الدنيا ، ولا يغير هذه الحقيقة  
سجن أن الكافرين لا يشعرون بأن جهنم محيطة بهم في دنياهم  
قبل الآخرة . يقول تعالى : ﴿ ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة  
بالكافرين ﴾ (٨٥) . ويقول تعالى : ﴿ يستعجلونك بالعذاب وإن جهنم لمحيطة  
بالكافرين ﴾ (٨٦) .

(٨٥) آل عمران : ١٨٠  
(٨٦) آل عمران : ١٨٠

وهذه الآية الكريمة من سورة العنكبوت ذات دلالة عميقة ؛ فإن  
الكفار يتحدثون النبي ﷺ ويستعجلون بعذاب النار التي يوعدهم  
رسول الله ﷺ بها ، وهم لا يعلمون أن جهنم محيطة بهم في دنياهم  
قبل الآخرة .

## حوار اصحاب الجنة والنار :

وكما في الدنيا يتحاور اصحاب الجنة واصحاب النار ، كذلك في الآخرة يحاور اصحاب الجنة اصحاب النار وبينهما حجاب .

ففي الدنيا قد يتحاور اصحاب الجنة واصحاب النار في اسرة واحدة ، وفي محل واحد ، وتحت سقف واحد وبينهما حجاب ، كذلك في الآخرة يحاور اصحاب الجنة اصحاب النار وبينهما حجاب .

والقرآن يعكس طرفاً من هذا الحوار الذي يجري في الآخرة بين الطائفتين ، كما كان يجري في الدنيا ، والحجاب القائم بينهما في الآخرة هو نفس الحجاب الذي كان يقوم بينهما من قبل في الدنيا : ﴿ ونادى اصحاب الجنة اصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً فهل وجدتم ما وعد ربكم حقاً قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين \* الذين يصّدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً وهم بالآخرة كافرون \* وبينهما حجاب ﴾ (٨٧) .

(٨٧) الاعراف : ٤٤ - ٤٦ .

الخصلة السابعة : أن حدود الله تربة صالحة لنمو المواهب التي اودعها الله تعالى في خلق الانسان ، وتختلف هذه الخاصة عن سابقتها ؛ ففي الخصلة السابقة ذكرت أن الالتزام بحدود الله يستنزل رحمة الله تعالى على الانسان . يقول تعالى : ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ﴾ (٨٨) .

(٨٨) الاعراف : ٩٦ .

وهذه بركات ورحمة يفتحها الله تعالى على الناس من السماء والأرض إذا آمنوا واتقوا .

وهناك بركات ورحمة يفتحها الله تعالى على الناس من داخل المجتمع ، إذا عملوا والتزموا بحدود الله . يقول تعالى : ﴿ ولكم في القصص حياة يا أولي الألباب ﴾ (٨٩) ، فإن هذه الحياة التي يمنحها الله تعالى للناس إذا اخذوا بحدود الله من الجرائم والقصاص ، نابعة من

(٨٩) البقرة : ١٧٩ .

داخل الحياة الاجتماعية .

وهناك مواهب وبركات ورحمة أودعها الله تعالى في فطرة الإنسان وداخل نفسه ، يفجرها ويستخرجها الالتزام والعمل بحدود الله تعالى وفرائضه وأحكامه . وإليك بعض الشواهد على ذلك :

١ - إن الانفاق في سبيل الله ينمي في نفس الإنسان حاله (العطاء) و(الاخلاص) ، وهما من المواهب التي أودعها الله تعالى في نفس الإنسان ، يفجرهما ويستخرجهما وينميهما الانفاق في سبيل الله ، كما أن العمل في سبيل الله - أي عمل - ينمي حالة (الاخلاص) و (قصد القربة) في نفس الإنسان .

٢ - والصلاة تنمي في نفس الإنسان حالة (الذكر) ، و (ذكر الله) من الكنوز التي أودعها الله في نفس الإنسان ، والصلاة تفجره وتستخرجه وتنميها . يقول تعالى : ﴿ وأقم الصلاة لذكري ﴾ (٩٠) .

(٩٠) طه : ١٤ .

٣ - و (التذكر) بمعنى (الانتباه) و (الحذر) من شرك الشيطان ومن الأهواء والفتن حالة أودعها الله تعالى داخل النفس في أصل الخلقة ، والإنسان بفطرته حاذر متذكر منتبه للخطر ، ولكن هذه الموهبة قد تخمد جذوتها ، فإذا اتقى الإنسان الله تعالى وأخذ بالتقوى تذكر وتنبيه للخطر بصورة مبكرة . يقول تعالى : ﴿ إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون ﴾ (٩١) .

(٩١) الاعراف : ٢٠١ .

أرأيت أجهزة الانذار المبكر التي تنذر الإنسان مباغيات العدو ؟ فكذلك التقوى تبعث في نفس الإنسان حالة (التذكر) و (الانتباه) للخطر وتنبه .

هذه الحالة كامنة في نفس الإنسان بالفطرة ، ولكن التقوى تفجرها وتستخرجها وتنميها .

٤ - و (التعفف) حالة كامنة في داخل النفس ، ولكنها تظهر وتنمو كلما كُف الإنسان فرجه ويده ولسانه عن الحرام .



٥ - و (البصيرة) نور اودعها الله تعالى في نفوس الناس بالفطرة ، ولكن هذا النور قد يخبو ويفقد إشراقه ، حتى ينفد وينتهي تماماً ، ويتحول إلى ظلمات بعضها فوق بعض ، فإذا اتقى الانسان الله تعالى وأخذ بالتقوى أعاد الله إليه هذا النور ، وتفجر من داخل نفسه . يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا ﴾ (٩٢) .

(٩٢) الانفال : ٢٩ .

و (الفرقان) بصيرة في نفس الانسان ، يعرف الانسان به الحق من الباطل ، والهدى من الضلال ، فإذا فقد الانسان هذه البصيرة ، فلا يفرق بين الهدى والضلال والحق والباطل . يقول أمير المؤمنين عليه السلام : «التقوى هدى في رشاد ، ونخرج من فساد ، وحرص في اصلاح العباد» .

ويقول عليه السلام في علامات اهل التقوى : «إن لاهل التقوى علامات يعرفون بها ، صدق الحديث ، واداء الأمانة ، والوفاء بالعهد ، وبذل المعروف ، وحسن الخلق ، وسعة الحلم ، واتباع العلم فيما يقرب إلى الله عز وجل» (٩٣) .

(٩٣) الخصال للصدوق  
٢ : ٤٨٣ .

وهذه الخصال التي يذكرها الامام عليه السلام كما هي علامات للتقوى ، كذلك هي آثار ونتائج لها تظهر من داخل النفس وتنمو .

وهذه الخصلة التي ذكرناها للالتزام بحدود الله تعالى والاخذ بها ، هي روح خطبة المتقين المعروفة لأمير المؤمنين عليه السلام في جواب سؤال همام : «فالمتمقون فيها هم اهل الفضائل . منطلقهم الصواب ، وملبسهم الاقتصاد ، ومشبههم التواضع ، غصوا أبصارهم عما حرم الله عليهم ، ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم . عظم الخالق في انفسهم ، فصغر مادونه في اعينهم ... قلوبهم محزونة ، وشرورهم مأمونة ، وأجسادهم خفيفة ، وحاجاتهم خفيفة ، وأنفسهم عفيفة ... أما الليل فصافون أقدامهم تالين لأجزاء القرآن يرتلون ترتيلاً ... وأما النهار فحلما علماء ابرار اتقياء ، قد يراهم الخوف بري القداح ...» (٩٤) .

(٩٤) نهج البلاغة ، خ ١٩٣ .

وهذه خصائص وخصال في النفس تفجرها التقوى وتستخرجها وتنميها ، يشير إليهما الامام علي عليه السلام في هذه الخطبة الشريفة منها

صواب المنطق ، والاقتصاد في الملبس ، والتواضع في المشي ،  
وغضّ الأبصار عن الحرام ، ووقف الاسماع على العلم النافع ، وعِظَم  
الخالق في النفوس ، وحقارة مادونه ، والحزن في القلوب ، وكف  
الشرور والاذى عن الناس ، وعفة النفوس ، والحلم والعلم والبر ،  
والخوف من الله . كل ذلك وغيره من آثار التقوى .

### تجاوز حدود الله :

يستعمل القرآن كلمة العدوان على حدود الله بمعنى تجاوزها  
واختراقها .

ومن يتجاوز حدود الله يظلم نفسه ؛ وذلك أن الله تعالى حدّ هذه  
الحدود لمصلحة الانسان ، ومن يتجاوز حدود الله يتجاوز ما يصلحه  
وينفعه ، ويتجاوز حدود العبودية لله تعالى ، وكل منهما من ظلم  
الانسان لنفسه . يقول تعالى : ﴿ ومن يتعدّ حدود الله فقد ظلم نفسه ﴾ (٩٦) . ﴿ ومن يعص  
الظالمون ﴾ (٩٥) . ﴿ ومن يتعدّ حدود الله فقد ظلم نفسه ﴾ (٩٦) . ﴿ ومن يعص  
الله ورسوله ويتعدّ حدوده يدخله ناراً خالداً فيها ﴾ (٩٧) .

(٩٥) البقرة : ٢٢٩ .

(٩٦) الطلاق : ١ .

(٩٧) النساء : ١٤ .

### المتاخمة لحدود الله :

والحالة الاخرى التي ينهى القرآن عنها هي حالة المتاخمة لحدود  
الله ، وهي أن يتحرك الانسان بالقرب من منطقة الحرام ، وهذه  
المنطقة غير أمينة بالطبع ، وقد نهانا الله تعالى عن القرب من حدوده .  
قال تعالى : ﴿ تلك حدود الله فلا تقربوها ﴾ (٩٨) .

(٩٨) البقرة : ١٨٧ .

والخطر الذي يهدد الانسان في هذه المنطقة على نحوين ، فقد  
يختلط في هذه المنطقة الحلال بالحرام نتيجة للقرب من حدود  
الحرام ، فيرتكب الانسان الحرام من حيث لا يعلم ، وهذه هي منطقة  
الشبهة التي ينزلق فيها الانسان إلى الحرام نتيجة للجهل وعدم التمييز

وعدم الاحتياط والتحفظ من الحرام ، كما يحصل ذلك في معاملات الصرف والقروض المتاخمة للربا . يقول أمير المؤمنين عليه السلام عن هذه المنطقة : «في حلاله حساب ، وفي حرامه عقاب ، وفي الشبهات عتاب» .

والنحو الآخر من خطر المتاخمة لحدود الله خطر الانجذاب إلى الحرام والسقوط فيه ؛ فإن جاذبية الحرام تزداد كلما قرب الانسان من مصدر الحرمة ، فتسلبه الارادة والعقل ، وينزلق في الحرام ، ولا يقوى على دفع إغراء الفتنة وثورة الهوى عن نفسه .

والسبب في ذلك قوة جاذبية الحرام من جانب ، وسهولة الانزلاق إلى الحرام من جانب آخر في هذه المنطقة .

ولذلك حرّم الاسلام خلو الرجل بالأجنبية إذا كانت مثاراً للفتنة . إن هذه المنطقة تقع تحت سلطان الشيطان المباشر ، وهي منطقة سهلة الانزلاق ، وغير آمنة ، لولا أن تتدارك العبد رحمة من عند الله . ولذلك سيّج القرآن مناطق الخطر بسياج واقٍ يقي الانسان من الشيطان ، فأمر النساء ألا يضربن بأرجلهن ليبدين زينتهن ، وأمر الرجال والنساء أن يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم . ويقول تعالى : ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ... ﴾ \* وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ... ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ﴿ (٩٩) .

(٩٩) النور ٣٠ - ٣١ .

وهذه الاحتياطات جميعاً لكي لا يقع الانسان في شرك الشيطان ، في مناطق الاحتكاك غير الآمنة بين الجنسين ، وعلى الشريط الحدودي للمناطق المحرمة ، حيث تقوى جاذبية الحرام ، ويقوى دور الشيطان ، ويسهل الانزلاق إلى الحرام .

#### سياج الحدود الالهية :

الحدود المحرمة والخطرة تسيّج عادة بسياج واقٍ يقي الناس من

الدخول في المنطقة المحرمة ، كما أنها تُعلم بعلامات يهتدي بها الناس ، فلحدود الله علامات ومعالم من جانب ، وسياج واقٍ من جانب آخر .

أما معالم الهدى على هذه الحدود فهم الصالحون من عباد الله ، الذين انعم الله عليهم بنعمة الهداية ، فقد جعلهم الله تعالى أدلاء على صراطه وحدوده ، ودعانا إلى أن نأخذ بطريقهم ونسير على صراطهم ﴿ صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين ﴾ .

وأما السياج الذي يقي الناس من السقوط في الحرام على هذه الحدود فتلاثة : سياج في النفس ، وسياج في المجتمع ، وسياج في الدولة .

أما السياج في النفس (فالتقوى) ؛ فإن التقوى تقي الناس من السقوط في المعاصي .

وأما السياج في المجتمع (فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ؛ فإن هذه الفريضة تحفظ المجتمع من السقوط في الحرام ، وتحفظ حدود الله تعالى .

وأما السياج الثالث فهو نظام الرقابة الاجتماعية ، والجسبة التي تضطلع بها الدولة في الاسلام .

### التقوى السياج العازل على حدود الله :

يقول أمير المؤمنين عليه السلام : «إن تقوى الله حمت أولياء الله محارمه ، والزمتم قلوبهم مخافته ، حتى أسهرت ليلتهم ، واضمأت هواجرهم ، فأخذوا الراحة بالنصب ، والرئ بالظمأ ، واستقربوا الأجل فبادروا العمل» (١٠٠) .

وهذه الحقيقة من أمهات الحقائق والمعارف في هذا الدين ، أن تقوى الله تحفظ الناس من السقوط في معصية الله ، وليس شيء كالتقوى يحفظ الانسان من الحرام ، فإذا وقى الانسان نفسه بالتقوى ،

(\*) المثلثات : العقوبات .  
(١٠١) نهج البلاغة، خ ١٦ .

(١٠٢) البحار ٧٠ : ٢٨٥ .

فلا سبيل للشيطان إلى نفسه ، ولا سلطان للاهواء والفتن والشيطان عليه . يقول أمير المؤمنين (عليه السلام) : «نمتي بما أقول رهينة وأنا به زعيم . إن من صرحت له العبر عما بين يديه من المثلثات (\*) ، حجزته التقوى عن تقحم الشبهات» (١٠١) .

والامام (عليه السلام) يجعل ذمته في هذه الكلمة رهينة بهذه الحقيقة ، وهي أن التقوى تحجز الانسان عن تقحم الشبهات .  
وقد سئل الامام الصادق (عليه السلام) عن تفسير التقوى فقال (عليه السلام) : «ألا يفقد الله حيث أمرك ، ولا يراك حيث نهاك» (١٠٢) .

#### التقوى الحصن المانع :

وكما أن التقوى سياج واقٍ ، كذلك هي حصن يمنع الشيطان من البطش بالانسان . ولا يستطيع الشيطان أن يقتحم على الانسان هذا الحصن ، ولا يتمكن أن ينفذ إليه . وإليك طائفة من كلمات أمير المؤمنين (عليه السلام) بهذا الصدد :

«التقوى حصن حصين لمن لجأ إليه» . «التقوى حرز لمن عمل بها» . «التقوى اوثق حصن وأوقى حرز» . «أمنع حصون الدين التقوى» . «الجأوا إلى التقوى فإنه جنة منيعة ، من لجأ إليها حصنته ، ومن اعتصم بها عصمته» .

#### المزائق والعواصم :

ومادنا بصدد الحديث عن حدود الله تعالى ، والعواصم التي تعصم الانسان على حدود الله من الوقوع في الحرام ، والمزائق التي ينزلق عليها الانسان إلى الحرام ، فلا بأس أن نشير إلى طائفة من العواصم والمزائق من خلال النصوص الاسلامية :

ومعرفة العواصم والمزائق تنفع الانسان في تقويم سلوكه والحذر من الوقوع في معصية الله ، وتحصين نفسه من اغراءات الفتن

والشيطان وضغوط الهوى .

وإليك طائفة من المزالق والعواصم ونقدم المزالق على العواصم .

#### أ- المزالق

١- من المزالق التفكير في الحرام . وقد ورد النهي عنه في النصوص الإسلامية ، وذلك أن التفكير في الحرام يلوّث جو النفس ويسلبها المناعة ، ويمكن الشيطان من استدراج الانسان إلى الحرام . روي أن عيسى بن مريم عليه السلام كان يقول : «إن موسى أمركم ألا تقربوا الزنا ، وأنا آمركم ألا تحدثوا أنفسكم بالزنا ، فإن من حدّث نفسه بالزنا كان كمن قد أوقد ناراً في بيت مزوّق(\*) ، فأفسد التزاويق الدخان ، وإن لم يحترق البيت» (١٠٣) .

(\*) مزوّق : مزّين ومزخرف ، والتزاويق : جمع تزويق ، وهو التحسين والتزيين .

(١٠٣) البحار ١٤ : ٣٣١ .

وهو تعبير جيّد عن تلوث جو النفس بالتفكير في الحرام ، ومتى تلوثت النفس فقدت مناعتها من جانب ، وفقدت شفافيّتها وصفاءها من جانب آخر .

وعن الصادق عليه السلام : «إن للمؤمن لينوي الذنب فيُحرم الرزق» (١٠٤) .

(١٠٤) البحار ٧٣ : ٢٥٨ .

٢- ومن مزالق الانسان إلى الحرام اصدقاء السوء ، فإن دور الصديق السيئ في استدراج الانسان إلى الحرام ، والسقوط في معصية الله ونقل الامراض الاخلاقية ، دور مؤثّر وقوي . عن أمير المؤمنين عليه السلام : «لا تصحب الشرير ؛ فإن طبعك يسرق من طبعه شراً ، وأنت لا تعلم» .

وعن الامام الجواد عليه السلام : «إياك ومصاحبة الشرير ؛ فإنه كالسيف المسلول يحسّن منظره ويقبح أثره» .

وعن علي عليه السلام : «أمرنا رسول الله صلى الله عليه وآله أن نلقي أهل المعاصي بوجوه مكفّهرة» .

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله : «المرء على دين خليله» .

وفي وصية أمير المؤمنين عليه السلام للحسن عليه السلام : «إياك ومواطن السوء ،

(\*) غرّه: خدعه وأطمعه  
بالباطل .

والمجلس المظنون به السوء ، فإن قرين السوء يغتر (\*) خليله .

٣ - الوسط الاجتماعي الفاسد ، فإن له دوراً كبيراً في إفساد  
الانسان وتلويثه .

وقدرة الوسط الاجتماعي قدرة قاهرة تستهلك الكثير مما يملك  
الانسان من حصانة وقيم ، ولذلك ورد التحذير في النصوص  
الاسلامية من اختيار الاوساط الاجتماعية الفاسدة للسكن .

٤ - استصغار اللوم من الذنوب ، وهي الذنوب التي يستصغرها  
الناس ، فيتجراً الانسان إلى العصيان .

٥ - اختلال الموازنة بين الخوف والرجاء ، حيث يطفئ الرجاء في  
النفس ليستهين الانسان بالذنوب ويتجراً على المعصية .

٦ - الترف في المعيشة هي من الحلال ، فإن الترف يضعف مقاومة  
الانسان لضغوط الهوى واغراءات الفتن .

٧ - الخلوة بالمرأة الاجنبية ، ومحادثة النساء ومخالطتهن . وقد  
ورد النهي في النصوص عن ذلك ، وورد أنه يورث قساوة القلب ،  
ويسلب الانسان حالة الرقة والشفافية والصفاء في النفس .

٨ - الغضب وسائر الانفعالات النفسية . وقد ورد في النصوص  
الاسلامية التحذير من الغضب والانفعالات النفسية الحادة ، وأنه  
الفرصة التي يقتحم فيها الشيطان نفس الانسان .

ب - العواصم

وهي الامور التي تعصم الانسان من الانزلاق إلى الحرام ، وتمكّنه  
من السيطرة على الأهواء والفتن ، وتمنع الشيطان عنه .  
وهي كثيرة نشير إلى بعضها :

١ - الصلاة . قال الله تعالى : ﴿ إِنِ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾ .

٢ - الصوم . وقد ورد في النصوص الاسلامية أن (الصوم جنة)  
تحمي الانسان وتحفظه من الشيطان .

٣- ذكر الله .

٤- مصاحبة الصالحين ، فكما أن مصاحبة اصدقاء السوء من المزالق ، فإن مصاحبة الصالحين الذين يذكرون الانسان بالله تعالى من العواصم التي تعصم الانسان من الاهواء والفتن .

٥- قراءة القرآن . وقد ورد في النصوص الاسلامية التأكيد على قراءة القرآن ، وأنها تحفظ الانسان من اغراءات الشيطان ووساوسه ومن ضغوط الهوى .

٦- الوسط الصالح والبيئة الصالحة ، فكما أن الوسط الفاسد والبيئة الفاسدة من المزالق ، فإن الوسط الصالح والبيئة الصالحة من العواصم التي تعصم الانسان من المحرمات .

٧ و ٨- المحاسبة والمراقبة . وقد ورد في النصوص الاسلامية التأكيد عليهما ، وأنه «ليس مثا من لم يحاسب نفسه» . وهما من أقوى عوامل الضبط في سلوك الانسان .

٩- مجالس الوعظ والتذكير .

١٠- ترويض النفس في الحلال، حتى لا تنقاد لصاحبها في الحرام.

قَالَ الْإِمَامُ عَلِيُّ (ع) :

مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ  
اسْتَبْرَأَ  
(غُرَّرَ الْحَكَمَ)



من فقه مدرسة  
أهل البيت

# العمل الحكومي ودوره في تحقيق سيادة دولة الإسلام

١

✽ الشيخ  
محمد علي التستيري

## المقدمة

للحكومة الاسلامية دور محوري في المسيرة الاجتماعية التي خطط لها الاسلام في اطار نظريته الاجتماعية العامة . وقد حدد الاسلام هذه المسؤوليات التي نجد أنها تجاوزت كثيراً ما كان متعارفاً عليه في عصر انطلاقة الاسلام .



ومع عظم المسؤولية يتطلب الأمر امكانيات تنفيذية كبرى لا على الصعيد المادي فحسب ، بل على المستوى القانوني ، فضلاً عن الجو العاطفي المطلوب لعمل هذا المحور المهم .

وهذا البحث يتكفل بالاشارة لهذه الجوانب مع تركيز خاص على الامكانيات القانونية للحاكم الاسلامي ؛ وهو الراس الاعلى للحكومة الاسلامية ، وبتعبير ادق يتم التركيز على الصلاحية القانونية التي

يملكها الحاكم ، وإن كانت الامكانيات القانونية اعم من هذه الصلاحيات ؛ ذلك أننا نعتبر انسجام طبيعة التشريع الاسلامي بشكل دقيق مع الاهداف المرجوة للحكومة الاسلامية ، يمثل امكاناً قانونياً تستفيد منه في تحقيق تلك الاهداف . وسيأتي توضيح هذه المقولة إن شاء الله تعالى .

ورغم أن فقهاءنا ومفكرينا قد بذلوا جهدهم الكبير في هذا المجال ، نعتقد أن المجال ما زال مفتوحاً للبحث واستنباط النظرية الاسلامية . ويجب هنا أن نلاحظ أن الخلط بين واجبات الفقيه في عملية الاستنباط ، وواجباته في عملية القضاء وفض النزاعات ، وبين واجبات الحاكم في مسألة ادارة دفة الحكم ، وكذلك الخلط بين دور المصلحة في استنباط الموقف الشرعي الخالد من القضايا والنوازل ، ودورها في العملية الادارية الاجتماعية وما يتبعها من نوازل ، وهو موقف غالباً ما يكون تابعاً للظروف الزمانية والمكانية ولذا لا يعد موقفاً خالداً ، وهكذا الخلط بين الموقف الفردي من الظروف الطارئة ، والموقف الاجتماعي منها؛ كل هذه الانماط أدت إلى نوع من الابهام في النظرية ، والاختلاف في النتائج ، الامر الذي يتطلب التنقيح والتنبيه . ونلاحظ أيضاً أن تنوع منافذ الزمان والمكان إلى ضيق ، وسعة افق الفقيه المستنبط ، وكذلك الاحكام من حيث دورهما في تغيير الموضوع او قيوده أو مصاديقه ، أو ظروف تطبيق الحكم أو تحوله من حق خاص إلى حق عام أو غير ذلك ، أدت إلى نوع من تصور التميّع لدى البعض من غير المتعمقين ، مما يتنافى مع خلود الشريعة وبقائها ، في حين أن المرونة الاسلامية هي التي تعتمد على هذه الخواص دون أن يؤدي ذلك إلى التميّع المرفوض .

وينبغي ألا يغيب عن البال أن الفقيه الذي يعمل على اكتشاف الحكم الشرعي من القضايا ، يحتاج إلى امكانيات علمية واسعة يذكرها

علماء الاصول والفقه ، وهي نفسها ضرورية لعمل الحاكم الفقيه ، بالاضافة لضرورة معرفة الدور الذي يلعبه هذا الحكم الجزئي الاجتماعي في اطار الكل الاسلامي المترابط ؛ لأنه يُراد طرحه على صعيد تطبيق مجمل الاطروحة الاسلامية على المجتمع ، وهي اطروحة متكاملة مترابطة .

فإن كان الفقيه يحاول استنباط الموقف المعين مع التركيز عليه وعلى ادلته ، فإن الحاكم يجب أن يلحظ في نفس الوقت مناسبات الموضوع مع سائر المواضيع ، ومدى التأثيرات التي سيتركها التطبيق على مجمل العملية الاجتماعية ، ولا ادل على ذلك من ملاحظة آثار عملية تطبيق الحدود الاسلامية على مجمل العلاقات الاجتماعية والحقوقية والاقتصادية والسياسية والدولية وغيرها ، ومن ثم على مجمل التكامل الاجتماعي المطلوب .

وهذه الاشارات وغيرها كافية لتصور بقاء الباب مفتوحاً امام الفقهاء والمفكرين في هذا المجال . وقد نملك أن نقول أن القسط الاكبر من المباحث النظرية الاجتماعية ما زال مجهولاً مع الاسف ، بعد أن اتجه الكثير من بحوثنا اتجاهاً تقطيعياً تجزئياً ، ولم يعبر المجالات المقطعية إلى مجالات التنظير التي تستطيع أن تمنحنا الرؤية العامة لمعالمتنا ، وافترقاتها عن معالم النظريات والمذاهب الحيوية الاخرى ، لئلا نقع كما وقع الكثيرون من المفكرين في وهدة (الالتقاط) أو (التهجين) أو (التركيب بين الاسلام وغيره) ، مما انتج في ذهنهم (اسلاماً راسمالياً) أو (اشتراكية اسلامية) أو حتى (علمانية اسلامية) .

#### تنبيه مهم

ويجب أن ننبه هنا إلى أننا نركز على موضوع الحكم الصادر من الفقيه الحاكم شرعاً ، دون الفقيه الذي يحاول اصدار فتواه

في الموضوع ؛ فالفتوى لا تتحمل انتخاباً وتخييراً وإنما المطلوب معرفة الواقع الشرعي ، أما الانتخاب والاختيار فإنما يتصور على صعيدين :

الاول : انتخاب غير الفقيه للفتوى التي يعمل بها ، وهذا المعنى لا يتصور في من يقول بضرورة كون المقلد اعلم من غيره (لأن الأعلّم لا يتكرر) ، فإذا تم له الايمان بحذف شرط الاعلمية امكنه أن يتخير بين الفتاوى .

الثاني : أن يقوم الحاكم الشرعي باختيار الاحكام والفتاوى المنسجمة مع المصلحة العامة وتعميمها على الآخرين .

وهذا ما سنبينه إن شاء الله تعالى في الفصل الرابع من هذا البحث ، فما سمي بـ (العمل) إنما يتصور في هذا المجال لا غير ، وهذا ما دعانا للتركيز على جانب الحكم الحكومي لا غير .  
وسيسير بحثنا على النمط التالي :

الفصل الاول : وسنتحدث فيه بشكل مقامي عن المصطلحات التي سنركز عليها كالحكم الحكومي والحكم الأولي والثانوي والعلاقة بين هذه الاقسام .

الفصل الثاني : وسنركز فيه على مشروعية الحكم الحكومي متعرضين بالطبع إلى بعض تطبيقاته .

الفصل الثالث : وسيتم البحث فيه عن مسؤوليات الحكومة الاسلامية والملاكات التي تحدد لها عملية التنفيذ لهذه المسؤوليات .

الفصل الرابع : وسنركز فيه على الامكانات التشريعية التي يملكها الحاكم لتنفيذ مسؤولياته .

الفصل الخامس : ونتعرض فيه إلى الامكانات الاخرى التي تساعد في ذلك .

## الفصل الاول

### تقسيمات الحكم والفروق بينها

عرّف الحكم بأنه «الاعتبار الشرعي المتعلق بأفعال العباد تعلقاً مباشراً أو غير مباشر»<sup>(١)</sup>.

ولعله اسلم التعاريف .

وقد قسم الحكم إلى اقسام باعتبارات مختلفة .

والذي يهمنا هو تقسيم الحكم إلى الحكم الاولي والحكم الثانوي والحكم الولائي ، وقد عرف الحكم الاولي بأنه الحكم المجعول للشيء اولاً وبالذات ، اي بلا لحاظ ما يطرأ عليه من العوارض الآخر<sup>(٢)</sup> .

كما عرّف الحكم الثانوي بأنه «الحكم المجعول للشيء بلحاظ ما يطرأ عليه من عناوين خاصة تقتضي تغيير حكمه الاولي»<sup>(٣)</sup> .

وهذه الحالات الطارئة هي من قبيل (الضرر) و (العسر والحر) و (العجز) و (الاكراه) و (الخوف) و (المرض) و (التقيّد) و (تزامم الحكم عند تنفيذه مع حكم اهم منه) و (وقوعه مقدمة لحكم آخر) و (وقوعه مورد نذر أو عهد أو قسم) ، وغير ذلك من قبيل تحول الحكم الوجوبي الكفائي للصناعات التي يتوقف عليها نظام الحياة ، إلى الحكم التعييني الوجوبي إذا انحصرت بشخص واحد .

والحكم الاولي ثابت لموضوعه دائماً دونما تغيير ؛ لأنه جاء لذات الموضوع بغض النظر عن الطوارئ عليه ، كما أنه يشترك فيه العالم والجاهل لأنه أيضاً ثابت لذات الموضوع رغم كون الجاهل معذوراً .  
في حين أن الحكم الثانوي ثابت ما ثبتت الحالة الطارئة ، ولخصوص هذا الشخص الذي عرضت له .

ولذا نجد أن الحكم الثانوي يعبر عن مرونة تشريعية ، ذلك أن المرونة تعني الاستجابة للحالة الضاغطة بمقدار ما تحمله من ضغط ،

(١) اصول الفقه المقارن :

.٥٥

(٢ و ٣) م . ن : ٧٣ .

ثم العودة إلى الحالة الطبيعية وهي هنا الحكم الأولي ، وهذه بنفسها قاعدة عامة يجب أن يلحظها الفرد عند اتباعه الحكم الثانوي ، كما يجب أن يلحظها الحاكم الشرعي في حكمه الولائي ، فلا يتجاوزها إلى حالة طارئة بشكل دائم بل يتبع في ذلك مقتضيات المصلحة العامة ملتفتاً إلى كون الحالة استثنائية .

ولسنا بصدد استقصاء العناوين الطارئة بشكل ثانوي ، وإنما نشير إلى أن القرآن الكريم يشير إليها . مثلاً جاءت حالة (الاضطرار) في الآيات التالية : ﴿ إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه إن الله غفور رحيم ﴾ (٤) . ﴿ فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم ﴾ (٥) . ﴿ وما لكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم إليه ﴾ (٦) ، وغيرها .

(٤) البقرة : ١٧٢ .

(٥) المائدة : ٣ .

(٦) الانعام : ١١٩ .

(٧) الحج : ٧٨ .

وكذلك الحرج : ﴿ وما جعل عليكم في الدين من حرج ﴾ (٧) .

وكذلك العناوين الاخرى .

وهذا المعنى أيضاً جاء في الروايات الشريفة ، ومنها حديث الرفع الذي روي بسند جامع لشرائط الصحة عن حريز عن ابي عبد الله الصادق عليه السلام قال : « قال رسول الله ﷺ : رفع عن امتي تسعة : الخطأ ، والنسيان ، وما اكرهوا عليه ، وما لا يعلمون ، وما لا يطيقون ، وما اضطروا إليه ، والحسد ، والطيرة ، والتفكر في الوسوسة في الخلق ما لم ينطق بشقة » (٨) .

(٨) وسائل الشيعة ٥ :

٣٤٥ ط. المطبعة

الاسلامية بطهران.

وحديث رفع القلم مشهور

في الصحاح كالبخاري ،

كتاب الطلاق والحدود،

وسنن أبي داود

والترمذي ومسنند احمد

وابن ماجه وغيرها .

(٩) جواهر الكلام ٤٠: ١٠٠ .

### الاحكام الحكومية

وربما سميت بالاحكام (الولائية) أو (السلطانية) ومنها (الاحكام القضائية) ، وقد عُرِّفت بأنها : « انشاء انفاذ من الحاكم - لا منه تعالى - لحكم شرعي أو وضعي أو موضوعهما في شيء مخصوص » (٩) .

وصاحب الجواهر هنا - رغم كونه يتعرض لتعريف الحكم القضائي - يطرح المسألة بشكل اعم ليشمل كل حكم يصدر من الحاكم الشرعي ، وهو في ذيل التعريف يشير إلى هذا التعميم ، فإذا صدر الحكم في مقام الخصومة والترفيع كان حكماً حكومياً قضائياً ، وإلا كان حكماً عاماً .

ويعرفه الشهيد الأول بأنه «انشاء اطلاق أو الزام في المسائل الاجتهادية وغيرها مع تقارب المدارك فيها مما يتنازع فيه الخصمان لمصالح المعاش»<sup>(١٠)</sup> .

وهذا تعريف يختص بالامور القضائية .

وإذا شئنا أن نجاري أسلوب تعريف الحكم الاول قلنا إن الحكم الحكومي هو : «الاعتبار الصادر من الحاكم الشرعي بمقتضى صلاحيته الشرعية ، والمتعلق بافعال العباد مباشرة أو بشكل غير مباشر» ليكون شاملاً للاحكام التكليفية والوضعية .

وإذا اردنا أن نخصه بالاحكام القضائية اضعنا إليه عبارة (في مقام رفع التخاصم) .

### الفروق بين الاحكام الاولى والاحكام الولائية

وعلى ضوء ما سبق يمكن أن نحصر الفروق فيما يلي :

أولاً: أن الاحكام الاولى هي احكام للشارع المقدس يتم كشفها من قبل الفقيه مباشرة ، في حين أن الاحكام الولائية هي احكام يصدرها الحاكم الشرعي بمقتضى صلاحياته الشرعية .

ثانياً: أن الاحكام الاولى هي احكام كلية غير مطبقة على مصاديقها الخارجية ، كقول الفقيه (الصلاة واجبة) و (الماء طهور) ، في حين أن الاحكام الولائية تعبر عن تطبيق حكم كلي في الموضوعات الخارجية<sup>(١١)</sup> .

(١٠) القواعد والفوائد ١ :

٣٢٠ .

(١١) المسالك ١ : ١٦٢ ،

والجواهر ٤٣ : ٢١ .

ثالثاً: أن الاحكام الفتوائية (الاولية والثانوية) يمكن نقضها من قبل فقيه آخر ؛ لأن المقام مقام كشف عن الحكم الشرعي، أما الاحكام الولائية فلا يمكن نقضها ، وفي نقض الاحكام القضائية منها كلام .

رابعاً: أن الاحكام الفتوائية قائمة على أساس من مصالح ومفاسد في ذوات الاشياء ، يلحظها الشارع المقدس جل جلاله ويصدر حكمه فيها . أما الاحكام الولائية فهي تتبع المصالح التي يدركها الحاكم الشرعي أو التطبيقات التي ينصرف نظره إليها على الموضوعات الخارجية .

خامساً: الاحكام الاولية تعبر عن الحالة الطبيعية للاشياء كما يراها الاسلام . أما الاحكام الولائية فهي تعبر عن مقتضيات المصلحة التي يراها ولي الأمر وتشكل حالة استثنائية .

سادساً: قيل (١٢) إن الاحكام الاولية هي احكام فردية واجتماعية ، أما الاحكام الولائية فهي اجتماعية دائماً . إلا إن الصحيح أن كلا منهما يعم الاثنين وإن كان المنطلق مختلفاً .

سابعاً: وقيل (١٣) إن الاحكام الحكومية هي تنفيذ للاحكام الاولية ، وربما كان المراد أنها في الواقع تعتمد على الاحكام الاولية وتحاول تبين السبل لتنفيذها كما سيأتي .

والحقيقة هي أن اسلوب التنفيذ هو احد الموارد التي يكلف بها الحاكم الشرعي ليعينها اجتماعياً ، رغم وجود بدائل اخرى للتنفيذ ، من قبيل أن يأمر بنظام اقتصادي معين لا ربا فيه مع وجود بدائل اخرى ، إلا إنه يمكن ارجاع هذا الفرق إلى الفرق الثاني ، واعتبار أن كل ما يقوم به الحاكم الشرعي إنما هو العمل على تطبيق كليات شرعية معطاة له بالحكم الأولي ، من قبيل لزوم مراعاة المصلحة العامة أو رجحان فكرة «حي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم» ، كما سيأتي ذلك .

(١٢) ملاكات الاحكام والاحكام الحكومية لمجموعة مؤلفين ٢٥١:٧، من منشورات مؤتمر دراسة المباني الفكرية للامام الخميني .

(١٣) صاحب جواهر الكلام حسب تعريفه لها إذ يقول : «أما الحكم فهو انشاء انفاذ من الحاكم» .



## الفرق بين الاحكام الثانوية والاحكام الولائية

ويمكن أن نذكر هنا الفروق التالية :

أولاً: أن الاحكام الثانوية تنحصر عناوينها بما ذكر في القرآن الكريم والسنة الشريفة فهي تركز عليها ، في حين تركز الاحكام الولائية على المصلحة العامة ومقتضيات المؤشرات العامة كما سيأتي الحديث عنها في الفصل التالي .

ثانياً: أن الاحكام الثانوية يمكن أن يدركها الفرد ويعمل بها ، في حين تتوقف الاحكام الولائية على نظر ولي الامر .

وهناك من يرى الوحدة بينهما على أساس أنهما حكمان استثنائيان ، إلا إن ما ذكرنا يوضح الفرق بينهما .

ثالثاً: أن الاحكام الثانوية هي احكام شرعية وضعت للعناوين الطارئة . أما الاحكام الولائية فهي احكام يصدرها ولي الامر بمقتضى صلاحياته ، وربما استند في حكمه إلى توافر هذه العناوين الطارئة ، ولكنه على أي حال حكم صادر من ولي الامر لا من الشارع ، وإن كانت الطاعة واجبة شرعاً .

## الفصل الثاني

### مشروعية الحكم الحكومي

وقد لا تجدنا بحاجة ماسة لاثبات مشروعية الحكم الحكومي بعد أن كاد يكون من الواضحات ، رغم تشكيك بعض العلمانيين بل بعض المتحجرين من ذوي الاتجاه الديني أحياناً .

فيكفي أن نشير إلى بعض ادلة المشروعية مع طرح بعض الملاحظات في البين :

## أولاً: القرآن الكريم

وحق اصدار الحكم الحكومي حق يطرحه القرآن الكريم للانبياء واولي الامر بكل وضوح يقول تعالى : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾ (١٤).

(١٤) النساء : ٦٥ .

ويقول تعالى : ﴿ إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ﴾ (١٥).

(١٥) النور : ٥١ .

ويقول تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ﴾ (١٦).

(١٦) النساء : ٥٩ .

(١٧) الاحزاب : ٦ .

ويقول تعالى : ﴿ النبي أولى بالمؤمنين من انفسهم ﴾ (١٧).  
وغيرها من الآيات الكريمة .

(١٨) صحيح البخاري، ك

٤٨، ب ٣. صحيح مسلم، ك

٣٢، ح ١١٩. تاريخ الطبري

١٧٨:٢. مجمع البيان ٩ -

١٠: ٣٨٦، ط. دار المعرفة.

## ثانياً: السنة الشريفة

وهي طافحة بما لا مزيد عليه من الاحكام التي اصدرها ﷺ باعتبارها ولياً للامر . ونحن نشير فيما يلي إلى بعضها :

(١٩) مجمع البيان ٩ - ١٠ :

٢٨٦، سورة النصر .

(٢٠) مجمع البيان ٥ - ٦ :

١٢٠ .

١ - الحكم باعدام كعب الاشراف (١٨) .

(٢١) وسائل الشيعة ١١ :

٤٣ - ٤٤، آداب أمراء

السرايا، صحيح البخاري،

ك ٥٦، ب ١٥٤. صحيح

مسلم، ك ٣٢، ح ٢٩ - ٣١.

الترمذي، ك ١٩، ب ٤.

(٢٢) وسائل الشيعة ١٦ :

٣٩، وكتب للصالح في

كتاب الجهاد والسير مثل

البخاري، ب ١٣٠ .

٢ - الحكم باهدار دماء أربعة نفر في فتح مكة (١٩) .

٣ - اصدار الامر بمنع مجالسة الممتنعين عن الجهاد (٢٠) .

٤ - الحكم بقطع نخيل بني النضير (٢١) .

٥ - النهي عن اكل لحم الحمير في خيبر (٢٢) .

٦ - النهي عن التخلف عن جيش اسامة (٢٣) .

بل يمكن القول إن قيادته ﷺ تمثلت في اوامر حكومية كان

يصدرها بشكل مستمر ، إلى جانب ابلاغ الاوامر الالهية التي يبلغها

الوحي الصادق الامين .

(٢٣) البحار ٢٨ : ٢٠٧ .

مغازي الواقدي : ٤٣٣ .

وقد تعرض الشهيد الصدر في كتابه القيم (اقتصادنا) لهذا

الموضوع ، وذلك في معرض حديثه عن مسألة اتخاذ موقف معين بصورة مسبقة تجاه النصوص ، مما يؤدي أحياناً إلى إخفاء بعض معالم التشريع أو إلى التضليل في فهم النص والخطأ في استنباط الحكم الشرعي منه . قال : « فقد جاء في الرواية أن النبي قضى بين أهل المدينة في النخل ؛ لا يمنع نفع بئر ، وقضى بين أهل البادية أنه لا يمنع فضل ماء ولا يباع فضل كلاً ، وهذا النهي من النبي عن منع فضل الماء والكلاً يمكن أن يكون تعبيراً عن حكم شرعي عام ثابت في كل زمان ومكان كالنهي عن الميسر والخمر ، كما يمكن أيضاً أن يعبر عن إجراء معين اتخذه النبي بوصفه ولي الأمر المسؤول عن رعاية مصالح المسلمين . في حدود ولايته وصلاحياته ، فلا يكون حكمه شرعياً عاماً بل يرتبط بظروفه ومصلحته التي يقدرها ولي الأمر . وموضوعية البحث في هذا النص النبوي تفرض على الباحث استيعاب كلا هذين التقديرين ، وتعيين أحدهما على ضوء صيغة النص وما يناظره من نصوص .

وأما أولئك الذين يتخذون موقفاً نفسياً تجاه النص بصورة مسبقة ، فهم يفترضون منذ البدء أن يجدوا في كل نص حكماً شرعياً عاماً ، وينظرون دائماً إلى النبي من خلال النصوص بوصفه أداة لتبليغ الأحكام العامة ، ويهملون دوره الإيجابي بوصفه ولي الأمر ، فيفسرون النص الآنف الذكر على أساس أنه حكم شرعي عام . ويفرغون على هذا الأساس أن النهي ليس نهي تحريم وإنما هو نهي كراهة ؛ لأنهم يستبعدون أن يكون منع المالك لفضل مائة حراماً شرعاً في كل زمان ومكان» (٢٤) .

وهكذا نجد تفريقه ﷺ بين الموقفين تماماً ، أي بين الأمر الكاشف عن الحكم الشرعي الأولي والأمر الولائي الحكومي .

أما من حيث دلالة هذه الأوامر الولائية على الكشف عن الحكم

(٢٤) اقتصادنا ٢ : ٣٧٦ -

والعبارة الأخيرة

« ويفرغون ... » جاءت في

الهامش .

(٢٥) الكهف : ١٠ .

الشرعي الأولي ، فقد تعرّض الاصوليون لذلك ، فذكر في (سلم الوصول) أنه ليس كل ما روي عن الرسول ﷺ من اقواله وافعاله وتقريراته تشريعاً يطالب به المكلفون ، لأن الرسول بشر كسائر الناس اصطفاه الله رسولاً لهداية الناس وارشادهم . قال تعالى : ﴿ قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلي ﴾ (٢٥) ، فما صدر منه ينتظم الاقسام التالية :

١ - ما صدر منه بحسب طبيعته البشرية كالأكل والشرب والنوم وما إلى ذلك من الامور التي مرجعها طبيعة الانسان وحاجته .

٢ - ما صدر منه بحسب خبرته وتجاربه في الحياة وفي الامور الدنيوية ، وبحسب تقديره الشخصي للظروف والاحوال الخاصة ، وذلك مثل شؤون التجارة والزراعة والمسائل المتعلقة بالتدبيرات الحربية ، وما إلى ذلك من الامور التي يعتد فيها على مقتضيات الاحوال ومراعاة الظروف .

وهذان القسمان ليسا تشريعاً ؛ لأن مرجع القسم الأول الطبيعة والحاجة البشرية ، ومرجع القسم الثاني الخبرة والتجارب في الحياة والتقدير الشخصي للظروف الخاصة ، من غير أن يكون هناك دخل للوحي الالهي ولا للنبوة والرسالة .

٣ - ما صدر منه على وجه التبليغ عن الله تعالى ، بصفته رسولاً يجب الاقتداء به والعمل بما سنّه من الأحكام ، مثل تحليل شيء أو تحريمه والأمر بفعل شيء أو النهي عنه ، وكبيان العبادات وتنظيم المعاملات والحكم بين الناس ، فهذا القسم الأخير تشريع عام يجب على كل مكلف العمل به ، والاحاديث الواردة في هذا القسم تسمى باحاديث الاحكام .

وبالجملة فإن اقوال الرسول وافعاله وتقريراته إنما تكون دليلاً من الادلة ، ومصدراً من المصادر التشريعية التي تستمد منها الاحكام الشرعية ، إذا صدرت منه بمقتضى رسالته لسن القوانين وتشريع

(٢٦) سلم الوصول : ٢٦٢  
وما بعدها .

الاحكام أو بيانها (٢٦) .

وقد اشكل عليه استاذنا السيد محمد تقي الحكيم بأن هذا التقسيم غريب بناء على :

أ - علمنا بأنه ما من واقعة إلا ولله فيها حكم .

ب - صدور هذه الافعال عن ارادة .

ج - ادلة العصمة .

فكل ما يصدر عنه ﷺ بطبيعة الحال يكون موافقاً لاحكام الشريعة ومعبراً عنها ، ولا يختلف الحال بين القسم الاول والثاني والثالث ، واستثنى من ذلك مختصاته ﷺ كالزواج باكثر من اربع ، وكذلك افعاله الطبيعية غير الارادية . و اضاف : «اقصاه أن بعض افعاله تختلف عن البعض الآخر من حيث دلالتها على الحكم بعنوانه الاولى أو العنوان الثانوي ، ودلالتها احياناً على جواز العمل بالحكم الظاهري ، وهكذا» (٢٧) .

(٢٧) اصول الفقه المقارن :  
٢٣٠ - ٢٣١ .

وما قاله استاذنا الحكيم صحيح ، إلا إنه يمكن توجيه كلام صاحب (سلم الوصول) بأن القسم الاول لا يعني الاساس الذي صدر عليه هذا السلوك الخاص ، وأن القسم الثاني لا يكشف عن حكم شرعي ثابت كما هو في القسم الثالث إلا إن الذي يرد عليه أنه خلط في القسم الثاني بين الآراء الشخصية والمواقف الحكومية الولائية ، حيث تعبر المواقف الحكومية عن مراعاة كاملة للأطر التشريعية العامة ، والتوجيهات الاسلامية للحاكم الشرعي - كما سيأتي بيانه - والمصلحة العامة للامة مما يمكن أن يساعد في الكشف عن الحكم الاسلامي الثابت ، وإن كان هو لا يعبر عن حكم ثابت شامل باعتبار قيامه على اساس مراعاة الظروف الزمانية والمكانية .

وقد نستغرب أن يدخل في القسم الثالث مسألة (الحكم بين الناس) ، وهي لا تعبر عن حكم اسلامي ثابت إلا أن يريد القواعد

الثابتة لهذه المسألة .

هذا وهناك أمثلة كثيرة للأحكام الصادرة عن الأئمة لا مجال هنا للتعرض إليها بالتفصيل .

### معيار التمييز بين الأوامر الشرعية والولائية

وربما كان هذا البحث من البحوث الأصولية الأصلية وإن لم يتم الاهتمام به على النحو المطلوب .

وما يبدو لنا هو أن هناك معايير فنية من قبيل :

أولاً: أن يتعلق الأمر بالقضايا الخارجية .

ثانياً: أن يحمل معه قرينة تدل على ذلك كأن يكون في موقف القضاء أو الحكم بين الناس .

ثالثاً: أن يصدر في جو مخالف لمضمونه مجمع على عمومته الآبي للتخصيص .

رابعاً: أن يفسره الأئمة والاصحاب بذلك وفق قرائن معينة عندهم مما يحقق لنا الاطمئنان بالجو الذي صدرت فيه هذه الاوامر .

كما جاء في بعض الروايات عن أهل البيت عليهم السلام من قبيل :

١ - محمد بن يعقوب عن علي بن ابراهيم عن ابيه عن ابن ابي عمير عن حماد بن عثمان عن الحلبي : قال : «سئل ابو عبدالله عن شراء النخل والكرم والثمار ثلاث سنين أو أربع سنين ، فقال : لا بأس . تقول : إن لم يخرج في هذه السنة اخرج في قابل ، وإن اشتريته في سنة واحدة فلا تشتريه حتى يبلغ ، وإن اشتريته ثلاث سنين قبل أن يبلغ فلا بأس . وسئل عن الرجل يشتري الثمرة المسماة من ارض فتهلك ثمرة تلك الارض كلها ، فقال : قد اختلفتموا في ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فكانوا يذكرون ذلك ، فلما رأهم لا يدعون الخصومة نهاهم عن ذلك البيع حتى تبلغ الثمرة . ولم يحرمه ولكن فعل ذلك من اجل خصومتهم» (٢٨) .

٢ - محمد بن يعقوب بإسناده عن الحسين بن سعيد بن حماد بن عيسى عن حريز عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام أنه سئل عن ... والحمير والبغال والخيول فقال : « ليس الحرام إلا ما حرم الله في كتابه ، وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وآله يوم خيبر عنها ، وإنما نهاهم من أجل ظهورهم أن يفنوه وليست الحمر بحرام » (٢٩) .

(٢٩) م . ن ١٦ : ٣٩٤ .

٣ - نقل الترمذي عن رافع بن خديج أنه قال : « نهانا رسول الله صلى الله عليه وآله عن امر كان لنا نافعاً ، إذا كانت لاحدنا ارض أن يعطيها ببعض خراجها أو بدراهم ، وقال : إذا كانت لاحدكم ارض فليمنحها اخاه أو ليزرعها » (٣٠) ، ويعلق الشهيد الصدر عليه بقوله : « ونحن حين نجمع بين قصة هذا النهي واتفاق الفقهاء على عدم حرمة كراء الارض في الشريعة بصورة عامة ، ونضيف نصوصاً كثيرة واردة عن الصحابة تدل على جواز اجارة الارض ، نخرج بتفسير معين لهذا النص ... وهو أن النهي كان صادراً من النبي بوصفه ولي الأمر وليس حكماً شرعياً عاماً » (٣١) .

(٣٠) سنن الترمذي .

(٣١) اقتصادنا ٢ : ٦٤٣ .

### الاصل في المسألة

هذا وإن لم يقدّر أي من هذه المعايير بتشخيص الموقف ، فإن الأصل - والله اعلم - هو اتباع الطبيعة الغالبة وهي كونه صلى الله عليه وآله في موقف التبليغ .

### ثالثاً : الإجماع

مر بنا أن هذا الأمر يعد من الأحكام الواضحة في الإسلام ، وذلك نتيجة لاجتماع الأمة الاسلامية على استمرار الحكومة الاسلامية التي بدأت بعهد النبي صلى الله عليه وآله والخلفاء الراشدين واستمرت بأشكال اخرى ، ورغم الانحراف الذي اصاب بعض الحاكمين لم يكن اصل الحكومة

ليعترض عليه احد ، بل شكلت - عند البعض - أمراً يجب احترامه حتى ولو كان الحاكم فاقداً للشروط المطلوبة .

رابعاً : طبيعة التشريع الاسلامي و (دليل العقل)

هذا وإن المتتبع للشريعة الاسلامية بسعتها وعرضها العريض ، واهدافها المعلنة كشرعية للحياة لكل واقعة فيها حكم ، ولكل مشكلة منها رأي وموقف ، ولكل جانب من جوانب الحياة الانسانية نظام شامل ومتشعب ، هذا المتتبع لا بد له أن يصدق تماماً بوجود نظام سياسي حكومي اسلامي ، وأن لهذا النظام صلاحياته التي تتطلب قيامه بفض النزاعات وملء المناطق المتعلقة بالشؤون الادارية والتنفيذية ، والتي ترتبط بالجانب المتغير من الحياة . وهذا المسلك ربما اطلق عليه اسم مسلك العقل ، والمراد به المسلك الذي يعتمد على النتيجة المنطقية التي يخرج بها من يلاحظ مجمل الخصائص الاسلامية ومقاصد الشريعة واهدافها . والحقيقة أن التصور القائل بعدم الحكومة يعني أن الاسلام سلّم كل نظمه وقوانينه الحيوية بيد حكومة لم يخطط لها ولا تؤمن به ، وهو أمر يدعو للسخرية (٣٢) .

(٣٢) للتوسع راجع ولاية  
الفقيه المنتظري ١ : ١٦١ -  
١٩١ .

### الفصل الثالث

مسؤوليات الدولة وملاكات الحكم الولائي

لا تجدنا بحاجة للتأكيد على المسؤولية الخطيرة التي يتحملها الحاكم الشرعي ورئيس الدولة الاسلامية ؛ فهي مما يؤكد عليه كل الذين تعرضوا للموضوع وإن اختلفت تعبيراتهم .

يقول القاضي أبو يعلى الفراء : « ويلزم الامام من امور الامة عشرة اشياء :

احدها : حفظ الدين على الاصول التي اجمع عليه سلف الامة ، فإن



زاع ذو شبهة عنه بيّن له الحجة واوضح له الصواب ، واخذه بما يلزمه من الحقوق والحدود ، ليكون الدين محروساً من الخلل ، والامة ممنوعة من الزلل .

الثاني: تنفيذ الاحكام بين المتشاجرين ، وقطع الخصام بينهم ، حتى تظهر النصفة فلا يتعدى ظالم ولا يضعف مظلوم .

الثالث: حماية البيضة والذب عن الحوزة ليتصرف الناس في المعاش وينتشروا في الاسفار آمنين .

الرابع: اقامته الحدود لتصان محارم الله تعالى عن الانتهاك ، وتحفظ حقوق عباده من اتلاف واستهلاك .

الخامس: تحصين الثغور بالعدة المانعة ، والقوة الدافعة ، حتى لا تظفر الاعداء بغرة ينتهكون بها محرماً ، ويسفكون فيها دمأ لمسلم أو معاهد .

السادس: جهاد من عاند الاسلام بعد الدعوة حتى يسلم أو يدخل في الذمة .

السابع: جباية الفئى والصدقات على ما اوجبه الشرع نصاً واجتهاداً من غير عسف .

الثامن: تقدير العطاء وما يستحق في بيت المال من غير سرف ولا تقصير فيه ، ودفعه في وقت لا تقديم فيه ولا تأخير .

التاسع: استكفاء الامناء وتقليد النصحاء فيما يفوضه اليهم من الاعمال ويكله اليهم من الاموال ، لتكون الاعمال مضبوطة والاموال محفوظة .

العاشر: أن يباشر بنفسه مشاركة الأمور ، وتصفّح الاحوال ليهتم بسياسة الامة ، وحراسة الملة ، ولا يعول على التفويض تشاغلاً بلذة أو عبادة فقد يخون الامين ويغش الناصح» (٣٣) .

وقد نقل الشيخ القرشي هذه العبارة دونما تعليق (٣٤) .

(٣٣) الاحكام السلطانية :

١٢٨ ، ط . مكتب الاعلام

الاسلامي، قم .

(٣٤) نظام الحكم والادارة

في الاسلام: ٢٢٩ .

وهكذا نجد الفراء يحصر مسؤوليات الدولة الاسلامية في الصيانة العقائدية ، والوظائف القضائية ، والدفاعية ، واقامة الحدود ، وتنظيم الشؤون الاقتصادية والادارية ، والاشراف على الشؤون العامة .

ويمكننا أن نتصور واجبات اخرى تلقي مسؤوليات اضافية على الدولة في مجالات التعليم والاعلام ، والعلاقات الدولية ، والمواصلات وغير ذلك ، إلا أننا نعتقد أن روح هذه الواجبات يتمثل في جملة عامة جاءت على لسان الامام علي عليه السلام حين قال : «أيها الناس ، إن لي عليكم حقاً ولكم عليّ حق ، فأما حقكم عليّ فالنصيحة لكم وتوفير فينكم عليكم وتعليمكم كيلا تجهلوا وتأديبكم كيما تعلموا ، وأما حقّي عليكم فالوفاء بالبيعة والنصيحة في المشهد والمغيب والإجابة حين أدعوكم والطاعة حين آمركم» (٣٥) .

(٣٥) نهج البلاغة، تحقيق

صبحي الصالح، خ ٣٤ .

فالنصيحة وحدها تعني القيام الحق بكل الواجبات العامة التي تناط عادة بالمسؤولين ، من قبيل الاعلام والدفاع وتطبيق الشريعة وتنظيم العلاقات الدولية ، وبالتالي سد كل النقائص التي تتجاوز الواجبات الفردية وتتحول إلى حقوق عامة .

وقد عقد امام الحرمين الجويني باباً واسعاً تحت عنوان (فيما يناط بالائمة والولاة من الاحكام) فصل فيه هذه الواجبات فليراجع هذا الباب (٣٦) .

(٣٦) غياث الامم في التياث

الظلم : ٢٦٢ .

أما الاشارة للجانب الاقتصادي والتعليمي والتربوي فهي اشارة - فيما اتصور - إلى بعض الجوانب الرئيسة والمهمة لا استقصاء لها ، ولا اتصور من خلال استطاع النصوص الاسلامية أن هناك حدوداً لواجبات الدولة الاسلامية ومسؤولياتها لا يمكنها أن تتعدها أو تتخلّى عن بعضها ؛ فالحالة مرنة ومتروكة لمختلف الظروف الزمانية والمكانية . والمهم أن الدولة مكلفة بأن تنصح للامة وتتكفل بكل شؤونها العامة ، مهما اتسعت هذه الشؤون أو ضاقت ، بما يحقق مصالحها في اطار الشريعة الاسلامية .

والذي اتصوره أن نظام الحكم الاسلامي يمثل اكثر النظم الاسلامية مرونة في التطبيق ، رغم أنه يملك القواعد والضوابط التي تبقي عليه كنظام مهم وحساس . ومن هذه القواعد الثابتة :

أ - الشروط التي أكد على لزوم توافرها في الحاكم الشرعي من الفقه والعدالة والكفاءة .

(٣٧) الشورى : ٢٨ .

ب - اعتماد مبدأ الشورى اجمالاً ﴿وامرهم شورى بينهم﴾ (٣٧) .

ج - اعتماد بعض الشروط في الموظفين وفي طليعتها الامانة والتناسب ، كما جاء في قوله تعالى : ﴿قال اجعلني على خزانة الارض اني حفيظ عليم﴾ (٣٨) ، وقوله : ﴿قالت يا ايت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين﴾ (٣٩) .

(٣٨) يوسف : ٥٥ .

(٣٩) القصص : ٢٦ .

وتكمن مرونته في ما يلي :

اولاً : عدم تحديد اطار خاص لنوع الحكم وتفصيلاته .

ثانياً : اعطاء الحاكم حق اصدار الحكم الولائي وفقاً لما يراه في عملية تطبيق الاحكام الاولوية وتحقيق مقاصد الشريعة ومقتضيات النصيحة للأمة ومصالحتها العامة .

ثالثاً : اعطاء الحاكم بعض المؤشرات التنظيمية التي تهديه في مجال انتخاب اصلح الصور التنظيمية ، ولكن بدون تقييد معين له .

والامران الاول والثاني مما اجمعت عليه الامة ، مما يجعلنا في غنى عن الاستدلال عليهما .

نعم حاول البعض أن يؤكد على نوع خاص من الحكم معتمداً على التطبيقات التي تمت في عصر الرسول ﷺ أو بعده كما رفضت بعض الفرق الاسلامية الايمان بالمصلحة كمصدر يقوم عليه الحكم الصادر ، إلا أن رفضها إنما هو في مجال الافتاء ، فليس للفقيه أن يعتمد المصلحة المرسله - في تصوره - لا اصدار فتواه ، ولكن ذلك إنما هو في المجال الفردي الافتائي . اما المجال الاجتماعي الحكومي

فلم نجد من يخالف اعتماد الحاكم الاسلامي على المصلحة (حتى المصلحة المظنونة ظناً عقلانياً) في اصدار احكامه الولائية<sup>(٤٠)</sup>.

أما الامر الثالث فهو الذي يحتاج إلى نوع من الشرح والتوضيح ، وربما كان المرحوم الشهيد الصدر خير من تعرض لهذا الموضوع بشيء من التفصيل ، فهو يقول في عرضه لصورة عن اقتصاد المجتمع الاسلامي : إن هناك عناصر ثابتة تتمثل في الأحكام المنصوصة في الكتاب والسنة ، واخرى متحركة تستمد من المؤشرات الاسلامية العامة التي تدخل في نطاق العناصر الثابتة . أما كيف يمكن استنباط العناصر المتحركة من المؤشرات الاسلامية فإن الأمر يتطلب :

١ - منهجاً اسلامياً واعياً للعناصر المتحركة وادراكاً معمقاً لمؤشرات ودلالاتها العامة .

٢ - استيعاباً شاملاً لطبيعة المرحلة وشروطها ودراسة دقيقة للأهداف التي تحددها المؤشرات العامة وللأساليب التي تتكفل بتحقيقها .

٣ - فهماً فقهياً قانونياً لحدود صلاحيات الحاكم الشرعي (ولي الأمر) ، والحصول على صيغة تشريعية تجسد تلك العناصر المتحركة في اطار صلاحيات الحاكم الشرعي وحدود ولايته الممنوحة له .

ويضيف «ومن هنا كان التخطيط الاقتصادية في المجتمع الاسلامي مهمة يجب أن يتعاون فيها مفكرون اسلاميون واعون ، ويكونون في نفس الوقت فقهاء مبدعين وعلماء اقتصاديين محدثين»<sup>(٤١)</sup> . ويؤكد بعد هذا على أن هناك خطوطاً عامة للمؤشرات يذكرها على النحو التالي :

أ - اتجاه التشريع : بمعنى أن توجد احكام منصوصة في الكتاب

(٤٠) الامامية هم في طليعة المخالفين لاعتماد اصل (المصلحة المرسله) ولكنهم في تطبيقهم لنظام الحكم الاسلامي في ايران ابدوا تشكيل (مجمع المصلحة) لكي يلحظ العنصر المكاني والزمني في مجال تحقيق المصالح واصدار الاوامر الحكومية.

(٤١) الاسلام يقول الحياة : ٤٠ ط . وزارة الارشاد الاسلامي ، طهران .

والسنة تتخذ كلها نحو هدف مشترك يهتم به الاسلام ، ويمثل له بمسألة ربط الاسلام للكسب بالعمل التي يستفيد منها مجموعة احكام ، كسماع الاسلام للملكية الخاصة لرقية المال في مصادر الثروة الطبيعية ، وتحريم الحمى وغير ذلك .

ب - الهدف المنصوص عليه من قبيل قوله تعالى : ﴿ مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ ﴾ (٤٢) ، حيث يدل على لزوم ايجاد التوازن ونشر الثروة بين افراد المجتمع ، كما سيأتي الحديث عن مؤشرات النظام الاقتصادي .

ج - القيم الاجتماعية التي يؤكد بها الاسلام كالمساواة والاخوة والعدالة والقسط .

د - اتجاه العناصر المتحركة على يد المعصوم عليه السلام من قبيل ما ذكرناه من قبل عنه عليه السلام .

### نماذج من المؤشرات العامة (الثابتة)

قلنا إن هذا المؤشرات هي عناصر ثابتة يستفيد منها الحاكم الشرعي لقيادة الساحة وهدايتها على اساس من مقاصد الاسلام . ومقاصد الاسلام واضحة في نصوصه كالعدالة والاخوة وحفظ النسب والدين والمال والعرض ولن ندخل في تفصيلاتها . ولكننا نرى أن نمثل لها في مختلف النظم الاسلامية ومنها مثلاً :

#### أ - نظام الحكم الاسلامي :

فهناك نصوص تتعلق به وتشكل منبعاً لهذه المؤشرات من قبيل :

١ - قوله تعالى : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ (٤٣) ، وقوله تعالى :

﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ

(٤٢) الحشر : ٧ .

(٤٣) الشورى : ٣٨ .

(٤٤) التوبة : ٧١ .

(٤٥) ولاية الامر : ١٦٣ .

(٤٦) يوسف : ٥٥ .

(٤٧) القصص : ٢٦ .

(٤٨) نهج البلاغة، تحقيق

صباحي الصالح، ك ٥٣ .

المنكر ﴿٤٤﴾ .

ولسنا نريد الاستدلال بهاتين الآيتين على مشروعية الانتخاب لتأتي بعض الاشكالات الفنية الاصولية التي اوردها السيد كاظم الحائري على هذا الاستدلال<sup>(٤٥)</sup> ، وإنما قصد القول بأن هاتين الآيتين تشكلان منبعاً لولي الامر يستنبط منهما بعض القواعد لتنظيم عمليات الادارة العامة ، والاستفادة من (المشاركة الشعبية) وعمليات (الانتخاب) و(الاستفتاء) و (اعتماد مبدأ مجالس الشورى) وغير ذلك .

٢ - قوله تعالى على لسان يوسف : ﴿اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم﴾<sup>(٤٦)</sup> . وقوله تعالى على لسان ابنة شعيب : ﴿يا أبت استأجره إن خير من استأجرت القوي الامين﴾<sup>(٤٧)</sup> .

وتشكلان منبعين لمعرفة شروط الموظفين ، وايكال المسؤوليات الادارية إلى الاشخاص والجهات المناسبة وحل مشكلة (التخصص والتعهد) .

وفي هذا السياق يقول الامام علي عليه السلام في عهده التاريخي المعروف لمالك الاشر حين ولاه على مصر : «وانظر في امور عمالك ، فاستعملهم اختباراً ولا تولهم محاباة وأثرة فإنهم جماع من شعب الجور والخيانة ، وتوخ منهم اهل التجربة والحياء من اهل البيوتات الصالحة والقدم في الاسلام المتقدمة ، فإنهم اكرم اخلاقاً وأصح أعراضاً وأقل في المطامع اشراقاً وابلغ في عواقب الامور نظراً»<sup>(٤٨)</sup> .

والواقع أن هذا العهد التاريخي يعد من اروع النصوص في مجال تنظيم الحياة العامة وينبغي أن يقتفي اثره الحاكمون في عالمنا وفي كل زمان ومكان .

وينقل الدكتور نوري جعفر عن الامام علي عليه السلام قوله الرائع : «ولا تقبلن في استعمال عمالك وامرائك شفاعاة إلا شفاعاة الكفاءة والامانة» ، ويقول : «إن اخضاع التوظيف للشفاعة وسائر المؤثرات إنما هو

(٤٩) فلسفة الحكم عند  
الامام: ٣٤.

(٥٠) سنن البيهقي ١٠: ١١،  
وجاء في الصحيحين  
أيضاً.

تدمير لمصالح الامة وتضييع لحقوقها» (٤٩).

٣ - قوله ﷺ : «إنا والله لا نولي هذا العمل احداً سألناه أو احداً حرص  
عليه» (٥٠)، وهو نص يستفاد منه الحاكم الشرعي الكثير في اختياره  
للموظفين وغير ذلك.

#### ب - النظام الاقتصادي :

والنصوص التي تذكر هنا متعددة منها :

١ - قوله تعالى : ﴿كي لا يكون دولة بين الاغنياء منكم﴾ (٥١)،  
وقد قلنا إنه يشير إلى أن التوازن وتوزيع الثروة امر مطلوب  
اسلامياً.

٢ - النصوص الواردة في مسألة الزكاة وأنها تعمل على ايصال  
الفقير إلى مستوى الغنى (٥٢).

#### ج - النظام الاجتماعي :

والنصوص التي تشير إليها كمثال على ذلك هي ما يلي :

١ - ﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف﴾ (٥٣)، حيث يشير النص إلى  
ضرورة التناسب بين الحقوق والمسؤوليات.

٢ - كل النصوص التي تتجه لحفظ الكيان العائلي وعدم المساس  
به ونفي المقدمات التي تؤدي إلى انحلاله، فإنها تؤكد أن العائلة هي  
اساس البناء الاجتماعي ويجب سد كل الذرائع المؤدية إلى تفسخها  
وطرح البدائل عنها.

٣ - قوله تعالى على لسان سيدنا لوط عليه السلام : ﴿قال يا قوم هؤلاء بناتي  
هن اظهر لكم﴾ (٥٤)، وهي واضحة في لزوم طرح البدائل الاجتماعية  
للعادات والتقاليد الضارة.

#### د - نظام العلاقات الدولية :

ونشير إلى بعض النصوص فيه :

(٥١) الحشر: ٦.

(٥٢) وسائل الشيعة ١ :  
١٧٨ فما بعد.

(٥٣) البقر: ٢٢٨.

(٥٤) هود: ٧٨.

١ - قوله تعالى : ﴿ قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ﴾<sup>(٥٥)</sup> ، حيث تطرح مبدأ الحوار مع الآخرين والاجتماع على النقاط المشتركة لتقويتها .

(٥٥) آل عمران : ٦٤ .

٢ - ﴿ واثقوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً ﴾<sup>(٥٦)</sup> ، وهي تعبر عن مبدأ عام في مجال المعاهدات الدولية .

(٥٦) الاسراء : ٣٤ .

٣ - ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾<sup>(٥٧)</sup> ، وهي تعبر تماماً عن مسألة النموذج الحضاري الذي يجب أن تكون الامة الاسلامية دائماً على مستواه .

(٥٧) البقرة : ١٤٣ .

٤ - قوله تعالى : ﴿ ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلاً ﴾<sup>(٥٨)</sup> ، وهي تمثل اروع قاعدة في مجال التعامل الدولي .  
وغير ذلك من النماذج التي نكتفي منها بما ذكرناه والحديث عنها واسع الابعاد .

(٥٨) النساء : ١٤٦ .

#### ملاحظات مهمة في البين

الاولى : يجب التأكيد على أن الحالة الطبيعية التي يريدها الاسلام هي أن تطبق كل احكامه الاولى على كل مناحي الحياة ، فهي الأصل الطبيعي المطلوب ، وأي خروج عن هذا الاصل يجب أن يعد استثنائياً بمقدار ما تفرضه الظروف ويسمح به الاسلام ، بل قد يقال بأنه ينبغي العمل على تقليل حالة الاستثناء مهما امكن للعودة إلى الحالة الطبيعية المطلوبة .

وهذا الامر يعني أن المباحات الخاصة - أي تلك التي نعلم أن اباحتها سواء كانت الاباحة بالمعنى الخاص أي الاستحباب أو الكراهة ، أو بالمعنى العام أي ماعداهما - جاءت بمقتضى ملاك خاص



للاباحة أقام الاسلام الحكم على اساسه كما في مسائل الزواج والطلاق والزراعة والصناعة والتناسل وغير ذلك . هذه المباحات تدخل في نفس القاعدة التي ذكرناها معبرة عن الحالة الطبيعية ، بل يمكن أن يقال إن المباحات التي لا تقوم على ملاك خاص يقتضي الاباحة ، وإنما جاءت الاباحة من عدم وجود ملاك ملزم فيها ، هذه المباحات أيضاً تشكل حالة طبيعية ينبغي مراعاتها مهما امكن .

وهكذا نعد من مسؤوليات الحكومة الاسلامية العمل على التقيد التام بالاحكام الاولية ، إلا إذا اقتضت المصلحة العامة وفق الضوابط الاسلامية القيام بتحويل الاحكام المباحة إلى احكام الزامية ، أو تحويل بعض الاحكام الالزامية إلى احكام مباحة نتيجة لتزاحمها مع احكام أهم كما سيأتي ذلك في الفصل التالي .

الثانية : أن الدولة الاسلامية قد تصدر حكماً حكومياً على اساس من عنوان ثانوي تشخصه هي ، فيجب التزام الافراد به حتى لو لم يدركوا بانفسهم انطباق العنوان الثانوي هذا ، وذلك طاعة لها . اللهم إلا أن نترك الامر لمثل هؤلاء الذين لا يدركون الملاك الثانوي كالعسر والحر والضرر ألا يطبقوا الامر على انفسهم فهذا أمر آخر .

الثالثة : أن المؤشرات التي ذكرناها أو التي لم نتعرض لها قد تحمل اتجاهاً الزامياً ، وقد لا تملك ذلك وإنما تعين المسير العام للحاكم الشرعي مع طرح البدائل المتنوعة ، فيجب الانتباه إلى هذا الجانب بدقة .

## دراسات

## وَلَا تَبِعُوا أَهْلَ الْبَيْتِ

قسم الدراسات الإسلامية  
في مؤسسة بعثة الإمام  
الفاطمي (دام ظله)

قال سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا  
الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ (١) .



(١) النساء : ٥٩ .

في هذه الآية الكريمة ثلاث فقرات تنتهي إلى ثلاثة من أصول ديننا  
الإسلامي الحنيف ، فقوله تعالى : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ ﴾ ينتهي إلى التوحيد ،  
وقوله تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ ينتهي إلى النبوة ، وقوله تعالى :  
﴿ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ ينتهي إلى الإمامة .  
ولكل واحد منها أدلته وبراهينه .

أما التوحيد فبعد اللبنة الأولى في أس الديانات ، والأصل الأول من  
أصول العقيدة ، والكون كله شاهد عليه . قال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا  
فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ (٢) . وما أجمل قول  
الشاعر :

(٢) فصلت : ٥٣ .

فيا عجباً كيف يُعصى الإله أم كيف يَجْحَدُه الجاحدُ

وفي كل شيء له آية تدلّ على أنه واحد  
وأما النبوة فقد تسالم عليها أهل الديانات قاطبة ، فهي مصدرهم  
وموردهم وشبرعتهم ومنهلهم ، وإذا أقاموا عليها شيئاً من الأدلة  
العقلية أو النقلية ، فإنما أرادوا إثباتها لأصحاب الأديان الأخرى ، أو  
لجاحدي النبوة .

وأما الإمامة فقد بقيت عرضة للآراء والأقاويل والتكذيب  
والتشكيك ، وهي محل النزاع الأكبر في هذه الامة ، حتى قيل : إنه  
ما سئل سيف في الإسلام على قاعدة دينية كما سئل على الإمامة في  
كل زمان<sup>(٣)</sup> . فلأجل هذا كانت الكتابة في الإمامة في غاية الأهمية ، إن  
لم نقل إنها تتقدم في أهميتها على أي بحث آخر ؛ إذ إن من الواجب أن  
يدرك المسلمون حقيقة الإمامة وابعادها ، ولو أنهم أدركوا ذلك لأيقنوا  
أنها من صلب العقيدة ، وأنها ضرورة تماماً كالنبوة .

قال تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾<sup>(٤)</sup> . وقد ذهب  
المفسرون إلى أن المراد هو أن الله تعالى قد جعل من أمة محمد ﷺ  
أئمة يهدون بأمره ، كما جعل ذلك في بني اسرائيل<sup>(٥)</sup> .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ  
الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ \* وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا  
فإن حزب الله هم الغالبون ﴾<sup>(٦)</sup> .

فالإمامة إذن هي الامتداد الصحيح والضروري للنبوة ، وهي  
حصن الدين وسوره ودعامته التي لا يستقيم إلا بها ، وهي زعامة  
عظمى في أمور الدين والدنيا ، وولاية عامة ، على كافة الأمة القيام  
بأمورها والنهوض بأعبائها ، وقد أجمعت الأمة على وجوب عقدها في  
كل زمان .

ولكن بعد أن تحقّق هذا الاجماع افترقوا فيها فرقتين :  
قالت إحداهما : إن الإمامة تثبت بالاتفاق والاختيار .

(٣) راجع الشهرستاني ،  
الملل والنحل ١ : ٣٠ .

(٤) السجدة : ٢٤ .

(٥) الكشف للزمخشري

٥١٦ : ٣ . تفسير الرازي ٢٥ :

١٨٦ . تفسير المراغي ٢١ :

١١٨ . روح البیان

للبروسوي ٧ : ١٢٦ .

(٦) المائدة : ٥٥ - ٥٦ .

وقالت الأخرى : إنها تثبت بالنص والتعيين .

فمن قال بالقول الأول ، فقد ذهب إلى القول بإمامة كل من صارت إليه الإمامة ، ولو باتفاق جزء من الأمة ، إما مطلقاً وإما بشرط أن يكون قرشياً ، فقالوا بإمامة معاوية وأولاده ، ثم مروان وأولاده ، ثم بني العباس (٧) .

(٧) الملل والنحل ١ : ٣٣ -

٣٤

وأما أصحاب القول الثاني ، فقد ذهبوا إلى أن النبي ﷺ قد نصّ على علي عليه السلام بالإمامة من بعده ، ثم على أحد عشر من ولده ، آخرهم الامام المهدي المنتظر عليه السلام .

فمن هنا أصبح حرياً أن تقام عليها الدلائل وتنصب البراهين ، فكان ذلك حقاً على قدر يوازي قدرها ، فأقيمت البراهين وأنشئت الدلائل . ومن الدلائل ما جاء مشتركاً بين الفريقين ، ومنها ما تميز به كل منهما عن الآخر ، بحسب ما بينهما من اختلاف ، ولكن حتى هذا القدر المشترك ، الذي قال به الجميع ، لا تجده ينطبق على الخلفاء الذين قال الفريق الأول بإمامتهم . فلا يخفى أن الكثير من أولئك الخلفاء قد توصل إلى الخلافة بقوة السيف ، رغم مخالفة أغلب أبناء هذه الأمة ، فلا هو أتى باتفاق الأمة واختيارها ، ولا باتفاق أصحاب الحل والعقد ، ولا بتعيين مباشر بنص النبي ﷺ ، كما أن منهم من كان مجاهراً بالفسوق ، منتهكاً لحدود الله ، ميالاً إلى المعاصي ، محارباً لأولياء الله ، وهذه صفات لا يُنكرها أحد في خلفاء بني أمية وبني العباس ، وقليل منها متى وجد في أحدهم ، فهو كافٍ لسلب الأهلية عنه ، وبطلان خلافته . وهذا قدر لا يختلف عليه المسلمون ، إلا من قال بصحة إمامة الفاجر للمؤمن ، وهذا قول غريب لا يستقيم مع معنى الاسلام وأهدافه ، ولا مع الغرض من بعثة الأنبياء وتبليغهم رسالات ربهم تعالى .

بعدما ثبت أن الامامة هي رئاسة عامة في أمور الدين والدنيا ،

وأنها امتداد للوجود النبوي المقدس ، وحفظ لعهد ، وحماية لأمانته ، وقيام برسالته ، يمكننا أن نقول : إن كل ما صح أن يكون دليلاً على النبوة صح أن يكون دليلاً على الإمامة ؛ فبه تعرف ، وبه يقوم الشاهد عليها ، فدلائل النبوة هي نفسها دلائل الإمامة ، ما خلا نزول الوحي ، الذي هو من شأن الأنبياء وحدهم ، ولا وحي بعد خاتم الأنبياء ﷺ بالإجماع .

وأول أدلة الإمامة هو النص ؛ فالإمامة منصب إلهي مقدس لا يتحقق لأحد إلا بنص من الله تعالى ، أو من نبيه المصطفى ، الذي لا ينطق عن الهوى ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيِي يُوحَى ﴾ (٨) .

(٨) النجم : ٤ .

لقد بُعث النبي ﷺ رحمة للعالمين ، وليرفع من بين الناس أسباب الخلاف والفرقة ، ويزرع بينهم كل ما من شأنه أن يؤلف بينهم ، وينظم أمرهم ، ويحفظ فيهم العدل والإنصاف ، فلا يمكن أن يفارق أمته ويتركها هملأً ، تتحكم فيها الآراء والأهواء والاجتهادات المتباينة ، فيعود أمرها فوضى ، وكأنه لم يبعث نبي فيها ، أو كأن الله تعالى لم يرسل إليهم شريعة واحدة تجمعهم وتنظم أمرهم .

بل إن النبي ، الرحمة المهداة ، هو أرحم بأمرته من أن يتركها هكذا ، وهو أحرص على رسالته من أن يدعها تحت رحمة آراء شتى واجتهادات متضاربة ، بل قد يعد أمر كهذا إخلالاً بالأمانة التي كُلف النبي ﷺ بأدائها ، وتقصيراً بحق الرسالة التي بُعث لتبليغها . وكل هذا بعيد عن ساحة النبوة كل بعد ؛ فأبي مسلم لا يؤمن بأن نبينا الأكرم ﷺ قد أدى أمانة ربه أحسن أداء ، وبلغ رسالته أتم تبليغ ؟ وأي معنى سيبقى لأداء الأمانة مالم يُستأمن عليها رجل كفوء يتولى حمايتها وإقامة حدودها وتنفيذ أحكامها ؟ !

ولقد أتم ذلك رسول الله ﷺ أداء لأمانته ، فنص على وصيه وخليفته من بعده ، وسمّاه باسمه في غير موضع ومناسبة ، كما نص

عليه الكتاب الكريم .

ومما اخترناه من النصوص :

أ - قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ <sup>(٩)</sup> ، ونزولها في علي أمر أجمع عليه أهل التفسير <sup>(١٠)</sup> .

ثم جاءت النصوص النبوية الشريفة ، المتفق على صحتها ، بحصر عدد الأئمة بعد النبي ﷺ باثني عشر إماماً ، حداً فاصلاً وبياناً هادياً ، لا يترك منفذاً لاختلاف الآراء وتدخل الاجتهادات ، فقال رسول الله ﷺ : «الخلفاء بعدي اثنا عشر ، كلهم من قريش» <sup>(١١)</sup> .

ب - الحديث المتواتر في خطبة الغدير الشهيرة ، حيث أوقف النبي ﷺ مئة ألف من المسلمين ، حجوا معه حجة الوداع وعادوا معه ، فلما بلغوا غدير خم ، حيث مفترق طرقهم إلى مواطنهم ، نادى مناديه أن يرد المتقدم ، وينتظر المتأخر حتى يلحق ، ثم قام فيهم خطيباً ، وهو آخذ بيد علي بن أبي طالب ﷺ . فقال : «ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ؟ قالوا بلى . قال : من كنت مولاه فعلي مولاه . اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» <sup>(١٢)</sup> .

ج - قوله ﷺ لعلي ﷺ في الحديث المتفق عليه : «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ، إلا أنه لاني بعدي» <sup>(١٣)</sup> .

د - حديث الثقلين الذي نصه : «ألا أيها الناس ، إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب ، وأنا تارك فيكم الثقلين ، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي ، أحدهما أعظم من الآخر : كتاب الله ، حبل ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي ، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض ، فانظروا كيف تخلفوني فيهما» . وزاد في رواية مسلم وغيره : «اذكركم الله في أهل بيتي . اذكركم الله في أهل بيتي . اذكركم الله في أهل بيتي» <sup>(١٤)</sup> .

أما الصحاح الواردة من طرق الإمامية في ذكر الأئمة الاثني عشر

(٩) المائدة : ٥٥ .

(١٠) انظر : اسباب النزول : ١١٢ ، وتفسير الطبري : ٦ ، ١٨٦ ، وتفسير الرازي : ٢٦ : ١٢ ، وجامع الأصول : ٩ ، ٤٧٨ ، والبداية والنهاية : ٧ ، ٢٧١ ، وغيرها .

(١١) صحيح البخاري : ٩ ، ١٤٧ ، ح ٧٩ ، كتاب الاحكام ، باب الاستخلاف . صحيح مسلم : ٢ : ١٤٥٢ ، ح ٥ - ١٠ . اعلام الورى : ٢٨١ - ٢٨٦ .

(١٢) سنن الترمذي : ٥ : ٦٣٢ ، ح ٢٧١٣ . سنن ابن ماجه : ١ : ٤٢ ، ح ١١٦ و ٤٥ ، ح ١٢١ . مسند احمد : ١ : ٨٤ و ١١٩ و ١٥٢ و ٣٢١ و ٤ : ٢٨١ و ٣٦٨ و ٣٧٠ و ٣٧٢ و ٥ : ٣٤٧ و ٣٦٦ . خصائص النسائي : ح ٧٨ - ٨٢ . المستدرک علی الصحيحين : ٣ : ١١٠ و ١٣٤ و ٢٧١ . مصابيح السنة : ٤ : ١٧٢ ، ح ٤٧٦٧ . السيرة الحلبية : ٣ : ٢٧٤ . تاريخ اليعقوبي : ١١٢ : ٢ . تذكرة الحفاظ : ١ : ١٠٠ . البداية والنهاية : ٥ : ١٨٢ - ١٨٨ ، و ٧ : ٣٥٩ . اسد الغابة : ٤ : ٢٨ . الاستيعاب بهامش الاصابة : ٣ : ٣٦٦ .

(١٣) صحيح البخاري : ٥ : ٩٠ ، صحيح مسلم : ٤ : ١٨٧ ، ح ٣٠ - ٣٢ . سنن الترمذي : ٥ : ٦٣٨ ، ح ٣٧٢٤ . سنن ابن ماجه : ١ : ٤٢ ، ح ١١٥ . مسند احمد : ١ : ١٧٣ و ١٧٥ و ١٨٢ و ١٨٤ و ٣٢١ و ٣ : ٣٢٨ . تذكرة الحفاظ : ١ : ١٠ .

(١٤) صحيح مسلم ٤ :

١٨٧٢، ج ٣٦ و ٣٧. سنن  
الترمذي ٥ : ٦٦٢، ج ٣٧٨٦  
و ٣٧٨٨. مستند احمد ٢ : ١٤  
و ١٧، و ٤ : ٣٦٧. و ٥ : ١٨٢  
و ١٨٩. المستدرک علی  
الصحيحين ٣ : ١٤٨.  
مصابيح السنة ٤ : ١٩٠، ج  
٤٨١٦. تفسير الرازي ٨ :  
١٦٣، تفسير ابن كثير ٤ :  
١٢٢. السيرة الحلبية  
٣ : ٢٧٤. تاريخ اليعقوبي  
٢ : ١١١.

(١٥) انظر : اعلام الوری،  
الركن الرابع - الفصل  
الثاني : ٣٨٦ - ٣٩٢. وكتاب  
كفاية الاثر لأبي القاسم  
الخزان القمي، ومقتضب  
الاثر لابن عیاش، وغيرها  
كثير .

(١٦) مستدرک الحاكم  
١ : ٥٧٥. ارشاد الساري  
للقسطلاني ٣ : ١٩٥. عمدة  
القاري للعيني ٤ : ٦٠٦.  
الجامع الكبير للسيوطي  
٣ : ٢٥٣. انظر الغدير ٦ : ١٠٣.

(١٧) تذكرة سبط ابن  
الجوزي : ١٥٧.

(١٨) الاستيعاب (هامش  
الاصابة) ٣ : ٣٩. الرياض  
النضرة ٢ : ١٩٦. ذخائر  
العقبين : ٨٠. مطالب  
المسؤول : ١٣.

(١٩) انظر : الاستيعاب ٣ :  
٣٨ - ٤٧.

(٢٠) الاستيعاب ٣ : ٤٠. اسد  
الغابة ٤ : ٢٢.

بعدتهم وأسمائهم ، فهي كثيرة<sup>(١٥)</sup> .

ومن أدلة الإمامية أيضاً الاستقامة ، وسلامة النشأة ، والنسب  
الرفيع ، والمعجزة ، وانطباق هذه المزايا على أهل البيت عليهم السلام دون  
سواهم مما لا ريب فيه ، ومما تؤكد سيرتهم وأحاديثهم  
وتاريخهم عليهم السلام ، وهي تحتاج الى بحوث مفصلة لسنا بصددنا الآن .

أما السبق في العلم والحكمة - وهو موضوع بحثنا - فيعد ضرورة  
لازمة في الإمام ؛ لأجل أن يكون أهلاً لهذه المنزلة ، وكفوئاً لهذه  
المسؤولية ، وقطباً تلتف حوله الناس ، وتطمئن إلى سبقه في العلم  
والحكمة والمعرفة ، وقدرته الفائقة على مواجهة ما تبثلى به الأمة  
والدولة ، فلا يحتاج إلى غيره ممن هم محتاجون إلى إمام يهديهم  
ويثبتهم .

وهذه خصلة أشد ما تكون ظهوراً في علي وأولاده  
المعصومين عليهم السلام ، فلقد كان علي عليه السلام مرجعاً لأهل زمانه من خلفاء  
وغيرهم ، يرجعون إليه في كل معضلة ، ويلجأون إليه في كل مأزق ،  
وأمرهم في ذلك مشتهر ، وقد تكرر قول عمر بن الخطاب : « لا أبقاني  
الله بأرض لست فيها يا أبا الحسن »<sup>(١٦)</sup> ، وقوله : « اللهم لا تبقيني  
لمعضلة ليس لها ابن ابي طالب »<sup>(١٧)</sup> ، وقوله : « لولا علي لهلك  
عمر »<sup>(١٨)</sup> . ولم يكن فضله مقتصرأ على عمر دون سواه ، وليس عمر  
بأول من أقرله بفضله ، فقد أقرله الجميع في غير موضع  
ومناسبة<sup>(١٩)</sup> ، واجمل كل ذلك قول ابن عباس : « والله لقد أعطي علي  
ابن أبي طالب تسعة أعشار العلم . وإيم الله لقد شارككم في العشر  
العاشر »<sup>(٢٠)</sup> .

ذلك واحد الناس ، فلم تعرف الناس أحداً غيره قال : « سلوني ، فوالله  
لا تسألوني عن شيء إلا أخبركم ، وسلوني عن كتاب الله : فوالله ما من آية إلا  
وأنا أعلم أبليل نزلت أم بنهار ، أم في سهل أم في جبل »<sup>(٢١)</sup> .

(٢١) الاستيعاب (هامش)  
الاصابة ٤٣ : ٣ . وانظر  
الاصابة ٥٠٩ : ٢ .

(٢٢) تهذيب الكمال ٧٩ : ٥ .  
سير أعلام النبلاء ٢٥٧ : ٦ -  
٢٥٨ .

وهكذا كان شأن الأئمة من ولده عليه السلام أعلم أهل زمانهم وأرجحهم  
كفة بلا خلاف ، فقد علموا بدقائق ما كان عند الناس ، وزادوا عليهم  
بخصائص علمهم الموروث من جدّهم المصطفى وأبيهم المرتضى .  
وقد شاع قول أبي حنيفة في الإمام الصادق عليه السلام : «لم أر أفقه من جعفر  
ابن محمد الصادق ، وإنه لأعلم الناس باختلاف الناس» (٢٢) .  
ولم يكن الامام الصادق بأعلم من أبيه عليه السلام بل علمه علم أبيه ، وعلم  
الأئمة من بنيه علمه .

قال أبو حنيفة : «رأيت موسى بن جعفر ، وهو صغير السن ، في  
دهليز أبيه ، فقلت : أين يحدث الغريب منكم إذا أراد ذلك ؟ فنظر إلي ثم  
قال : يتوارى خلف الجدار ، ويتوقى أعين الجار ، ويتجنب شطوط الأنهار ،  
ومساقط الثمار ، وأفنية الدور ، والطرق النافذة ، والمساجد ، ولا يستقبل القبلة  
ولا يستدبرها ، ويرفع ويضع بعد ذلك حيث شاء .

قال : فلما سمعت هذا القول منه نبل في عيني ، وعظم في قلبي ،  
فقلت له : جعلت فداك ، ممن المعصية ؟ فنظر إلي ، ثم قال : اجلس حتى  
أخبرك . فجلست ، فقال : إن المعصية لا بد أن تكون من العبد ، أو من ربه ، أو  
منهما جميعاً ، فإن كانت من الله تعالى فهو أعدل وأنصف من أن يظلم عبده  
ويأخذه بما لم يفعله ، وإن كانت منهما فهو شريكه ، والقوي أولى  
بإنصاف الضعيف ، وإن كانت من العبد وحده فعليه وقع الأمر ، وإليه  
توجه النهي ، وله حق الثواب والعقاب ووجبت الجنة والنار . فقلت : يا ذرية  
بعضها من بعض» (٢٣) .

وقد نُظِمَ كلامه عليه السلام هذا شعراً ، فقيل :

لم تَحُلْ أفعالنا اللاتي ندّم بها      إحدى ثلاث خلال حين نأتيها  
إما تفرّد بارينا بصنعتها      فيسقط اللومُ عنا حين تُنشئها  
أو كان يشركنا فيها فيلحقه      ما سوف يلحقنا من لائم فيها  
أو لم يكن لإلهي في جنايتها      ذنب فما الذنب إلا ذنب جانيتها (٢٤)

(٢٣) مناقب ابن شهر آشوب  
٣٦٤ : ٤ . أمالي المرتضى ١  
١٠٥ : ١٠٥ . بحار الأنوار ٤٨ :  
١٠٦ . والآية هي ٣٤ من  
سورة آل عمران .

(٢٤) أمالي المرتضى ١ :  
١٠٦ .



وهكذا كانوا عليه السلام ، لم يُعرَف عن أحدهم أنه تَلَكَّأ يوماً في مسألة ، أو أفحمه أحد في حجة ، بل سَبَقهم نوع من الاعجاز ، واطهر ما يكون ذلك في الامام محمد الجواد عليه السلام ، الذي أوتي العلم والحكمة صبيّاً ، وسبق علماء عصره ومتكلميهم ، وشهدوا له بالفضل والتقدم والعلو ، وتأدّبوا في مجلسه ولم يبلغ التاسعة من العمر .

روى الشيخ المفيد عن معلّى بن محمد ، قال : « خرج عليّ أبو جعفر جدّنا (\*) موت أبيه ، فنظرت إلى قدّه لأصف قامته لأصحابنا ، فقعد ، ثم قال : يا معلّى ، إن الله تعالى احتجّ في الإمامة بمثل ما احتجّ به في النبوة . قال : ﴿ وآتينا الحكم صبيّاً ﴾ (٢٥) .

أما المرجعية العلمية في زمان الغيبة ، فقد أجمعت الروايات على اتّباع رواة حديث اهل البيت عليهم السلام .

منها ما رواه الشيخ الطوسي المتوفي سنة ٤٦٠ هـ ، بإسناده عن محمد بن يعقوب الكليني ، عن اسحاق بن يعقوب ، قال : « سألت محمد ابن عثمان العمري عليه السلام أن يوصل لي كتاباً قد سئلت فيه عن مسائل اشكلت عليّ ، فورد التوقيع بخط مولانا صاحب الدار عليه السلام [ إلى أن قال ] : وأما الحوادث الواقعة فارجعوا فيها إلى رواة حديثنا ؛ فإنهم حجّتي عليكم وأنا حجة الله عليكم » (٢٦) .

وأخرجه الطبرسي - من أعلام القرن السادس الهجري - عن محمد ابن يعقوب (٢٧) .

ولا شك أن في ذلك دلالة على اتّباع الفقهاء والمجتهدين ، ممن أحرز علوم اهل البيت عليهم السلام . قال الامام الحسن بن علي العسكري عليه السلام : « من كان من الفقهاء صائناً لنفسه ، حافظاً لدينه ، مخالفاً على هواه ، مطيعاً لأمر مولاه ، فللعوام أن يقصدوه » (٢٨) .

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ، وصلى الله على محمد وآله وسلّم تسليماً كثيراً .

(\*) جدّنا ان الأمر: أوله وابتدأه.

(٢٥) إعلام الوري: ٣٣٤ ، الارشاد: ٢٩٣ . ط . مؤسسة آل البيت عليهم السلام . البحار ٣٧: ٥٠ ، وقد رواه عن علي بن أسباط بلفظ مختلف . وفي هامش الارشاد أن ابن أسباط هو الراوي للخبر في المصادر ، وأنه سقط من السند في النسخ . والآية هي ١٢ من سورة مريم .

(٢٦) غيبة الطوسي: ١٧٦ .

(٢٧) الاحتجاج ٥٤٣: ٢ .

(٢٨) البحار: ٨٨ ، ح ١٢ .

ضنون وآداب

قصيدة

# عيد النور

السيد  
محمد جمال الهاشمي

اهتفي واملائي الفضاء نشيدا  
مولد النور عادَ عيداً سعيدا  
وانثري لؤلؤ البيانِ خطاباً  
وانظمي جوهر المعاني قصيدا  
وأعيدي ذاك النشيد فما أحـ  
ـلاه في السمع مبدأً ومعيدا  
ذكرينا بعالم عاش فيه الشـ  
ـرق في ظلّ احمد محمودا  
يوم شعت جبال مكة بالنو  
ر وماجت شعابها تغريدا

وتعالى صوتُ المبشّر أن الـ  
 لله اعطى لشبية مولودا  
 عجت البید بالبشائر واهت  
 رزت تُهنّي به السهول النجودا  
 أوليد لله يسجد والأص  
 سنام تهوي لديه ذللاً سجودا  
 عرفت أن دورها زال لَمّا  
 ظهر الحق في الزمان وليدا  
 مات عهد التدجيل ، فالساحر الأ  
 فاك قد عاد حظه منكودا  
 اين شيطانه الذي لاح للأو  
 هام من كيده العظيم مريدا  
 وخبت نار فارس وبنو العر  
 ب أضاعت احلامها تبديدا  
 وهوى من جلالة الروم تاج  
 كان في هامة العلا معقودا  
 وانقضت سلطة النصارى وأمست  
 في المصاب الأليم تحكي اليهودا

\* \* \*

شبّ روح الهدى يتيماً كذاك الـ  
 حق يحيا بين الأنام وحيدا  
 شبّ يرونو لقومه تعبدُ الأو  
 ثان جهلاً وتنكر المعبودا

قيّدت فكرها التقاليدُ فالاحـ

ـرارُ منها كانت تعيش عبيدا

تئدُ البنتُ تقتلُ الطفلَ حفظاً

لنظام عاشت عليه جمودا

تسخط الله والعواطف في القتـ

ـل لترضي بذلك التقليدا

مزقتها يسدُ الحروبُ فلولا

رحمةُ الله أوشكت أن تبيدا

راقب الأرض والسماء بعين

كان فيها يرى الغيوب شهودا

فرأى فيه قوةً تخرقُ الحجـ

ـبَ اعتراماً وتبلغ المقصودا

وأتاه الروح الامين بوحي

كان فيه عن الإله يريد ا

فانبرى مُفصّحاً بدعوته العظـ

ـمى مجدداً بأمره مجدودا

داعياً قومه إلى المثل العـ

ـيا رقيقاً على النفوس شديدا

كافحته الأغراض لكنّما أو

ـمعها باحتجاجة تفنيدا

وأثارت عناصر الشر لكن

هزم الخير جيشها المعدودا

وحّد الجيل بالمقاصد بالمقاصد لما

نشر العدل فيه والتوحيد ا

حارب الجهل باللسان وبالسيف  
— ف إلى أن أباده تشريدا  
أودع المنهج المقدس قرآ  
نأ سيقى مدى الزمان مجيدا  
لم تُهن عزمه الحوادث بل كا  
ن أمام الخطوب حصناً مشيداً  
حرّر الفكر من قيود التقاليد  
— سد جهاداً وقرر التسجيديدا  
وقضى بعدما أبان إلى الأجد  
— يال نهجاً تسري عليه سديدا  
هكذا تضمن الخلود نفوس  
تهب العمر كي تنال الخلودا

\*\*\*

أيها المسلم الغيور إلى كم  
ينقضي وقتك الثمين رُقودا  
ها هو الواجب المقدس يدعو  
ك فبادر إليه شهماً رشيداً  
خذ بنهج النبي تضمن لك الخلد  
— سد وتابع آثاره تسديدا  
هدم الجهل بالثقافة والديـ  
— ن لتبني كيانك المهدودا

\*\*\*

## دراسات

RESEARCH STUDIES

السيد  
محمد باقر المكي

# نظام العبادات في مدرسة أهل البيت

٥

### رابعاً : الذكر

نقصد بالذكر مجموع الكلمات التي يذكر بها الله تعالى بالثناء والتمجيد أو الاستعانة ، من قبيل الحمد لله وبسم الله وما شاء الله والله اكبر ولا إله إلا الله وسبحان الله الخ .

وكذلك يقصد به الاستغفار وعلان التوبة والانابة لله من الذنوب والمعاصي ، وأيضاً الدعاء بالصلاة على النبي محمد وآله<sup>(١)</sup> .

والذكر بهذا المعنى الواسع عبادة من العبادات الاسلامية الواجبة التي حث عليها القرآن الكريم في كثير من آياته ، أو جاءت نصوصها في آياته ، قال تعالى : ﴿ واذكر اسم ربك بكرة واصيلاً ﴾ ومن الليل فاسجد له وتسبحه ليلاً طويلاً<sup>(٢)</sup> .

وقال : ﴿ إن في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات

(١) الظاهر أن الاستغفار والصلاة على الانبياء من الدعاء وليس من الذكر ، ولكنها تذكر لمشايتها الذكر في البناء اللفظي في جمل قصيرة (استغفر الله ربي واتوب إليه) و (اللهم صل على محمد وآل محمد) ، وأيضاً لأنه ورد في استحبابها تكرارها في بعض المواضع مرات عديدة ، شأنها في ذلك شأن الذكر ، ولذا يتم الحديث عنها في هذا الباب ، كما أنه ورد في بعض الروايات أن الصلاة على النبي ﷺ تعوض عن ذكر الله وتسبيحه .

(٢) الانسان : ٢٥ - ٢٦ .

لاولي الابواب \* الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والارض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه ففنا عذاب النار ﴿٣﴾.

(٣) آل عمران : ١٩٠ - ١٩١.

وقال : ﴿والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾ (٤).

(٤) آل عمران : ١٣٥.

وقال : ﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾ (٥).

(٥) النساء : ٦٤.

وقال : ﴿وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجل مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله﴾ (٦).

(٦) هود : ٣.

وقال : ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً﴾ (٧).

(٧) الاحزاب : ٥٦.

وقال : ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً \* وسبحوه بكرة وأصيلاً \* هو الذي يصلي عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور وكان بالمؤمنين رحيماً﴾ (٨).

(٨) الاحزاب : ٤١ - ٤٣.

وقد ورد في الحديث المعتبر عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنه قال : «مكتوب في التوراة التي لم تغيّر أن موسى عليه السلام سأل ربه فقال : يا رب ، اقريب أنت مني فأناجيك ، أم بعيد فأناذك ؟ فأوحى الله عز وجل إليه : يا موسى ، أنا جليس من ذكرني . فقال موسى : فمن في سترك يوم لا ستر إلا سترك ؟ فقال : الذين يذكرونني فأذكرهم ويتحابون في فأحبهم ، فأولئك الذين إذا أردت أن أصيب اهل الارض بسوء ذكرتهم فدفعت عنهم بهم» (٩).

(٩) جامع احاديث الشيعة  
١٥ : ٣٥٠ ، ح ١.

وروى الكليني عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «قال رسول الله ﷺ من أكثر ذكر الله عز وجل احبه الله ، ومن ذكر الله كثيراً كتبت له براءة براءة من النار وبرائة من النفاق» (١٠).

(١٠) م ١٠ ، ح ١٩.

وروي أن رسول الله ﷺ خرج على اصحابه فقال : «ارتعوا في رياض الجنة . قالوا : يا رسول الله ، وما رياض الجنة ؟ قال : مجالس الذكر اغدوا وروحوا واذكروا . ومن كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فليخطر كيف

منزلة الله عنده ، فإن الله تعالى ينزل العبد حيث انزل العبد الله من نفسه .  
واعلموا أن خير اعمالكم وازكاها وارفعها في درجاتكم ، وخير ما طلعت عليه  
الشمس ذكر الله سبحانه ، فإنه اخبر عن نفسه فقال : أنا جليس من ذكرني ،  
وقال سبحانه : فاذكروني اذكركم بنعمتي واذكروني بالطاعة والعبادة اذكركم  
بالنعم والاحسان والرحمة والرضوان» (١١) .

(١١) م. ن. ح. ٦.

ويحسن بنا تقسيم البحث إلى ثلاثة أقسام :

الأول : الذكر بالمعنى الخاص .

الثاني : الاستغفار .

الثالث : الصلاة على النبي ﷺ وآله .

الأول : الذكر بالمعنى الخاص

الذكر بالمعنى الخاص هو كل ذكر لله تعالى بأسمائه أو صفاته أو  
الثناء عليه أو تمجيده وتحميده ، ولكن ورد في النصوص أن هناك  
مفردات خاصة للذكر تحظى بأهمية خاصة في هذا الموضوع . نذكر  
أهمها وهي :

- ١ - البسملة ، ٢ - الاستعاذة ، ٣ - التهليل ، ٤ - الحمد ، ٥ - التسبيح ،
- ٦ - التكبير ، ٧ - الحوقلة ، ٨ - المشيئة ، ٩ - الاسترجاع .

١ - البسملة

البسملة آية من القرآن الكريم ، بل هي آية في كل سور القرآن  
الكريم عدا براءة . وقد جاء في بعض الروايات أنها أفضل الآيات ، فقد  
روى الشيخ الطوسي في التهذيب بسند معتبر عن محمد بن مسلم  
قال : «سألت أبا عبد الله ﷺ عن السبع المثاني والقرآن العظيم هي  
فاتحة الكتاب ؟ قال : نعم ، قلت : بسم الله الرحمن الرحيم من السبع  
المثاني ؟ قال : نعم ، أفضلهن» (١٢) .

وفي حديث آخر عن الباقر ﷺ قال : «بسم الله الرحمن الرحيم أقرب

(١٢) نور الثقلين ١ : ٨ ، ح ٢٤ ، بحث بسم الله الرحمن  
الرحيم .



(١٣) م. ن. ح: ٢١.

إلى اسم الله الاعظم من ناظر العين إلى سوادها» (١٣).

وفي رواية أخرى : «أن أول كتاب نزل من السماء بسم الله الرحمن الرحيم . وإذا قرأت بسم الله الرحمن الرحيم سترتك فيما بين الارض والسماء» (١٤).

(١٤) م. ن. ح: ١٤.

### البسملة شعار الجماعة الصالحة

ولاهمية البسملة في نظر اهل البيت عليهم السلام تحولت إلى علامة وشعار للجماعة الصالحة يمتازون بها عن بقية المسلمين ، حيث يمكن أن نلاحظ هذا الامر في الامور التالية :

١ - الالتزام بقراءتها في الصلاة جزءاً من سورة الفاتحة ومن كل سورة .

٢ - الجهر بالبسملة في الصلاة حتى الاخفائية منها ، وهذا ما تحدثنا عنه في بحث الصلاة اليومية .

عن الحكم بن عمير قال : «صليت خلف النبي صلى الله عليه وآله فجهر في الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم في صلاة الليل وصلاة الغداة وصلاة الجمعة» (١٥).

(١٥) الدر المنثور ١ : ٨.

٣ - الالتزام بأن البسملة هي جزء من جميع سور القرآن الكريم عدا براءة ، كما نصت على ذلك الروايات الواردة عنهم عليهم السلام وعن رسول الله صلى الله عليه وآله ، وكما يؤكد الرسم القرآني المتداول بين المسلمين حيث يكتبون البسملة كما يكتبون الآيات القرآنية الاخرى .

٤ - الالتزام بذكر البسملة في مختلف شؤون حياتهم فضلاً عن البدء بها في الكتابة ، بل يرون البدء بها في جميع أعمالهم كما ورد ذلك عن أئمتهم . فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال : «كل امرئ بال لا يذكر ببسم الله الرحمن الرحيم (\*) فيه فهو أتر» . وفي رواية أخرى : «كل كتاب لا يبدأ فيه بذكر الله فهو أقطع» (١٦).

(\*) في البحار ٧٦ : ٣٠٥ و ٢٤٢ : ٩٢ «لا يذكر بسم الله ...» وهو الصواب. التحرير.

(١٦) جامع احاديث الشيعة ٣٧٨ : ٥ ح ٤ و ٥.

وقد عرف شيعة اهل البيت عليهم السلام بهذا حتى أصبح الجهر بالبسملة من علامات المؤمن الخمس ، كما ذكرنا آنفاً في البحث السابق .

## ٢- الاستعاذة

الاستعاذة هي قول : «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» أو «أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم» أو أي صفة أخرى<sup>(١٧)</sup> .

وقد ورد الإشارة إليها في القرآن الكريم عند البدء بقراءة القرآن الكريم ، كما في قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾<sup>(١٨)</sup> .

(١٧) نور الثقلين ٢ : ٨٣ ، ح ٢١٧ - ٢٢٢ .

وقد ورد في الروايات عن صلاة بعض أئمة اهل البيت أنهم كانوا يأتون بها في الصلاة قبل البسملة وعند قراءة القرآن أيضاً .

(١٨) النحل : ١٦ .

كما في رواية قرب الاسناد عن حنان بن سدير قال : «صليت خلف ابي عبد الله فصلّى بإجهار أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم وأعوذ بالله أن يحضرون ، ثم جهر ببسم الله الرحمن الرحيم . وفي رواية التهذيب : تعوذ بإجهار ثم جهر ببسم الله الرحمن الرحيم»<sup>(١٩)</sup> .

(١٩) م. ن. ح ٢٢٠ و ٢٢١ .

وقد ذكر الطبرسي في مجمع البيان أن الاستعاذة عند التلاوة مستحبة غير واجبة بلا خلاف في الصلاة وخارجها<sup>(٢٠)</sup> .

(٢٠) مجمع البيان ٣ : ٣٨٥ .

وقد روى الكليني في الكافي بإسناده ، عن فرات بن أحنف ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : «سمعتة يقول : أول كتاب نزل من السماء بسم الله الرحمن الرحيم ، فإذا قرأت بسم الله الرحمن الرحيم فلا تبالي<sup>(\*)</sup> ألا تستعين»<sup>(٢١)</sup> .

(\*) كذا في المصدر ، وصوابه «فلا تبالي» بالجزم ، التحرير .

(٢١) نور الثقلين ٣ : ٨٤ ، ح ٢١٧ .

## ٣- التهليل

التهليل هو قول «لا إله إلا الله» ، أو «لا إله إلا هو» وقد ورد في القرآن الكريم في عدة مواضع منها قوله تعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

(٢٢) آل عمران : ١٨ .

والملائكة وأولو العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم» (٢٢) .

والشهادة به هو جزء من الشهادتين اللتين تتكرران في الاذان والاقامة ، وتجب في الصلاة عند التشهد .

وقد وردت روايات عديدة في فضله تتضمن أنه ليس شيء اعظم وأفضل وارجح واثقل من شهادة أن لا إله إلا الله ، كما ورد في حديث سلسلة الذهب المعروف عن الامام الرضا الذي حدث به الناس في نيسابور عند مقدمه إلى خراسان أنه قال عن آبائه عن رسول الله عن جبرائيل عن الله : «شهادة أن لا إله إلا الله حصني ، من قالها مخلصاً من قلبه دخل حصني ومن دخل حصني أمن من عذابي» .

وأن هذه الشهادة هي أفضل الكلام وسيد القول ، وأن من قالها صادقاً استوجب الجنة ، ومن قالها كاذباً عصمت ماله ودمه وكان مصيره إلى النار (٢٣) .

ومن هنا أصبح التهليل شعار المسلمين في الدنيا وشعارهم أيضاً على الصراط يوم القيامة ، حسب ما أشارت إليه الروايات (٢٤) . وانطلاقاً من ذلك أصبح للجهر بها ثواب عظيم مضاعف .

فقد ورد عن رسول الله ﷺ : «ما من مسلم يقول : لا إله إلا الله يرفع بها صوته فيفرغ» (\*) ، حتى تتناثر ذنوبه تحت قدميه كما تتناثر ورق الشجر تحتها» (٢٥) .

ولا شك أن ضم الشهادة الثانية لها وهي أن محمداً رسول الله يزيد في الاجر والثواب .

كما ورد في بعض الاحاديث بيان ثواب الشهادتين أنه كتابة الف الف حسنة ، وأنه نجاة من النار ويوجب دخول الجنة (٢٦) .

#### ٤ - الحمد لله

الحمد لله أول ما يفتتح به العبد صلاته في سورة الفاتحة بعد البسملة . وقد ادبنا القرآن الكريم به ، كما أنه آخر دعوى المؤمنين

(٢٣) جامع احاديث الشيعة  
١٥ : ٤٠٧ ، باب ١٩ .

(٢٤) م : ن : ٤١٩ ، ح ٤٤ .

(\*) كذا في المصدر ، ولعل  
الصواب «فيفرغ» . التحرير .

(٢٥) م : ن : ٤٢٢ ، ب ٢١ .

(٢٦) م : ن : ٤٢٣ ، ب ٢٢ .

وكلامهم : ﴿وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين﴾ .

وقد ورد في القرآن الكريم مكرراً على لسان الانبياء والصالحين ،  
والحمد هو أحب الاعمال لله تعالى .

فقد روى الكليني في الكافي عن محمد بن مروان قال : «قلت  
لأبي عبد الله عليه السلام أي الاعمال أحب إلى الله عزوجل ؟ قال :  
أن تحمده» (٢٧) .

(٢٧) م. ن. : ٣٨٠ ، ح. ١ .

وقد كان رسول الله ﷺ يكثر من الحمد في الصباح والمساء (٢٨) .

(٢٨) م. ن. : ٣٨٠ ، ح. ٦ و ٧ .

### ٥ - التسبيح لله

ورد التسبيح لله تعالى في القرآن الكريم في مواضع عديدة ، وبه  
افتخر الملائكة عندما ارادوا لانفسهم أن يكونوا خلفاء لله في الارض :  
﴿قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك  
ونقدس لك﴾ .

كما أن التسبيح لله تعالى يمثل ظاهرة كونية تشمل كل الكائنات  
حسب ما اكده القرآن الكريم : ﴿تسبح له السموات السبع والارض ومن  
فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً  
غفوراً﴾ (٢٩) .

(٢٩) الاسراء : ٤٤ .

وقد جاء الحث في القرآن الكريم للنبي والمؤمنين على التسبيح لله  
تعالى : ﴿فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين﴾ (٣٠) .

(٣٠) الحجر : ٩٨ .

وقد وردت روايات عديدة في فضل التسبيح (٣١) . منها ما رواه  
في السرائر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام : «ما من كلمة اخف  
على اللسان ولا ابغ من سبحان الله ...» (٣٢) . وكذلك ما رواه الصدوق  
في ثواب الاعمال عن الصادق عليه السلام قال : «من قال سبحان الله  
وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده كتب الله له ثلاثة آلاف حسنة ،  
ورفع له ثلاثة آلاف درجة ، وخلق منها طائراً في الجنة يسبح الله وكان أجر  
تسبيحه له» (٣٣) .

(٣١) م. ن. : ٣٩٣ ، باب ١٦ .

(٣٢) م. ن. : ٣٩٧ ، ح. ١١ .

(٣٣) م. ن. : ٣٩٦ ، ح. ٩ .

## ٦- التكبير لله

لقد ورد الحديث عن التكبير في القرآن في عدة مواضع ، كما في قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ \* قم فأنذر \* وربك فكبر ﴾ (٣٤) .

وقوله تعالى : ﴿ ولتكمّلوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون ﴾ (٣٥) .

وقوله تعالى : ﴿ وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الدّل وكبره تكبيرا ﴾ (٣٦) .

والتكبير هو شعار المسلمين ايضاً ؛ لانه ورد في الاذان عدة مرات ، وكذلك في الاقامة للصلاة . وبدء الصلاة والاحرام بها يكون بالتكبير ، وكذلك الانتقال من فعل إلى آخر في الصلاة يكون بالتكبير . وقد ورد في فضله أنه قرن بالتهليل في الفضل في بعض الروايات ، حيث إنه ليس شيء أحب إلى الله تعالى من التهليل والتكبير ، وأن ثمنه الجنة ، وأنه يكفر الذنوب (٣٧) .

والتكبير هو قرين التسبيح والحمد والتهليل في التسبيحات الاربع المعروفة التي ورد فيها ثواب وفضل كبيران (٣٨) ، ويعوض الاتيان بها عن الفاتحة في الركعتين الاخيرتين من الصلاة .

## ٧- الحوقلة

الحوقلة : هي قول لا حول ولا قوة إلا بالله . وقد وردت الاشارة إليها في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله ﴾ (٣٩) .

وقد وردت روايات عديدة تؤكد أن هذا الذكر له فضل كبير في دفع الهم والحزن والوسوسة والفقر ، وفي عدة روايات أنها كنز من كنوز الجنة ، وأن قولها يسقط الذنوب حيث يخرج الانسان منها كيوم ولدته امه (٤٠) .

(٣٤) المدثر : ١ - ٣ .

(٣٥) البقرة : ١٨٥ .

(٣٦) الاسراء : ١١١ .

(٣٧) جامع احاديث الشيعة ٤٣١ : ١٥ ، باب ٢٤ .

(٣٨) م . ن : ٣٩٩ ، باب ١٧ ، خصوصاً الرواية الاولى وهي معتبرة السند ، وكذلك باب ١٨ ، والظاهر أن هذه التسبيحات هي افضل الذكر على الاطلاق لما اشتملت عليه من الاشكال الاربعة للذكر ولأنها تأتي عوض الفاتحة وهي افضل سورة في القرآن الكريم مضافاً ما ورد في فضلها والله اعلم .

(٣٩) الكهف : ٣٩ .

(٤٠) جامع احاديث الشيعة ٤٢٤ : ١٥ ، باب ٢٣ .

## ٨- المشيئة

المشيئة هي قول ما شاء الله ، وقد ذكرها القرآن الكريم في الآية ٣٩ من سورة الكهف ، وقد عرفنا فضلها الكثير في بحث الدعاء ، وأنها تعبر عن التسليم للإرادة الالهية . وقد وردت هذه الصيغة في بعض الاذكار الموقته ، كما عرفنا ذلك خصوصاً في اعمال شهر رجب .

## ٩- الاسترجاع

الاسترجاع هو قول إنا لله وإنا إليه راجعون ، وهو ذكر يقوله الانسان عند المصيبة كما ورد ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ﴿٤١﴾ . وقد ورد في معنى الاسترجاع عن علي عليه السلام أنه قال للاشعث ابن قيس لما سمعه يسترجع: «أتدري ما تأويلها؟ فقال الاشعث: لا ، أنت غاية العلم ومنتهاه ، فقال له : أما قولك : إنا لله فأقرار منك بالملك ، وأما قولك : وإنا إليه راجعون فأقرار منك بالهلاك» (٤٢) .

(٤١) البقرة: ١٥٦- ١٥٧ .

(٤٢) نور الثقلين ١: ١٤٤، ح ٤٥٥ عن اصول الكافي ، وكذلك ورد هذا المضمون في نهج البلاغة عن علي عليه السلام .

(٤٣) م. ن. ح ٤٥١ .

كما ورد عن رسول الله ﷺ في أهمية الاسترجاع وفضله أنه خصلة وصفة تجعل الانسان في دائرة نور الله الاعظم (٤٣) .

ويبدو من بعض الروايات أن الاسترجاع من الآداب التي اختص الله بها تعالى الأمة الاسلامية الخاتمة . فقد ورد في تفسير علي بن ابراهيم أن ابا عبد الله الصادق عليه السلام سئل : «ما بلغ من حزن يعقوب على يوسف ؟ قال : حزن سبعين ثكلى باولادها . وقال : إن يعقوب لم يعرف الاسترجاع ، فمنها قال : واأسفاه على يوسف» (٤٤) .

(٤٤) م. ن. ح ٤٥٦ .

وللإسترجاع آثار وفوائد كثيرة تحدثت عنها الآية القرآنية ، وأكدت الروايات عن اهل البيت عليهم السلام ، فان فيه الصلوات من الله تعالى والرحمة الالهية والهداية كما اشارت إلى ذلك الآية الكريمة .

كما أن فيه المغفرة من الله تعالى وجبران المصيبة وحسن العاقبة والخلف الصالح . وفي تكرارها عند تذكر المصيبة الاجر والثواب وكذلك لقولها عند حدوث المصيبة<sup>(٤٥)</sup> .

(٤٥) م . ن : ح ٤٥٣ و ٤٥٤ و ٤٥٨ .

### الثاني: الاستغفار

ورد الاستغفار في القرآن الكريم في عدة مواضع ، سواء بلسان الحث عليه والترغيب فيه ببيان آثاره وفوائده المادية والمعنوية ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ يُمْتَحَمْ مَتَاعاً حَسَناً إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴾<sup>(٤٦)</sup> . ﴿ وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ يَرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مَجْرِمِينَ ﴾<sup>(٤٧)</sup> .

(٤٦) هود : ٣ .

(٤٧) هود : ٥٢ .

أو بلسان الدعاء على لسان الصالحين كما في قوله تعالى : ﴿ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾<sup>(٤٨)</sup> .

(٤٨) الحشر : ١٠ .

أو بلسان التأكيد لوجود فرصة التوبة والمغفرة في كل الظروف : ﴿ قَالَ يَا عِبَادِي الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذَّنُوبَ جَمِيعاً ﴾<sup>(٤٩)</sup> .

(٤٩) الزمر : ٥٣ .

إلى غير ذلك من الاساليب والصيغ مثل صيغة بيان اسباب المغفرة وحصولها ، أو صيغة انقطاع مهلة المغفرة وانسداد ابوابها ، أو توضيح الطريق لحصول المغفرة ووقوعها .

(\*) كذا في المصدر، وصوابه «وهي تتلألاً» كما في البحار ٩٣: ٢٨٤. التحري.

وقد ورد في فضل الاستغفار وآثاره روايات عديدة ، منها أنه خير الدعاء ، كما ورد فيه أيضاً : «إن للقلوب صدأ كصدأ النحاس فاجلوها بالاستغفار» وكذلك «إذا أكثر العبد من الاستغفار رفعت صحيفته وهو يتلألاً»<sup>(\*)</sup> (٥٠) .

(٥٠) جامع احاديث الشيعة

١٥ : ٤٩٣ ، ح ١ و ٣ و ١١ .

والاستغفار واجب أيضاً لأنه يعبر عن التوبة إلى الله تعالى والإنابة

إليه من الذنب الذي ارتكبه الانسان<sup>(٥١)</sup>.

والتوبة إلى الله تعالى التي يعبر عنها الاستغفار من الواجبات الشرعية الإلهية ، ولذلك فإن تركها معصية وذنب قد يحول الذنوب الصغيرة إلى ذنوب كبيرة . وفعلها حسنة يحول الذنوب الكبيرة إلى رحمة ومغفرة إلهية . فقد ورد في الحديث الشريف «لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار»<sup>(٥٢)</sup> . وقد فسر الإصرار في بعض الروايات بترك الاستغفار والتوبة<sup>(٥٣)</sup>.

ففي رواية عن الامام الصادق عليه السلام عن أبيه الباقر عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : «أربع من كن فيه كان في نور الله الاعظم : من كان عصمة أمره شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومن إذا أصابته مصيبة قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ومن إذا أصاب خيراً قال : الحمد لله رب العالمين ، ومن إذا أصاب خطيئة قال : استغفر الله واتوب إليه»<sup>(٥٤)</sup>.

وفي رواية معتبرة عن معاوية بن وهب قال : «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إذا تاب العبد توبة نصوحاً أجله الله فستر عليه في الدنيا والآخرة . قلت : وكيف يستر عليه ؟ قال : ينسي ملكيه ما كتب عليه من الذنوب ، ويوحى إلى جوارحه : اكتمى عليه ذنوبه ، ويوحى إلى بقاع الارض : اكتمى ما كان يعمل عليك من الذنوب ، فيلقى الله حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب»<sup>(٥٥)</sup>.

والتوبة (النصوح) في الروايات هي أن يكون باطن الرجل كظاهره أو أفضل<sup>(٥٦)</sup>.

وقد ورد في أهمية الاستغفار عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قوله : «ما من مؤمن يقارف في يومه وليلته أربعين كبيرة فيقول وهو نادم : استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم بديع السموات والارض ذا الجلال والاکرام ، واسأله أن يصلي على محمد وآله وأن يتوب عليّ إلا غفرها الله له ، ولا خير فيمن يقارف في يومه أكثر من أربعين كبيرة»<sup>(٥٧)</sup>.

(٥١) الذنوب التي يرتكبها الانسان أو يشعر بها ويستغفر الله منها لها درجات ومراتب ، حيث قد يكون ذنباً كبيراً أو حتى شركاً بالله تعالى خفياً أو ظاهراً ، فيرجع عنه الانسان إلى الله تعالى ، وقد يكون ذنباً صغيراً من اللطم كما يعبر القرآن الكريم ، وقد يكون غفلة ونسياناً أو تركاً لما هو أولى وأفضل فيشعر الانسان الصالح الطاهر أنه قد أساء واذنب ، وقد يكون تقصيراً بإزاء الله تعالى في شكر نعمة أو أداء واجب أو وظيفة ، أو في مواساة فقير أو اغ في الله أو في ترك مودة مؤمن أو فعل مكروه وغير ذلك . وبعض هذه العناوين - وإن لم يطلق عليها اسم الذنب في الاصطلاح الفقهي - يكون مورداً لطلب المغفرة ايضاً خصوصاً من اصحاب الدرجات العالية في الكمالات الانسانية .

(٥٢) وسائل الشيعة ١١ :

٢٦٨ ، ج ٣ .

(٥٣) م . ن ، ج ٤ .

(٥٤) م . ن ، ج ٣٥٦ ، ح ١٨ .

(٥٥) م . ن : ٣٥٧ ، ح ١ .

(٥٦) م . ن : ٣٦١ ، ح ١ و ٢ .

(٥٧) م . ن : ٢٦٤ ، ج ٣ .



(٥٨) م-ن: ح ٩.

كما ورد فيه أيضاً أنه من أركان الإيمان (٥٨).

وقد ورد في حديث أهل البيت تشخيص (الحد) للاستغفار ، وأنه لا بد أن يكون حقيقياً نابعاً من القلب والوجدان ، مقروناً بالندم على الذنب وبالعزم على تركه . فقد جاء في تحف العقول في حديث كميل ابن زياد مع أمير المؤمنين علي عليه السلام أنه قال : «قلت : يا أمير المؤمنين ، العبد يصيب الذنب فيستغفر الله منه ، فما حد الاستغفار ؟ قال : يابن زياد التوبة . قلت : بس ؟ قال : لا . قلت : فكيف ؟ قال : إن العبد إذا أصاب ذنباً يقول : استغفر الله بالتحريك ، قلت : وما التحريك ؟ قال : الشفتان واللسان يريد أن يتبع ذلك بالحقيقة ، قلت : وما الحقيقة ؟ قال : تصديق في القلب وإضمار أن لا يعود إلى الذنب الذي استغفر منه . قال كميل : فإذا فعلت ذلك فأنا من المستغفرين ؟ قال : لا . قال كميل : فكيف ذاك ؟ قال : لأنك لم تبلغ إلى الأصل بعد . قال كميل : فأصل الاستغفار ما هو ؟ قال : الرجوع إلى التوبة من الذنب الذي استغفرت منه ، وهي أول درجة العابدين . وترك الذنب والاستغفار اسم واقع لمعان ست : أولها : الندم على ما مضى ، والثاني : العزم على ترك العود أبداً ، والثالث : أن تؤدي حقوق المخلوقين التي بينك وبينهم ، والرابع : أن تؤدي حق الله في كل فرض ، والخامس : أن تذيب اللحم الذي نبت على السحت والحرام حتى يرجع الجلد إلى عظمه ثم تنشئ فيما بينهما لحماً جديداً ، والسادس : أن تذيب البدن الم الطاعات كما أذقته لذات المعاصي» (٥٩) .

(٥٩) تحف العقول: ١٩٧، ط.  
مؤسسة النشر الاسلامي .

كما لا بد في الاستغفار من المبادرة إليه وعدم التأخير ، كما ورد في القرآن الكريم الاشارة إلى ذلك في قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ (٦٠) .

(٦٠) آل عمران : ١٣٥ .

كما ورد في الروايات التأكيد على ذلك ، ففي حديث معتبر عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : «من عمل سيئة أجل فيها سبع ساعات من النهار ، فإن قال : استغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه ثلاث مرات لم تكتب عليه» (٦١) .

(٦١) وسائل الشيعة  
٣٥١: ١١، ح ٢.

وفي حديث آخر معتبر عن زرارة قال : «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إن العبد إذا اذنب ذنباً أُجِّلَ من غدوة إلى الليل ، فإن استغفر الله لم تكتب عليه» (٦٢) .

(٦٢) م . ن . ح ٤ .

وعن الصادق عليه السلام قال : «لما نزلت هذه الآية ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ﴾ صعد ابليس جبلاً بمكة يقال له ثور ، فصرخ بأعلى صوته بعفاريته فاجتمعوا إليه فقال : نزلت هذه الآية فمن لها ؟ فقام عفريت من الشياطين فقال : أنا لها بكذا وكذا ، فقال : لست لها ، ثم قام آخر فقال مثل ذلك ، فقال : لست لها ، فقال الوسواس الخناس ، أنا لها ، قال : بماذا ؟ قال : أعدهم وأمنّهم حتى يواقعوا الخطيئة ، فإذا واقعوا الخطيئة أنسيتهم الاستغفار ، فقال : أنت لها فوكله بها إلى يوم القيامة» (٦٣) .

(٦٣) م . ن . ح ٧ .

وفي رواية عن سفيان بن السمط قال : «قال أبو عبد الله عليه السلام : إذا أراد الله عز وجل بعبد خيراً فأذنب ذنباً أتبعه بنقمة ويذكره الاستغفار ، وإذا أراد الله عز وجل بعبد شراً فأذنب ذنباً أتبعه بنعمة فينسيه الاستغفار ويتمادي (\*) به ، وهو قول الله عز وجل : ﴿سنستدرجهم من حيث لا يعلمون﴾ بالنعم عند المعاصي» (٦٤) .

(\*) كذا في المصدر ، وصوابه « يتمادي » ، كما في طبعة مؤسسة آل البيت (ع) : ٦٦ : ٦٨ . التحرير .

(٦٤) م . ن . ح ١٠ .

كما أن افضل الاستغفار ما يكون مقروناً بالاقرار بالذنب وتسميته بعنوانه واسمه الخاص أو بعنوانه العام .

روى الكليني ، عن أبي جعفر عليه السلام قال : «والله ما ينجو من الذنب إلا من أقر به . قال : وقال أبو جعفر عليه السلام : كفى بالندم توبة» (٦٥) .

(٦٥) م . ن . ح ٣٤٧ .

وعن أبي جعفر عليه السلام قال : «لا والله ما أراد الله من الناس إلا خصلتين : أن يقرؤا له بالنعم فيزيدهم ، وبالذنوب فيغفرها لهم» (٦٦) .

(٦٦) م . ن . ح ٢ .

والذنب تمرد على الله تعالى وخروج عن طاعته وعبوديته ، ولذلك إذا كان الذنب جهاراً كان ادعى إلى العقوبة ومستوجباً لما هو الاشد منها ، وأما إذا تستر به العبد حياءً من الله تعالى ومن الذنب فهو نوع من ضعف الارادة امام الشهوات ، ولكنه في نفس الوقت يعبر عن

مكونون نفسي في الانسان ينبئ عن الخشية ويكون داعياً للانابة والرجوع إلى الله تعالى وطلب المغفرة منه .

فقد روي عن الرضا عن رسول الله ﷺ أنه قال : «المستتر بالحسنة يعدل سبعين حسنة ، والمذيع بالسيئة مخذول ، والمستتر بالسيئة مغفور له» (٦٧) .

(٦٧) م . ن : ٣٥٠ ، ح . ١ .

وبهذا الاستعراض يمكن أن نعرف أهمية الاستغفار ، وأنه مضافاً إلى دوره في زهاب السيئات والذنوب أو المنع عن تثبيتها ، يعبر عن ركن من اركان الايمان وتكامل في حركة الانسان .

كما عرفنا أن الاستغفار باللسان وتكراره لا بد أن يكون ذا مضمون قلبي ووجداني ، وأن يكون معبراً عن التوبة النصوح .

وقد ورد في حديث معتبر عن الامام الصادق عليه السلام قال : «كان رسول الله ﷺ يستغفر الله عزوجل في كل يوم سبعين مرة ويتوب إلى الله عزوجل سبعين مرة . قال : قلت : كان يقول : استغفر الله واتوب إليه ؟ قال : كان يقول : استغفر الله ، استغفر الله سبعين مرة ويقول : اتوب إلى الله ، اتوب إلى الله سبعين مرة» (٦٨) .

(٦٨) جامع احاديث الشيعة  
١٥ : ٤٩٦ ، ح ١٩ .

### الثالث : الصلاة على محمد وآله

لقد ورد الامر بالصلاة على النبي في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٦٩) . ولذا فان الصلاة عليه وآله من الواجبات الشرعية لدى جميع المسلمين ولا تكمل الصلاة اليومية إلا بها حيث تجب في التشهد للصلاة .

(٦٩) الاحزاب : ٥٦ .

وهنا نشير إلى بعض النصوص التي وردت في فضل الصلاة على محمد ﷺ وآثارها وفوائدها وكيفيةها وحكمها عند ذكر النبي ﷺ وهذا الامر مما يكاد يجمع عليه المسلمون ، وإن كان اتباع اهل البيت

يعيرونه اهمية خاصة ، ويلتزمون به حتى أصبح احد الشعائر المميزة لهم عن غيرهم .

وقد ورد في فضل الصلاة روايات عديدة ، منها ما رواه الكليني في الكافي بطريق معتبر عن أحد الصادقين عليه السلام قال : « ما في الميزان شيء أثقل من الصلاة على محمد وآل محمد . وإن الرجل لتوضع اعماله في الميزان فيميل به فيخرج الصلاة عليه فيضعها في ميزانه فيرجح به » (٧٠) .

(٧٠) جامع احاديث الشيعة  
١٥: ٤٦٢، ح ١.

وقد ورد هذا المضمون بطرق متعددة وبيانات مختلفة ، مثل ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « أنا عند الميزان يوم القيامة ، فمن ثقلت سيئاته على حسناته جئت بالصلاة عليّ حتى أثقل بها حسناته » ، ومثل ما روي عنه عليه السلام قوله : « لن يلج النار من صلى عليّ ، ومن نسي الصلاة عليّ فقد أخطأ طريق الجنة » ، « وإن الصلاة تعدل عند الله عز وجل التسبيح والتهليل والتكبير » (٧١) .

(٧١) م. ن. ح ٣ و ٥ و ٨.

### فوائد الصلاة على محمد وآله

ومن فوائد الصلاة على النبي وآله أنها تمحق الخطايا وتهدم الذنوب هدماً ، فقد روى الصدوق في ثواب الاعمال عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : « الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله أمحق للخطايا من الماء للنار » .

وكذلك روى الصدوق في عيون أخبار الرضا والامالي : « إن الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله تهدم الذنوب هدماً » (٧٢) .

(٧٢) م. ن. ح ٦٢، ٤٦٣، ح ٦ و ٨.

كما أن من فوائدها أنها تذهب بالنفاق ، فقد روى الكليني بسند معتبر وكذلك الصدوق عن الامام الصادق عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال : « ارفعوا اصواتكم بالصلاة عليّ ، فإنها تذهب بالنفاق » .

وفي رواية اخرى رواها الكليني ايضاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « الصلاة عليّ وعلى اهل بيتي تذهب بالنفاق » (٧٣) .

(٧٣) م. ن. ح ١٣ و ١٤.

كما أن من فوائد الصلاة على النبي وآله أنها موجبة للشفاعة ، فقد ورد عن رسول الله ﷺ في وصيته لعلي عليه السلام : «يا علي ، من صلى علي كل يوم أو كل ليلة وجبت له شفاعتي ولو كان من اهل الكبائر» (٧٤) .

(٧٤) م . ن : ٤٦٥ ، ح ١٨ .

ومن فوائدها أنها تستنزل الرحمة الالهية والصلاة من الله تعالى على قائلها ، فقد وردت روايات عديدة بهذا المضمون ، منها ما رواه الكليني في الكافي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «إذا ذكر النبي ﷺ فاكثروا الصلاة عليه ؛ فإنه من صلى على النبي ﷺ صلاة واحدة صلى الله عليه الف صلاة في الف صف من الملائكة ، ولم يبق شيء مما خلقه الله إلا صلى على العبد لصلاة الله عليه وصلاة ملائكته ...» (٧٥) .

(٧٥) م . ن : ٤٦٨ ، ح ٣٢ .

وكذلك ورد في آثار وفوائد هذه الصلاة ما ذكره في الجعفریات باسناده عن علي عليه السلام قال : «قال رسول الله ﷺ صلاتكم علي مجوزة لدعائكم ومرضاة لربكم وزكاة لابنائكم» (٧٦) .

(٧٦) م . ن : ٤٦٦ ، ح ٢٢ .

### كيفية الصلاة على النبي وآله

لقد تم التأكيد في النصوص على أن كيفية الصلاة على النبي ﷺ هي الصلاة على محمد وآله تشبيهاً لها بالصلاة على النبي ابراهيم وعلى آله . وقد وردت في ذلك روايات عديدة وبصيغ متعددة كلها تؤكد هذا المضمون نشير هنا إلى نصين منها :

الأول : ما رواه الصدوق في كتابه عيون أخبار الرضا بسند معتبر عن الريان بن الصلت قال : «حضر الرضا عليه السلام مجلس المأمون بمرور ، وقد اجتمع في مجلسه جماعة من علماء اهل العراق وخراسان ، فقال المأمون : اخبروني عن معنى هذه الآية [إلى أن قال] وأما الآية السابعة فقول الله عز وجل : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ قالوا : يا رسول الله ، قد عرفنا التسليم عليك فكيف الصلاة عليك ؟ فقال : تقولون : اللهم صلى على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم إنك حميد مجيد . فهل بينكم

معاشر الناس في هذا خلاف ؟ فقالوا : لا . فقال المأمون : هذا مما لا خلاف فيه أصلاً وعليه إجماع الأمة» (٧٧) .

(٧٧) م . ن : ٤٧٨ ، ح ٦٧ .

الثاني : ما رواه الشيخ شرف الدين في الفوائد بسنده عن ابن أبي ليلى الفقيه المعروف ، يقول : «لقيت كعب بن عجرة فقال : ألا اهدي لك هدية ؟ إن رسول الله ﷺ خرج علينا فقلنا : يا رسول الله ، قد علمتنا كيف السلام عليك فكيف الصلاة عليك ؟ قال : قولوا : اللهم صلى على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم ، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميد مجيد» (٧٨) .

(٧٨) م . ن : ٤٧٦ ، ح ٦٢ ،  
يراجع أيضاً ح ٦١ و ٦٣ -  
٧٠ .

كما ورد أيضاً التأكيد على إضافة (آل محمد) أو (اهل بيته) في هذه النصوص ، وأن ترك هذه الاضافة ظلم لحق آل رسول الله ، وأن النبي نهى عن الصلاة دون هذه الاضافة وسماها الصلاة المبتورة . فقد روى الكليني في الكافي عن أبي القداح ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال : «سمع أبي رجلاً متعلقاً بالبيت وهو يقول : اللهم صل على محمد . فقال أبي : يا عبد الله ، لا تبتريها . لا تظلمنا حقنا . قل : اللهم صل على محمد واهل بيته» (٧٩) .

(٧٩) م . ن : ٤٨٨ ، ح ٩٧ .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام ، عن رسول الله ﷺ قال : «لا تصلوا علي صلاة مبتورة ، بل صلوا إلى اهل بيتي ولا تقطعوه» ؛ فإن كل نسب وسبب يوم القيامة منقطع إلا نسبي» (٨٠) .

(٨٠) م . ن : ح ٩٨ .

### مواضع الصلاة على النبي وآله

وقد ورد في النصوص الاشارة إلى استحباب الصلاة على محمد وآله والآثار الوضعية المترتبة عليها في عدة مواضع :

١ - الدعاء ، فقد اشرنا سابقاً في بحث الدعاء إلى اهمية الصلاة على محمد وآله في بدايته وختمه حيث إنه يرفع الدعاء بها .

٢ - التعقيب بعد الصلاة فضلاً عن وجوب ذكرها في الصلاة عند التشهد .

٣ - في ليلة الجمعة ويومها ، وفي شهري رمضان وشعبان ، وغيرها .

٤ - الصلاة على النبي وآله عند ذكر الله تعالى .

فقد روى الكليني عن عبد الله بن عبد الله الدهقان قال : « دخلت على أبي الحسن الرضا عليه السلام فقال لي : ما معنى قوله : ﴿ وذكر اسم ربه فصلي ﴾ ؟ قلت : كلما ذكر اسم ربه قام فصلي . فقال لي : لقد كلف الله عز وجل هذا شططاً . فقلت : جعلت فداك ، فكيف هو ؟ فقال : كلما ذكر اسم ربه صلى على محمد وآله » (٨١) .

(٨١) م . ن : ٤٩١ ، ح . ١

٥ - الصلاة على النبي وآله عند ذكر أحد من الانبياء .

فقد روى عيسى بن عبيد ، عن معاوية بن عمار قال : « ذكرت عند أبي عبد الله الصادق عليه السلام بعض الانبياء فصليت عليه ، فقال : إذا ذكرت احداً من الانبياء فابدأ بالصلاة على محمد ثم عليه . صلى الله على محمد وآله وعلى جميع الانبياء » (٨٢) .

(٨٢) م . ن : ٤٨٩ ، ح . ١

٦ - الصلاة على النبي وآله عند آخر الكلام .

فقد روى محمد بن عمر بن محمد بن مسلم بن البراء الجعابي قال : « حدثني أبو محمد الحسن بن عبد الله بن محمد بن العباس الرازي التميمي قال : حدثني سيدي علي بن موسى الرضا عليه السلام قال : حدثني أبي موسى بن جعفر قال : حدثني أبي جعفر بن محمد قال : حدثني أبي محمد بن علي قال : حدثني أبي علي بن الحسين قال : حدثني أبي الحسين بن علي قال : حدثني أبي علي بن أبي طالب عليه السلام قال : قال رسول الله ﷺ : من كان آخر كلامه الصلاة علي وعلى علي دخل الجنة » (٨٣) .

(٨٣) م . ن : ٤٩١ ، ح . ١

٧ - الصلاة على النبي وآله عند نسيان شيء حيث تكون سبباً

### لاضاعة القلب والتذكر .

روى أبو هاشم داود بن قاسم الجعفري ، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال : «أقبل أمير المؤمنين عليه السلام ذات يوم ومعه الحسن بن علي عليه السلام وسلمان الفارسي عليه السلام . [إلى أن قال] : وأما ما ذكرت من أمر الذكر والنسيان فإن قلب الرجل في حق وعلى الحق طبق ، فإن صلى الرجل عند ذلك على محمد وآل محمد صلاة تامة انكشف ذلك الطبق عن ذلك الحق ، فأضاء القلب وذكر الرجل ما كان نسي ، فإن هو لم يصل على محمد وآل محمد أو نقص من الصلاة عليهم انطبق ذلك الطبق على ذلك الحق فاطلم القلب» (٨٤) .

(٨٤) م. ن. ٤٩٠، ح. ١.

### النظرية ومواقع الذكر

ويبدو من الآيات الشريفة أنه لا يوجد وقت خاص للذكر ، وإن كان وقتا الصبح والمساء (البكرة والأصيل أو الغدق والعشي) هما الأفضل لأنها تمثل البداية في اوقات الانسان المقسمة على الليل والنهار . ولكن مع ذلك نصت الآيات الكريمة والروايات الشريفة على الإطلاق في وقت الذكر . فمن الآيات التي تدل على الإطلاق قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً﴾ (٨٥) .

(٨٥) الاحزاب : ٤١ .

وقد جاء في الروايات ما يؤكد ذلك . فقد روى الكليني عن أبي القداح عن الامام الصادق عليه السلام أنه قال : «ما من شيء إلا وله حد ينتهي إليه ، إلا الذكر فليس له حد ينتهي إليه . فرض الله عز وجل الفرائض فمن اداهن فهو حدهن ، وشهر رمضان فمن صامه فهو حده ، والحج فمن حج فهو حده ، إلا الذكر فإن الله عز وجل لم يرض منه بالقليل ولم يجعل له حداً ينتهي إليه . ثم تلا هذه الآية : ﴿يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً﴾ وسبحوه بكرة واصيلاً» فقال : لم يجعل الله عز وجل له حداً ينتهي إليه ، قال : وكان أبي عليه السلام كثير الذكر . لقد كنت أمشي معه وإنه ليذكر الله ، وأكل معه الطعام وإنه ليذكر الله ، ولقد كان يحدث القوم وما يشغله ذلك عن ذكر الله ، وكنت أرى لسانه لازقاً بحنكه يقول : لا إله إلا الله ، وكان يجمعنا فيأمرنا بالذكر حتى تطلع الشمس ، ويأمر



(٨٦) م. ن: ٣٥٩، ح ٤٢.

(٨٧) يراجع جامع احاديث  
الشيعية ١٥: ٣٦٥، ح ٤، ٣٦٧،  
ح ٢، ٣٦٨، ح ٨، ٣٧١، باب ٦،  
٣٧٢، باب ٧، ٣٧٣، ح ١،  
٣٧٤، باب ٩، ٣٧٤، ح ٢.

بالقراءة من كان يقرأ منا ، ومن كان لا يقرأ منا امره بالذكر . والبيت الذي يُقرأ فيه القرآن ويذكر الله عزوجل فيه ، تكثر بركته وتحضره الملائكة وتهجره الشياطين ويضيء لأهل السماء كما يضيء الكوكب الذي لاهل الارض ، وإن البيت الذي لا يقرأ فيه القرآن ولا يذكر الله عزوجل فيه ، تقل بركته وتهجره الملائكة وتحضره الشياطين...» (٨٦) .

ولكن مع ذلك كله شُخصت في الروايات والنصوص (٨٧) مواقع واوقات للذكر ، يبدو من خلالها أن الذكر فيها يكون أفضل وأكد بسبب الزمان أو الحال أو المكان أو الاستحقاق ، ومنها الصباح والمساء . وهذا الاطلاق من ناحية والتخصيص من ناحية اخرى يوضح لنا ابعاد النظرية الاسلامية في الذكر .

حيث يكون الذكر العامل الملازم للانسان باستمرار في جميع احواله واوقاته ، والمؤثر في تحقيق اهدافه في التكامل الدنيوي والاخروي سواء في جانب العلاقة مع الله تعالى أو في الجانب الروحي والنفسي والمحتوى الداخلي له أو في جانب الارادة وصفاتها وقوتها في مقاومة الهوى والضغط أو في جانب العمل والسلوك .

فان الذكر بهذا المعنى الواسع الذي ذكرناه وعرفناه :

أ - يؤكد علاقة الانسان بالله تعالى ويقوى رابطته به عزوجل فيحصل بذلك اعلى الدرجات وافضل الثواب .

ب - يكون الذكر علاجاً لامراض النفس وشفاء لما في الصدور وتطهيراً للقلوب من الدنس وجلاء لها من الصدأ .

ج - كما أن الذكر يكون تربية للارادة على الصبر والثبات والتسليم والرضا والسلوة في المحن والآلام .

د - وفي الوقت نفسه يكون الذكر رادعاً للانسان عن المعصية وامراً له بالطاعة وضماناً للتقوى والورع والتزاماً بمنهج الحق في السلوك والعمل وفي القول والفعل وذلك عندما يتذكر الانسان حضور الله تعالى وعلمه بكل حركاته وسكناته ويلتفت إلى ثوابه وعقابه .

## فنون وآداب

## ✽ أبو فراس الحمداني



هو الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدان بن حمدون الحمداني التغلبي .  
 ولد عام ٣٢١ هجرية في قرية منيح من قرى الشام .  
 تولى قيادة بعض سرايا جيش سيف الدولة الحمداني في حربه مع الروم ، إذ  
 كان حكيماً شجاعاً فارساً .  
 أسر في حربه مع الروم مرتين : الأولى عام ٣٤٨ هجرية ، والثانية عام ٣٥١  
 هجرية ، وبقي في الأسر جريحاً أكثر من أربعة أعوام كتب خلالها قصائده  
 الروميات .  
 امتاز شعره بهيبة الملك ولطافة الاديب .  
 قال عنه الصاحب بن عباد : «بدى الشعر بملك وختم بملك» أي بدأ بامرئ القيس  
 وختم بأبي فراس .  
 ترجم بعض قصائده إلى الألمانية .  
 قتل شهيداً عام ٣٥٧ هـ على يد قرعويه غلام سيف الدولة .  
 « قالها في مدح الامام علي عليه السلام »

(١) مشروح: اشارة إلى  
 قوله تعالى : ﴿ أفمن شرح  
 الله صدره للإسلام فهو  
 على نور من ربه ﴾ ،  
 وممتحن اشارة إلى قوله  
 تعالى : ﴿ أولئك الذين  
 امتحن الله قلوبهم  
 للتقوى ﴾ .

جزى الله خيراً والجزاء بكفّه

أبا حسن عتاً ومن كأبي حسن

سبقت قريشاً بالذي أنت أهله

فصدرك مشروح وقلبك ممتحن<sup>(١)</sup>

(٢) نزل: هكذا في الاصل  
والصحيح (منزل) لكي  
يستقيم الوزن. الطرف:  
الكريم الطرفين، الاب  
والام، صفة للناس والخيل.  
(٣) عمرو: هو عمرو بن  
العاص. الإحن: الأحقاد.  
(٤) العهد: أراد به وصية  
الرسول ﷺ لعلّي ﷺ  
بالولاية والخلافة من بعده  
يوم الغدير.  
(٥) فهر: قبيلة عربية  
يرجع بنو هاشم إليها  
بالنسب.  
(٦) وشيعة: قرابة  
مشتبكة متصلة.

تَمَنَّتْ رَجَالٌ مِنْ قَرِيشٍ أَعَزَّةَ  
مَكَانِكَ هِيَهَاتَ الْهَزَالِ مِنَ السَّمْنِ  
وَأَنْتَ مِنَ الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ نَزَلٍ  
بِمَنْزِلَةِ الطَّرَفِ الْبَطِينِ مِنَ الرَّسَنِ (٢)  
غَضِبْتَ لَنَا إِذْ قَالَ عَمْرُو بِخَصْلَةٍ  
أَمَاتَ بِهَا التَّقْوَى وَأَحْيَا بِهَا الْإِخْنَ (٣)  
حَفِظْتَ رَسُولَ اللَّهِ فِينَا وَعَهْدَهُ  
إِلَيْكَ وَمَنْ أَوْلَى بِهِ مِنْكَ مَنْ وَمَنْ (٤)  
أَلَسْتُ أَخَاهُ فِي الْهَدْيِ وَوَصِيَّهُ  
وَأَعْلَمُ فِهُرٍ بِالْكِتَابِ وَبِالْسِنَنِ (٥)  
فَحَقَّقْ مَا دَامَتْ بَنُجْدٌ وَشَيْجَةٌ  
عَظِيمٌ عَلَيْنَا ثُمَّ بَعْدُ عَلَى الْيَمَنِ (٦)

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) :

إِنْ تَوَلَّوْا عَلَيَّ تَجِدُوهُ هَادِيًا مَهْدِيًا  
يَسِيلُ بِكُمْ الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ \*

كنز العمال : ج ٣٢٩٦٦

## دراسات

## تَرْكِ النَّفْسِ مِنْ نَظَرِ الْقَلْبِ


٧

## التَّوْبَةُ وَالْإِنَابَةُ

٣

السيد كاظم الحائري

## الثالث - اركان التوبة وشرائطها

هنا نبدأ الحديث بالكلام المروي عن إمامنا أمير المؤمنين  : فقد رُوي أنه قال - لقائل بحضرته : استغفر الله - : «تكلتك أمك أتدري ما الاستغفار ؟ إن الاستغفار درجة العليين ، وهو اسم واقع على ستة معان : أولها الندم على ما مضى ، والثاني العزم على ترك العود إليه أبداً ، والثالث أن تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله أملس ليس عليك تبعة ، والرابع أن تعتمد إلى كل فريضة عليك ضيعتها فتؤدي حقها ، والخامس أن تعتمد إلى اللحم الذي نبت على السُّحت فتذيبه بالأحزان حتى يلصق الجلد بالعظم ، وينشأ بينهما لحم جديد ، والسادس أن تذيب الجسم ألم الطاعة كما أدقته حلاوة المعصية ، فعند ذلك تقول : استغفر الله»<sup>(١)</sup>.

(١) البحار: ٦: ٣٦-٣٧ نقلاً عن النهج، راجع - ايضاً - نهج البلاغة : ٧٤٥ ، رقم الحكمة ٤١٧ .

والأولان من هذه الامور ركنان للتوبة ، والثالث والرابع شرطان لقبول التوبة ، والأخيران شرطان لكمال التوبة . وإليك قليل من التفصيل عن الاركان والشرائط :

#### الركن الأول - الندم :

وكونه ركناً للتوبة من الواضحات ، فإن التوبة تعني : الرجوع إلى الله سبحانه وتعالى ، أو الرجوع إلى الفطرة الطاهرة التي تدنست بالذنوب ، وهذا لا يمكن أن يكون من دون الندم على ما فات .

ولنعم عبد يندم على ذنبه قبل أن يمضي على ذلك سبع ساعات ؛ وذلك لأن الروايات العديدة دلّت على أن كاتب السيئات لا يكتب السيئة التي تصدر عن العبد لمدة سبع ساعات ، وهذا يعني : أنه إذا وقعت التوبة قبل السبع ساعات قلن يرى العبد ذنبه في يوم القيامة في صحيفة عمله ، بينما لو وقعت التوبة بعد السبع ساعات فقد يرى ذنبه في صحيفة عمله يوم القيامة ، وإن كان يرى بعد ذلك توبته أيضاً .

فعن الصادق عليه السلام قال : « قال رسول الله ﷺ : أربع من كن فيه لم يهلك على الله بعدهن إلا هالك : يهمل العبد بالحسنة فيعملها ، فإن هو لم يعملها كتب الله له حسنة بحسن نيته ، وإن هو عملها كتب الله له عشرأ . ويهمل بالسيئة أن يعملها ، فإن لم يعملها لم يكتب عليه شيء ، وإن هو عملها أجل سبع ساعات ،

وقال صاحب الحسنات لصاحب السيئات وهو صاحب الشمال : لا تعجل عسى أن يتبعها بحسنة تمحوها ، فإن الله - عز وجل - يقول - لي ﴿ ... إن الحسنات يذهبن السيئات ﴾ (٢) ، أو الاستغفار ، فإن قال : استغفر الله الذي لا إله إلا هو

عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم الغفور الرحيم ذا الجلال والإكرام وأتوب إليه ، لم يكتب عليه شيء ، وإن مضت سبع ساعات ولم يتبعها بحسنة واستغفار قال صاحب الحسنات لصاحب السيئات : اكتب على الشقي المحروم» (٣) .

والمقصود طبعاً بالاستغفار : طلب المغفرة المقترن بالتوبة بقرينة

(٢) هود : ١١٤ .

(٣) الوسائل ١٦ : ٦٤ - ٦٥ ، باب ٨٥ من باب جهاد النفس ، ح ١ .

ما في ذيل الصيغة التي ذكرها للاستغفار ، وهو قوله : وأتوب إليه ، وبقرينة روايات أخر من قبيل ما ورد عن الباقر عليه السلام من قوله : «التائب من الذنب كمن لا ذنب له ، والمقيم على الذنب وهو مستغفر منه كالمستهزئ» <sup>(٤)</sup> .

(٤) الوسائل ١٦ : ٧٤ ، باب ٨٦ من جهاد النفس ، ح ٨ .

وورد في حديث تام السند ، التأجيل من الغدوة إلى الليل ، فعن زرارة بسند تام قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : «إن العبد إذا أذنب ذنباً أُجِّل من غدوة إلى الليل ، فإن استغفر الله لم تُكْتَب عليه» <sup>(٥)</sup> .

(٥) م . ن : ٦٥ ، باب ٨٥ من جهاد النفس ، ح ٤ .

وفي رواية أخرى عن رسول الله صلى الله عليه وآله : «صاحب اليمين أمير على صاحب الشمال ، فإذا عمل العبد سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال : لا تعجل ، وأنظره سبع ساعات ، فإن مضت سبع ساعات ولم يستغفر قال : اكتب فما أقل حياء هذا العبد» <sup>(٦)</sup> .

(٦) م . ن : ٧٠ .

الركن الثاني - العزم على ترك العود :

وكون هذا ركناً - ايضاً - من الواضحات ؛ إذ بدونه لا يصدق عنوان الرجوع إلى الله أو الرجوع إلى الفطرة الصافية .  
والندم في الغالب يستبطن العزم على عدم العود .

وقد ورد في الحديث عن ربي ، عن الصادق عليه السلام ، عن أمير المؤمنين عليه السلام : «إن الندم على الشر يدعو إلى تركه» <sup>(٧)</sup> وعليه تحمل روايات فرض الندامة ، هي التوبة ، من قبيل مرسلة الصدوق قال : من ألفاظ رسول الله صلى الله عليه وآله «الندامة توبة» <sup>(٨)</sup> .

(٧) م . ن : ٦١ ، باب ٨٣ من جهاد النفس ، ح ٣٠ .

(٨) و ٩ م . ن : ٦٢ ، ح ٦٥ .

وما عن علي الجهمي عن الباقر عليه السلام : «كفى بالندم توبة» <sup>(٩)</sup> .  
وأما باقي الشرائط :

فمنها - تدارك ما هضمه من حقوق الله وحقوق الناس ، وقد مضى ذلك في حديث علي عليه السلام في نهج البلاغة لمن قال بحضرته : استغفر الله ، ونظيره وارد - ايضاً - عن علي عليه السلام في حديثه لكميل في نقل

(١٠) البحار ٦: ٢٧ نقلاً عن تحف العقول .

تحف العقول حيث قال في عدّ معاني التوبة : «... والثالث أن تؤدّي حقوق المخلوقين التي بينك وبينهم ، والرابع أن تؤدّي حق الله في كل فرض ...» (١٠) حتى أنه ورد في سند صحيح عن هشام بن الحكم ، عن الصادق عليه السلام شرط هداية من أضلّه وإليك نص الحديث :

عن هشام بن الحكم (وفي بعض النقول : عن هشام بن الحكم وأبي بصير جميعاً) عن الصادق عليه السلام قال : «كان رجل في الزمن الأول طلب الدنيا من الحلال فلم يقدر عليها ، وطلبها من الحرام فلم يقدر عليها ، فأتاه الشيطان فقال له : ألا أدلك على شيء تكثر به دنياك وتكثر به تبعك ؟ فقال : بلى ، قال : تبتدع ديناً ، وتدعو الناس إليه . ففعل ، فاستجاب له الناس وأطاعوه ، فأصاب من الدنيا ، ثمّ إنه فكّر فقال : ما صنعت ؟ ! ابتدعت ديناً ، ودعوت الناس إليه ما أرى لي من توبة إلا أن آتي من دعوته إليه فأردّه عنه ، فجعل يأتي أصحابه الذين أجابوه ، فيقول : إن الذي دعوتكم إليه باطل ، وإنما ابتدعته ، فجعلوا يقولون : كذبت هو الحق ، و لكنك شككت في دينك ، فرجعت عنه فلمّا رأى ذلك عمد إلى سلسلة فوثّد لها وتدّاً ، ثمّ جعلها في عنقه وقال : لا أحلّها حتى يتوب الله - عزّ وجلّ - عليّ ، فأوحى الله - عزّ وجلّ - إلى نبيّ من الأنبياء قل لفلان : وعزّتي لو دعوتني حتى تنقطع أوصالك ما استجبت لك حتى ترّد من مات على ما دعوته إليه فيرجع عنه» (١١) .

(١١) الوسائل ١٦: ٥٤ ، باب ٧٩ من جهاد النفس ، ح ١ .

وإننا نرجو أن يكون مفاد هذا الحديث خاصّاً بمورده ، وهو : ابتداع الدين ، أمّا لو كان مفاده عامّاً لكلّ من ضيّع حقّاً ثمّ عجز عن أدائه ، أو لكلّ من ضيّع حقّاً من حقوق الناس ثمّ عجز عن أدائه ، فإنّني أخشى أن يكون كثيراً ممّا مبتلى بمفاده ، فتبقى توبتنا ناقصة ، وإنّا لله وإنّا إليه راجعون . وعلى أيّة حال ، فالتوبة واجبة حتى بمقدارها الناقص ، ونرجو أن تنفعنا ولو نفعاً ناقصاً .

ثمّ إنّه لا يبعد أن يكون قيد العمل الصالح الوارد في بعض آيات التوبة إشارة إلى هذا الشرط من قبيل قوله تعالى :

(١٢) مريم: ٦٠. الفرقان: ٧٠.

(١٣) طه: ٨٢.

(١٤) النحل: ١١٩.

(١٥) راجع منازل السائرين  
لعبد الله الأنصاري باب  
الإنبابة، وهو الباب الرابع  
من أبواب البدايات.

(١٦) النساء: ١٨.

(١٧) يونس: ٩٠ - ٩١.

(١٨) الوسائل ١٦: ٨٧، باب  
٩٣ من جهاد النفس، ح ٣.

(١٩) ن. م. ح ٢.

١ - ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا...﴾ (١٢).

٢ - ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ (١٣).

٣ - ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١٤).

وقد يُفترض أنَّ تدارك الذنب بإداء حقوق الله، وحقوق الناس، وحقوق الله داخل في الإنابة لا في التوبة، فالتوبة: رجوع إلى الله اعتذاراً عن الذنب. والإنابة: رجوع إليه إصلاحاً لما فُزط فيه. والتوبة: رجوع إليه عهداً. والإنابة: رجوع إليه وفاء<sup>(١٥)</sup>.

إِلَّا أَنَّ الظاهر: أَنَّ التوبة والإنابة لهما معنى واحد، وهو: الرجوع. وعلى أية حال، فليس هذا إلا مشاحة في الاصطلاح.

ومنها - أن يكون ذلك قبل انكشاف أمور الآخرة أو قبل معاينة الهلاك كما ورد في القرآن: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ...﴾ (١٦).

وقال - أيضاً - عزَّ من قائل في قصَّة فرعون: ﴿... حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرْقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَإِنَّا مِنَ الْمُسْلِمِينَ \* الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتُ مِنْ قَبْلُ وَكُنْتُ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (١٧).

والأحاديث بهذا الصدد كثيرة من قبيل:

ما عن رسول الله ﷺ: «مَنْ تَابَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِسَنَةِ قَبِلَ اللَّهُ تَوْبَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ السَّنَةَ لَكَثِيرٌ، مَنْ تَابَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِشَهْرٍ قَبِلَ اللَّهُ تَوْبَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ الشَّهْرَ لَكَثِيرٌ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ تَابَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِجُمُعَةٍ قَبِلَ اللَّهُ تَوْبَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: وَإِنَّ الْجُمُعَةَ لَكَثِيرٌ، مَنْ تَابَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِيَوْمٍ قَبِلَ اللَّهُ تَوْبَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ يَوْمًا لَكَثِيرٌ، مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ يَعَايِنَ قَبْلَ اللَّهِ تَوْبَتَهُ» (١٨).

وقد ورد في سند صحيح عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إِذَا بَلَغَتِ النَّفْسُ هَذِهِ وَأَهْوَى بِيَدِهِ إِلَى حَلْقِهِ لَمْ يَكُنْ لِلْعَالَمِ تَوْبَةٌ، وَكَانَتْ لِلْجَاهِلِ تَوْبَةً» (١٩).



وقد يقال : إِنَّ من نعم الله - تعالى - على عبده أَنَّ الموت يبدأ بالرجل ، وينتهي إلى الرأس دون العكس ، فتكون للإنسان مهلة التوبة قبل أن يغرغر بروحه ، ويعاين أمر الآخرة .

ومن الأحاديث الصحيحة سنداً الدالة على سعة الوقت ، بمعنى قبول التوبة متى ما وقعت قبل ساعة الموت ، وإن كانت هي من الواجبات الفورية ، ما ورد عن محمد بن مسلم ، عن الباقر عليه السلام : «يا محمد بن مسلم ذنوب المؤمن إذا تاب منها مغفورة له ، فليعمل المؤمن لما يستأنف بعد التوبة والمغفرة ، أما والله إنها ليست إلا لأهل الإيمان ، قلت : فإن عاد بعد التوبة والاستغفار من الذنوب وعاد في التوبة ؟ قال : يا محمد ابن مسلم أترى العبد المؤمن يندم على ذنبه ويستغفر منه ويتوب ثم لا يقبل الله توبته ؟ قلت : فإنه فعل ذلك مراراً يذنب ثم يتوب ويستغفر ؟ فقال : كلما عاد المؤمن بالاستغفار والتوبة عاد الله عليه بالمغفرة ، وإن الله غفور رحيم يقبل التوبة ويعفو عن السيئات ، فإياك أن تقنط المؤمنين من رحمة الله» (٢٠).

(٢٠) الوسائل ١٦ : ٧٩ ، باب ٨٩ من جهاد النفس ، ح ١ .

ولعل السر في شرط عدم حضور الموت لقبول التوبة أحد أمرين : الأول - أن الإيمان النافع هو الإيمان بالغيب ، أما الإيمان بالشهود فلا قيمة مهمة له ، فإن الإيمان بالشهود أمر سهل يفعله كل أحد ، وإنما الخروج من الامتحان يكون بالإيمان بالغيب واتباعه ؛ ولهذا قال الله سبحانه وتعالى : ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ألم \* ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين \* الذين يؤمنون بالغيب ... (٢١) . أما إذا حضر الموت وانكشفت أمور الآخرة فقد تحول الغيب إلى الشهود ، وعندئذ لا قيمة مهمة لحدوث إيمان أو توبة ؛ ولعله لهذا السبب قال الله تعالى : ﴿وقالوا لولا أنزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكاً لقضى الأمر ثم لا يَنْظُرُونَ﴾ (٢٢) . إذ إن نزول الملك الذي هو من عالم الغيب يعني تحول الغيب إلى الشهود ، وعندئذ تنقطع المهلة ، ويُقضى الأمر . وأيضاً قال الله

(٢١) البقرة : ١ - ٣ .

(٢٢) الأنعام : ٨ .

(٢٢) الحجر : ٦ - ٨ .

سبحانه وتعالى : ﴿وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون﴾ \* لو ما تأتينا بالملائكة إن كنت من الصادقين \* ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذن منظرين﴾ (٢٣) .

الثاني - أن فتح باب التوبة لم يكن يعني : أن التائب لا يستحق العقاب على معصيته ، فإن العاصي خالف الحق ، ومخالف الحق يستحق الجزاء ولو تاب ، وذلك من قبيل ما لو أن أحداً قتل ابنك ، ثم تندم على ما فعل وتاب لم تسقط توبته حق قصاصك عليه ، فكذلك من خالف حق الرب تبارك وتعالى فاستحق العقاب لا يسقط بتوبته استحقاقه للعقاب ، وإنما يعني فتح باب التوبة : أن الله - تعالى - يريد تطهير روحك ، وتنظيف قلبك من الدنس الذي تدنس به بسبب المعصية ، وجعل العقاب رحمة بك ؛ كي يؤدي إلى أن تحرق روحك بنار التوبة قبل نار جهنم ، فإذا ثبت فقد طهرت من الدنس ، ورجعت إلى الفطرة الصافية ، وكان هذا هو المقصود لله سبحانه ، فيقبل توبتك ؛ لأن التوبة تعني : التحول والانقلاب الحقيقيين في واقع نفسك ، وهذا لا يكون حينما تكون التوبة نتيجة رؤية البأس والهلاك ؛ إذ عندئذ يندم الإنسان لما يرى أمامه من العذاب الفعلي ، وهذا لا يعني حصول التحول والانقلاب الحقيقيين في نفسه ورجوع الصفاء والطهارة إليه .

وعلى أية حال ، فالعلاجات الروحية الواردة في القرآن أو عن المعصومين (عليهم السلام) حالها حال وصفات أطباء الجسم ، أي إنه كما تكون وصفة الطبيب نافعة حينما تستعمل في محلها ، أما لو استعملت وصفة الطبيب التي وضعها لمرض التيفو مثلاً في مرض ذات الجنب ، والوصفة التي وضعها لمرض ذات الجنب في مرض التيفو ، لا تنفع بل تضر ، كذلك الوصفات الروحية الواردة في الكتاب والسنة ، فمثلاً هذه المهلة والسعة التي عرفتها في باب التوبة قد وضعت لعلاج

مرض اليأس ؛ لأنه لولاها ليأس الذين لم يمارسوا التوبة فور حصول المعصية ولأتى ذلك إلى تماديهم في الغي وهلاكهم ، فجعل باب التوبة مفتوحاً أمامهم ما لم يحضرهم الموت . أما لو استعملها أحد في مقام تسويق التوبة بحجة أنه مادامت التوبة مقبولة قبل حضور الموت ، والسنة كثيرة ، والشهر كثير ، والجمعة كثيرة ، واليوم كثير ، فلا داعي لي إلى الاستعجال بالتوبة وحرمان النفس من اللذات والشهوات ، فقد أصبحت الوصفة هنا مضرّة لا نافعة ؛ لأن تأجيل التوبة وتسويقها يجعل الانسان بين خطرين ، خطر مباغتة الموت وحيلولته بين الانسان والتوبة ، وخطر اشتداد رين القلب بالتمادي في الذنوب إلى أن ينحرم من التوبة ولا يتوقّق لها .

وقد ورد عن إمامنا أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال : « لا تكن ممن يرجو الآخرة بغير عمل ، ويرجّي التوبة بطول الأمل ، يقول في الدنيا يقول الزاهدين ، ويعمل فيها بعمل الراغبين ... إلى أن قال : إن عرضت له شهوة أسلف المعصية ، وسوّف التوبة ... » (٢٤) .

وقد روي عن لقمان أنه قال لابنه : « يا بني لا تؤخّر التوبة فإن الموت يأتي بغتة ... » (٢٥) .

فالذي يستعمل هذه الوصفة بهذا الاسلوب غير الصحيح وهو تأجيل التوبة لا يأمن الابتلاء في يوم موته بالوصف المنقول عن إمامنا أمير المؤمنين (عليه السلام) فيما ورد في نهج البلاغة (٢٦) من قوله : « ... اجتمعت عليهم سكرة الموت وحسرة الفوت ، ففترت لها أطرافهم ، وتغيّرت لها ألوانهم ، ثم ازداد الموت فيهم ولوجاً ، فحيل بين أحدهم وبين منطق ، وإنه لبين أهله ينظر ببصره ، ويسمع بأذنه على صحة من عقله وبقاء من لبّه ، يفكر فيم أفنى عمره ، وفيه أذهب دهره ويتذكّر أموالاً جمعها أغمض في مطالبيها ، وأخذها من مصرّحاتها ومشتهياتها ، قد لزمته تبعات جمعها ، وأشرف على فراقها ، تبقى لمن وراءه ينعمون فيها ، ويتمتعون بها ، فيكون المهنأ لغيره ،

(٢٤) نهج البلاغة : ٦٨٧ -

٦٨٨ ، رقم الحكمة ١٥٠ .

(٢٥) المحجة ٧ : ٢٢ .

(٢٦) نهج البلاغة : ٢٠٦ -

٢٠٧ ، الخطبة ١٠٩ .

والعبء على ظهره ، والمرء قد غلقت رهونته بها ، فهو يعضّ يديه ندامة على ما أصرّ له عند موته من أمره ، ويزهد فيما كان يرغب فيه أيام عمره ، ويتمنى أن الذي كان يغبطه بها ويحسده عليها قد حازها دونه...» .

وعن إمامنا زين العابدين (عليه السلام) أنه قال في حديث طويل :

فيالهِف نفسي كم أسوّف توبتي وعمرى فإنّ الردى لي ناظر وكل الذي أسلفت في الصحف مثبت يجازي عليه عادل الحكم قاهر<sup>(٢٧)</sup>

ومنها - الإيمان كما هو صريح القرآن في قوله تعالى : ﴿وليس التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذاباً أليماً﴾<sup>(٢٨)</sup> ، وقد جاء قيد الإيمان في عديد من آيات التوبة كقوله :

﴿إلا من تاب وآمن وعمل صالحاً فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئاً﴾<sup>(٢٩)</sup> .

﴿وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾<sup>(٣٠)</sup> .

﴿إلا من تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدّل الله سيئاتهم حسنات...﴾<sup>(٣١)</sup> .

﴿والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم﴾<sup>(٣٢)</sup> .

وليس قيد الإيمان مستأنفاً بتخيّل أن الكافر لا معنى لأن يتوب إلى الله ؛ وذلك لأن الكفر لا ينحصر في إنكار الله عزّ وجل ، فقد يكون كتابياً يؤمن بالله ، بل وقد يكون مشركاً من عبدة الأوثان الذين يقولون : ﴿... ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى...﴾<sup>(٣٣)</sup> .

وقد دلّت بعض الروايات على اشتراط الإيمان بالمعنى الخاص ، وهو : التشيع من قبيل ما مضى من صحيحة محمد بن مسلم عن الباقر (عليه السلام) : «... أما والله إنها ليست إلا لأهل الإيمان...﴾<sup>(٣٤)</sup> . فإن كلمة (أهل الإيمان) في ذاك التاريخ مصطلح للشيعة .

(٢٧) البحار ٤٦ : ٨٧ ، تحت الخط .

(٢٨) النساء : ١٨ .

(٢٩) مريم : ٦٠ .

(٣٠) طه : ٨٢ .

(٣١) الفرقان : ٧٠ .

(٣٢) الاعراف : ١٥٣ .

(٣٣) الزمر : ٣٠ .

(٣٤) الوسائل ١٦ : ٧٩ ، باب ٨٩ من جهاد النفس ، ح ١ .

وأما شرائط الكمال فالروايات فيها عديدة :

منها - ما مضى من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة والذي ذكر فيه إذابة اللحم النابت من الحرام ، وإذاقة الجسم ألم الطاعة كما ذاق حلاوة المعصية<sup>(٣٥)</sup> ونحوه كلام أمير المؤمنين عليه السلام لكميل في رواية تحف العقول<sup>(٣٦)</sup> .

ومنها - ما ورد فيه شرط الصوم كحديث أبي بصير عن الصادق عليه السلام في تفسير توبة النصوح قال : « هو صوم يوم الأربعاء والخميس والجمعة »<sup>(٣٧)</sup> .

ومنها - ما ورد في شرط الصلاة من قبيل ما في نهج البلاغة : « ما أهمني ذنب أمهلته بعده حتى أصلي ركعتين واسأل الله العافية »<sup>(٣٨)</sup> .

ومنها - ما ورد في شرط الغسل والصلاة من قبيل ما عن مسعدة ابن زياد<sup>(٣٩)</sup> قال : « كنت عن أبي عبد الله عليه السلام ، فقال له رجل : بأبي أنت وأمي أدخل كنيفاً ولي جيران ، وعندهم جوار يتغنين ويضربن بالعود ، فربما أطلت الجلوس استماعاً مني لهن فقال عليه السلام : لا تفعل ، فقال الرجل والله ما أتيتهن ، إنما هو سماع أسمع به بأذني ؟ فقال عليه السلام : لله أنت أما سمعت الله يقول : ﴿ ... إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً ﴾<sup>(٤٠)</sup> . فقال : بلى والله لكأنني لم أسمع بهذه الآية من كتاب الله من عربي ولا من عجمي ، لا جرم إني لا أعود إن شاء الله ، وإني أستغفر الله ، فقال له : قم فاغتسل وصل ما بدالك ، فإنك كنت مقيماً على أمر عظيم ، ما كان أسوأ حالك لو مت على ذلك ، أحمد الله وسله التوبة من كل ما يكره ، فإنه لا يكره إلا كل قبيح ، والقبيح دعه لأهله ، فإن لكل أهلاً .

#### الرابع - التوبة النصوح

قال الله سبحانه وتعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنّات تجري من تحتها

(٣٥) نهج البلاغة: ٧٤٥، رقم الحكمة ٤١٧ .

(٣٦) تحف العقول: ١٩٧ .

(٣٧) الوسائل ١٦: ٧٨-٧٩، باب ٨٨ من جهاد النفس، ح ١ .

(٣٨) نهج البلاغة: ٧١٩، رقم الحكمة ٢٢٩ .

(٣٩) الوسائل ٣: ٢٣١، باب ١٨ من الاغسال المسنونة الحديث الوحيد في الباب .

(٤٠) الإسراء: ٣٦ .

(٤١) التحريم : ٨ .

(٤٢) مفاتيح الجنان، مناجاة التائبين، وهي المناجاة الأولى من المناجاة الخمس عشرة المعروفة.

(٤٣) الوسائل ١٦ : ٧٢، باب ٨٦ من جهاد النفس، ح ٣، و ص ٨٠، باب ٨٩ منها، ح ٤.

(٤٤) من قبيل رواية أبي الصباح الكتاني عن الصادق عليه السلام ومحمد بن الفضيل، عن أبي الحسن موسى عليه السلام في الوسائل ١٦ : ٧٢ - ٧٣، باب ٨٦ من جهاد النفس، ح ٤.

(٤٥) ن. م. ١٦ : ٧٧، باب ٨٧ من جهاد النفس، ح ٢.

(٤٦) ن. م. ح ١.

(٤٧) ن. م. ٧٨ - ٧٩، باب ٨١ من جهاد النفس، ح ١.

الأنهار يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شيء قدير ﴿٤١﴾  
«...إلهي أنت الذي فتحت لعبادك باباً إلى عفوك سمّيته التوبة، فقلت: توبوا إلى الله توبة نصوحاً فما عُدُّ من أغفل دخول الباب بعد فتحه...» (٤٢).

أما ما معني التوبة النصوح ؟ فقد فسّرت في الروايات بتفاسير ثلاثة :

١ - أن يتوب العبد من الذنب ، ثم لا يعود إليه . وبذلك نطقت صحيحة أبي بصير قال : «قلت لأبي عبد الله عليه السلام : ﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً...﴾ قال : هو الذنب الذي لا يعود فيه أبداً ، قلت وأيّنا لم يعد ؟ فقال : يا أبا محمد إن الله يحب من عباده المفتن التّوّاب» (٤٣) . ونحوها غيرها (٤٤) .

٢ - أن يكون باطن التائب كظاهره وأفضل كما دلت على ذلك رواية عبد الله بن سنان عن الصادق عليه السلام قال : «التوبة النصوح أن يكون باطن الرجل كظاهره وأفضل» (٤٥) ونحوها غيرها (٤٦) .

٣ - أن يبدأ التوبة بصوم يوم الأربعاء والخميس والجمعة كما في رواية أبي بصير عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى : ﴿... توبوا إلى الله توبة نصوحاً...﴾ قال : هو صوم يوم الأربعاء والخميس والجمعة» (٤٧) .

وإذا استثنينا المعنى الثالث لوضوح كونه تفسيراً بالمقدمة ، فكان المعنى : أن صوم تلك الأيام الثلاثة توفّق الإنسان للتوبة النصوح ، إذن يبقى المعنيان الأولان . ولا يبعد رجوعهما إلى معنى واحد .

فتفسيرها بعدم العود يعني : أن التوبة النصوح هي التي تخلّق في النفس تغييراً وانقلاباً وتطهيراً يمنع صاحبها من أن يرجع إلى ذلك الذنب أبداً . وهذا هو الذي يكون باطنه كظاهره وأفضل .

وإن شئت فقل : إن النصوح صفة مشبّهة ، أو مبالغة في الناصح الذي هو عبارة عن الشيء الكامل والصاحي والمحكم وما إلى ذلك من

التعبيرات ، فمن علائم نصح التوبة عدم الرجوع إلى الذنب ، ومن علائمه كون الباطن كالظاهر وأفضل ، ومن مقدماته صوم الأيام الثلاثة .

وأما الكلام على الآثار الأخروية للتوبة النصوح فكأنه يستفاد من الآية الكريمة .

إن التوبة النصوح زائداً على ما يترتب عليها من المغفرة ودخول الجنة لها مزيّتان أخريتان هامتان :

الأولى - أنها توجب ستر العيب في يوم القيامة ﴿ تَبْلَى السَّرَائِر ﴾ فما له من قوة ولا ناصر ﴿ (٤٨) ﴾ ؛ وذلك قوله تعالى : ﴿ ... تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحاً عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ... ﴾ ومن الواضح أن فضح الذنب في عرصات يوم القيامة من أشدّ أنحاء الإخزاء ، أعاذنا الله منه . وقد ورد التصريح بذلك أعني ستر عيب التائب توبة نصوحاً في حديث صحيح السند عن معاوية بن وهب قال : «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إذا تاب العبد توبة نصوحاً أحبّه الله ، فستر عليه في الدنيا والآخرة . قلت وكيف يستر عليه ؟ قال : ينسي ملكيه ما كتب عليه من الذنوب ، ويوحى إلى جوارحه اكتمي عليه ذنوبه ، ويوحى إلى بقاع الأرض اكتمي ما كان يعمل عليك من الذنوب ، فيلقى الله حين يلقاه وليس شيء يشهد عليه بشيء من الذنوب» (٤٩) .

والثانية - أنها تبعث للتائبين في ظلمات يوم القيامة نواراً بين أيديهم وبأيامانهم ، وهو المستفاد من ذيل الآية المباركة حيث قال : ﴿ نورهَم يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

وهذا التعبير قد ورد - أيضاً - في القرآن في صفة المؤمنين والمؤمنات في قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم

(٤٨) الطارق : ٩ - ١٠ .

(٤٩) الوسائل ١٦ : ٧١ ، باب ٨٦ من جهاد النفس ، ح ١ .

بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم \* يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا ورائكم فالتمسوا نورا ... ﴿٥٠﴾ .

(٥٠) الحديد: ١٢ - ١٣ .

ويبدو لي من ذيل هذه الآية الأخيرة : أن المنافقين يتخيلون أن نور المؤمنين يشبه نور سراج الدنيا الذي يمكن لغير صاحب النور أن يستفيد منه لو جعله صاحب النور أمام من يريد الاستفادة ؛ ولذلك يقولون : انظرونا كي يصبح النور الذي في مقابلكم في مقابلتنا أيضاً ، فنستفيد منه ، ولكنهم لا يعلمون أن هذا النور ليس كنور المصباح الدنيوي ، بل لو صحّ تشبيهه بالأنوار الدنيوية فالأنسب أن يشبه بنور البصر الذي لا يقبل الاكتساب ، بل هو نور ذاتي للبصر يستفيد منه صاحب النور فحسب ، ولا يكون إلا في عين صحيحة ، فمن كان من حين ولادته وفي رحم أمّه مثلاً أعمى لا يصح له أن يقول للمبصر : انظرني أقتبس من نورك ، ولو قال له ذلك لأجابه المبصر بأن هذا النور إنما جئتُ به من رحم أمي ، فارجع إلى وراءك في رحم أمك واثت بالنور ، فكذاك يقال للمنافقين والمنافقات في يوم القيامة : إن المؤمنين قد أتوا بهذا النور من الدنيا فارجعوا وراءكم إلى الدنيا ، والتمسوا لكم منها نوراً .

وفي ختام الحديث عن التوبة النصوح تجب الإشارة إلى أن التائب لو خانت نفسه ، ولم يستطع على جعل توبته نصوحاً بمعنى عدم العود ، وتكرّر منه ذلك ، فليس المفروض به أن ييأس من فائدة التوبة ، فقد مضى في ذيل صحيحة أبي بصير قوله عليه السلام «... إن الله يحب من عباده المفتن التواب» <sup>(٥١)</sup> . والانسنان يكون في كثير من الأحيان قبل تزكية نفسه بالرياضات النفسية مبتلى بحالة الوقوع في كسر التوبة والرجوع إليها مراراً وتكراراً ، فحاله كحالة الطفل الذي يعطي لوالديه التعهد بترك الجهالات ثم يكسر ذلك ويكرر المخالفة والتوبة ، وهذا

(٥١) الوسائل ١٦ : ٧٢ ، باب

٨٦ من جهاد النفس ، ح ٣ ،

وباب ٨٩ منها ، ح ٤ .



(٥٢) وردت القصة في كتاب  
خزينة الجواهر في زينة  
المنابر: ١٧٩ - ١٨٠ .

لا يوجب طرده من قبل والديه .

وبهذه المناسبة لا بأس بذكر القصّة (٥٢) التالية التي فيها عظة  
وعبرة :

روي أن شيخاً كان يمشي في أحد الطرق ، فرأى طفلاً جالساً  
يبكي ، فسأله مِمَّ بكائك ؟ فقال : أن أُمِّي أخرجتني من البيت ، وكلما  
أستجير بالبيوت الأخرى لا يُفتح لي الباب . فجلس الشيخ عند الطفل ،  
وأخذ يوافق الطفل في البكاء ، وقال : لو أن طفلاً نهشته أمه وطردته من  
البيت لا يفتح له باب آخر فمن ينهره الله - تعالى - عن بابه إلى أين  
يذهب ، وكيف يفتح عليه باب آخر ؟ ثم قام الشيخ لكي يذهب في  
طريقه ، فتعلّق به الطفل ، وطلب منه أن يشفّعه لدى أمّه ، فوافق الشيخ  
على ذلك ، وأخذ بيد الطفل إلى بيت أمّه ، وشفّعه عندها ، فبكت الأم ،  
وقالت : يا شيخ نعم الشفيع أنت ، ولكن قد شفّعه - أيضاً - قبلك قانون  
(أولادنا أكبادنا) ، ولكنه يا شيخ إني كلّما أمنعه عن اللعب لا ينزجر ،  
فاعلم أيها الشيخ : لو خرج مرة أخرى من دون إذني من البيت ليلعب  
قطعت عنه علاقة الأمومة والبنوة ، فوافق الشيخ على ذلك ، فطلبت منه  
أن يكتب رسالة بهذا المعنى ، كي لا يلعب بعد هذا مع الأطفال ، وإلّا فما  
هو ابني ولا أنا أمّه ، فكتب الشيخ بذلك رسالة ، وأعطاه إياها ،  
فأخذت بيد الطفل ، وأدخلته البيت ، فما مضت إلا سويعة وإذا رأى  
الشيخ أن الطفل قد خرج من البيت ، وانشغل باللعب مع الأطفال ،  
فغضبت الام ، وسدّت عليه الباب إلى أن انتهوا من اللعب ، وذهب كل  
واحد منهم إلى بيته ، وبقي وحده ، فجاء إلى البيت ، ولكن كلما دق  
الباب لم تفتح عليه الباب ، فالتجأ إلى بيوت الجيران واحداً واحداً ،  
ولكنهم لم يفتحوا له أبوابهم ، فاحتار في امره ، ورجع مرة أخرى إلى  
بيت أمّه ، وكلما دق الباب لم يفتح له : فقال : يا أمّ إن لم يفتح عليّ باب  
الجيران كان لي وجه للرجوع إلى هذا الباب ، ولكن لو لم يفتح عليّ

هذا الباب ليس لي وجه للرجوع إلى باب آخر ، وأخذ يبكي ويثن ، وجعل وجهه على التراب إلى أن أخذه النوم وأمّه تراقب حاله من على السطح ، فحينما رأت الطفل قد نام بكمال الذل والانكسار في التراب رمت بنفسها ، ورفعت رأس طفلها من على تراب الذل ، وأخذت تمسح الغبار عن وجهه وهو نائم ، ولما استيقظ الطفل ، ونظر إلى وجه أمّه قال : يا أم لو تقطعي عني الماء والخبر فهو مقبول ، ولو تفركي أذني فأنا مستحق لذلك ، ولو تركتيني في البكاء والحزن أحمل ذلك ، ولكن الذي أطلبه منك أن لا ترسليني من باب بيتك إلى أبواب الآخرين، فلمّا رأى الشيخ هذه القصة شق قميصه ، وقال : اتّضح لي من هذه القصة أمران :

١ - إن العبد ليس له باب وطريق غير باب الله عزّ وجل (٥٣) .

٢ - إن علاقة المحبة لا تنفصم بأي شيء (٥٤) .

أقول : يا ترى أن الأم تفرح برجوع ولدها وتوبته ، وتتجاوز عن سيئته ، ولكن الله - تعالى - الذي ألهم الأم هذه الرحمة وهو أرحم الراحمين لا يقبل توبة العبد ، ولا يفرح برجوع عبده المؤمن ؟ ! وإن عطفه تعالى ورحمته على العباد ثابتان حتى في يوم المعاد في حين أن عطف الأم وحنانها لا يبقى لهما أثر في ذلك اليوم : ﴿ يوم ترونها تذهل كلّ مرضعة عما أرضعت وتضع كلّ ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ﴾ (٥٥) .

﴿ يوم يفر المرء من أخيه \* وأمّه وأبيه \* وصاحبته وبنيه \* لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾ (٥٦) .

﴿ يوم تكون السماء كالمهل \* وتكون الجبال كالعن \* ولا يسأل حميم حميماً \* يُبصّرونهم يومَ المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه \* وصاحبته وأخيه \* وفصيلته التي تؤويه \* ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيه \* كلّاً إنها لظى \* نزاعة للشوى ﴾ (٥٧) .

(٥٣) «... إلى من يذهب العبد إلا إلى مولاه، وإلى من يلتجئ المخلوق إلا إلى خالقه...» مفاتيح الجنان ، دعاء أبي حمزة الثمالي .

(٥٤) «... هيهات أنت أكرم من أن تضيع من ربّيته، أو تبعّد من أدبته، أو تشرد من أويته، أو تسلم إلى البلاء من كفيته ورحمته...» مفاتيح الجنان ، دعاء كميل .

(٥٥) الحج : ٢ .

(٥٦) عبس : ٣٤ - ٣٧ .

(٥٧) المعارج : ٨ - ١٦ .

(٥٨) الشعراء: ٨٨ - ٨٩.

﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنِينَ \* إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ (٥٨).

وفي ختام حديثنا عن التوبة أقول: إن الآية الشريفة ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ وأنيبوا إلى ربكم... ﴿٥٩﴾. قد ذكرت لها شؤون نزول، ويُحتمل أنها كانت جميعاً من قبيل التطبيق على المورد لا من قبيل شأن النزول، ولكنها على أي حال تعتبر جميعاً قصصاً لأشخاص صدرت عنهم الذنوب الكبار العظام مما يؤدي إلى سعة الأمل للمذنبين بهذه الآية المباركة، ولذا نشير هنا إلى بعض تلك الموارد:

أحدهما - قيل: إنها نزلت بشأن وحشي، وقد ورد في تفسير نمونة<sup>(٦٠)</sup>: أن سورة الزمر من السور المكية، ووقتئذ لم يكن قد وقعت قصة وحشي ولا وقعة أحد، فلا يمكن أن تكون قصة وحشي بشأن نزول الآية المباركة، فلعل هذا كان تطبيقاً لهذه الآية على ذاك المورد.

وعلى أية حال، فوحشي هو ذاك المجرم المعروف قاتل حمزة عم النبي ﷺ في وقعة أحد.

(٦١) تفسير القمي ١: ١١٦ -

١١٧.

وقد روي في تفسير القمي<sup>(٦١)</sup> أن هند بنت عتبة «... كانت في يوم أحد في وسط العسكر، فكلما انهزم رجل من قريش رفعت له ميلاً ومكحلة، وقالت: إنما أنت امرأة، فاكتحل بهذا، وكان حمزة بن عبد المطلب يحمل على القوم، فإذا رأوه انهزموا، ولم يثبت له أحد، وكانت هند بنت عتبة قد أعطت وحشياً عهداً: لئن قتلت محمداً أو علياً أو حمزة لأعطيتك رضاك، وكان وحشي عبداً لجبير بن مطعم حبشياً، فقال وحشي: أما محمد فلا أقدر عليه، وأما عليّ فرأيتَه رجلاً حذراً كثير الالتفات فلم أطمع فيه، فكمنت لحمزة، فرأيتَه يهدّ الناس هدأً، فمرّ بي، فوطأ على جرف<sup>(٦٢)</sup> نهر فسقط، فأخذت حربتي

(٦٢) الجرف: الجانب الذي

أكله الماء من حاشية النهر.

المنجد.

فهزرتها ورمىته ، فوقعت في خاصرته ، وخرجت من مثانته ، مغمسة بالدم ، فسقط ، فأتيته ، فشققت بطنه ، فأخذت كبده ، وأتيت بها إلى هند ، فقلت لها : هذه كبد حمزة ، فأخذتها في فيها فلاكتها ، فجعلها الله في فيها مثل الداغصة<sup>(٦٣)</sup> ، ولفظتها ورمت بها ، فبعث الله ملكاً فحملها وردّها إلى موضعها ...» .

(٦٣) من معاني الداغصة  
على ما ورد في المنجد:  
عظم الركبة المسمى عامياً  
بالصابونة .

وقد ورد في سفينة البحار : «حكي أن مسيلمة الكذاب اشترك في قتله وحشي وأبو دجاجة ، فكان وحشي يقول : قتلت خير الناس وشرّ الناس حمزة ومسيلمة ...» ومنه الحديث : «حمزة وقاتله في الجنة»<sup>(٦٤)</sup> .  
وذكر في تفسير نمونة<sup>(٦٥)</sup> نقلاً عن بعض المفسرين :

(٦٤) سفينة البحار ٨ : ٤٢٠ .

(٦٥) تفسير نمونة  
٥٠٦ : ١٩ .

لما كثرت انتصارات الاسلام أراد وحشي أن يسلم ، لكنه كان يخشى عدم قبول اسلامه ، فنزلت الآية ، فأسلم ، وقال له رسول الله ﷺ : كيف قتلت عمي حمزة ؟ فذكر وحشي قصة قتله لحمزة عليه السلام ، فبكى رسول الله ﷺ بكاءً شديداً ، وقيل توبته ، ولكنه قال له : غيب وجهك عني ، فاني لا استطيع النظر إليك . فلحق بالشام ، فمات في أرض تُسمى بالخمير .

وورد في تفسير الفخر الرازي : لما أسلم وحشي بناءً على هذه الآية قيل لرسول الله ﷺ : «هذه له خاصة أم للمسلمين عامة ؟ فقال : بل للمسلمين عامة»<sup>(٦٦)</sup> .

(٦٦) التفسير الكبير للفخر  
الرازي ٢٧ : ٤ .

وثانيهما - ما رواه في تفسير نمونة<sup>(٦٧)</sup> باختصار عن تفسير أبي الفتوح الرازي ج ٩ ص ٤٢١ من أن شاباً جاء إلى رسول الله ﷺ باكياً مع شدة التأثر ، وكان يقول : إنني أخشى من غضب الله ، قال له الرسول ﷺ : هل أشركت ؟ قال : لا ، قال ﷺ : هل قتلت أحداً بغير حق ؟ قال : لا ، قال ﷺ : يغفر الله لك ذنوبك مهما كثرت ، قال : إن ذنبي أعظم من السماء والأرض والعرش والكرسي ، فقال له رسول الله ﷺ : هل أن ذنبك أعظم من الله ؟ قال : لا ، الله أكبر من كل شيء ، قال له : تب فإن الإله

(٦٧) تفسير نمونة ١٩ :  
٥٠٧ - ٥٠٨ .

العظيم يغفر الذنب العظيم .

ثم قال له : اذكر لي ذنبك ، قال : استحي منك من ذكره ، قال ﷺ : اذكره لنا كي نعرف ماهو هذا الذنب ، قال : كنت أنبش القبور سبع سنين ، وأسرق أكفان الموتى إلى أن أنتهيت إلى قبر أنصارية ، وبعد أن أخذت كفنها وسوستني نفسي ، وهنا يشرح فعلته الشنيعة معها ، فغضب رسول الله ﷺ وقال : أخرجوا هذا الفاسق عني ، وقال له : ما أقربك من النار ، فخرج وكان يبكي بكاءً عظيماً ، وذهب إلى الصحراء ، وكان يقول : يا إله محمد ﷺ إن قبلت توبتي أخبر رسولك بذلك ، وإلا فأرسل صاعقة من السماء وأحرقني بها ، وأنجني بذلك من عذاب الآخرة ، فنزلت الآية : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ... ﴾ .

وقد ذكر الشيخ المجلسي ﷺ هذه القصة بكل تفصيل في البحار<sup>(٦٨)</sup> ، إلا أن الآية التي فرض نزولها في تلك القصة ليست الآية الماضية ، بل آية أخرى ، وهي قوله تعالى : ﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعملون ﴾ أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنّات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين ﴿<sup>(٦٩)</sup> .

وثالثهما - ما رواه الفخر الرازي في تفسيره<sup>(٧٠)</sup> بعنوان أحد الأمور التي ذكرت في سبب نزول الآية ، وهو أنه قيل : «إنها نزلت في أهل مكة ، فإنهم قالوا : يزعم محمد أن من عبد الأوثان ، وقتل النفس لم يغفر له ، وقد عبدنا وقتلنا ، فكيف نسلم ؟» فنزلت هذه الآية معلنة عن قبول توبتهم .

ومما يناسب ذكره في المقام قصة أبي لبابة التي رواها المجلسي في البحار<sup>(٧١)</sup> عن تفسير علي بن إبراهيم في ذيل الآية : ﴿ وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن

(٦٨) البحار ٦ : ٢٣ - ٢٦ .

(٦٩) آل عمران : ١٣٥ - ١٣٦ .

(٧٠) التفسير الكبير للفخر الرازي ٢٧ : ٦ .

(٧١) البحار ٢٢ : ٩٣ - ٩٤ .

(٧٢) التوبة: ١٠٢.

الله غفور رحيم» (٧٢)، قال: «نزلت في أبي لبابة بن عبد المنذر، وكان رسول الله ﷺ لما حاصر بني قريظة قالوا له: ابعث إلينا أبا لبابة نستشيره في أمرنا، فقال رسول الله ﷺ: يا أبا لبابة أثت حلفاءك ومواليك، فأتاهم، فقالوا له: يا أبا لبابة ما ترى؟ أننزل على حكم رسول الله؟ فقال: انزلوا، واعلموا أن حكمه فيكم هو الذبح وأشار إلى حلقه، ثم ندم على ذلك، فقال: خنت الله ورسوله، ونزل من حصنهم، ولم يرجع إلى رسول الله ﷺ، ومز إلى المسجد، وشد في عنقه حبلاً، ثم شده إلى الأسطوانة التي كانت تسمى أسطوانة التوبة، فقال: لا أحله حتى أموت، أو يتوب الله عليّ، فبلغ رسول الله ﷺ ذلك، فقال: أما لو أتانا لاستغفرنا الله له (٧٣) فأما إذا قصد إلى ربّه فالله أولى به. وكان أبو لبابة يصوم النهار، ويأكل بالليل ما يمسك رmqه، وكانت بنته تأتيه بعشائه، وتحله عند قضاء الحاجة، فلما كان بعد ذلك ورسول الله ﷺ في بيت أم سلمة نزلت توبته، فقال: يا أم سلمة قد تاب الله على أبي لبابة، فقالت: يا رسول الله أفأؤذنه بذلك؟ فقال: لتفعلن، فأخرجت رأسها من الحجرة، فقالت: يا أبا لبابة أبشر قد تاب الله عليك، فقال: الحمد لله، فوثب المسلمون يحلّونه، فقال: لا والله حتى يحلّني رسول الله ﷺ بيده، فجاء رسول الله ﷺ فقال: يا أبا لبابة قد تاب الله عليك توبة لو ولدت من أمك يومك هذا لكفاك، فقال: يا رسول الله أفأتصدق بمالي كله؟ قال: لا، قال: فبثلثيه؟ قال: لا، قال: فبنصفه؟ قال: لا، قال: فبثلثه؟ قال: نعم، فأنزل الله ﷻ وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم إن الله غفور رحيم \* خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصلّ عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم \* ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وأن الله هو التواب الرحيم» (٧٤).

(٧٣) لعله إشارة إلى قوله تعالى: ﴿... ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾ النساء: ٦٤.

(٧٤) التوبة: ١٠٢ - ١٠٤.

فلئن كانت هذه الذنوب العظام قد حطّتها التوبة ونحن نرجو أن لا تكون لنا ذنوب من هذا المستوى، فكَلْنَا رجاءً أن يغفر الله لنا ذنوبنا

بتوبتنا واستغفارنا خاصة إذا استغفرنا ربنا في الاسحار ، وقد قال الله تعالى في وصف المتقين : ﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴾ وبالأسحار هم يستغفرون ﴿ ٧٥ ﴾ ، وقال - أيضاً - في وصفهم : ﴿ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْقِطِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ (٧٦) وأيضاً قال الله تعالى في الحوار الذي نقله بين يعقوب وأبنائه : ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ ﴾ قال سوف استغفر لكم ربِّي إنه هو الغفور الرحيم ﴿ ٧٧ ﴾ .

وقد فسّر هذا التأجيل في الاستغفار بالتأجيل إلى السحر (٧٨) .

وفي الكافي بسند صحيح عن عمر بن أذينة قال : « سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : إن في الليل لساعة ما يوافقها عبد مسلم ثم يصلي ويدعو الله عزوجل فيها إلا استجاب له في كل ليلة . قلت : أصلحك الله وأي ساعة هي من الليل ؟ قال : إذا مضى نصف الليل هي السدس الأول من أول النصف » (٧٩) .

ولا يخفى أن الشيخ الطوسي رحمه الله روى نفس الحديث بسند صحيح عن عمر بن يزيد ، عن أبي عبد الله عليه السلام ، إلا أنه جاء التعبير في مقام تحديد الوقت هكذا : « ... إذا مضى نصف الليل إلى الثلث الباقي » (٨٠) .

فلو فسّرنا السدس في التعبير الذي نقلناه عن الكافي بمعنى : سدس الليل ، لا بمعنى سدس النصف ، تطابق التعبيران ؛ وذلك لأن ما بين النصف الأول والثلث الأخير عبارة عن السدس الرابع .

وذكر الغزالي حديثاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله : « أن من الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله خيراً إلا أعطاه إياه » . وفي حديث آخر : يسأل الله خيراً من أمر الدنيا والآخرة إلا أعطاه إياه ، وذلك كل ليلة . ثم قال الغزالي : ومطلوب القائلين تلك الساعة وهي مبهمة في جملة الليل ... وعلّق عليه الشيخ الفيض رحمه الله بقوله : بل هي معلومة بتعليم علماء أهل البيت - صلوات الله وتسليماته عليهم - إيانا ، وهي : السدس الرابع من الليل ... ولكن العامة عن بركة أمثالها لمعزولون (٨١) .

(٧٥) الذاريات: ١٧ - ١٨ .

(٧٦) آل عمران : ١٧ .

(٧٧) يوسف: ٩٧ - ٩٨ .

(٧٨) راجع أصول الكافي ٢ :

٤٧٧ ، باب الأوقاف

والحالات التي تُرجى فيها

الإجابة من كتاب الدعاء ،

ج ٦ .

(٧٩) م . ن : ٤٧٨ .

(٨٠) راجع التهذيب ٢ : ١١٧ ،

ح ٤٤١ .

(٨١) راجع المحجة ٢ : ٤٠٠ .

## فنون وآداب

عبد الفزاعي

قصيدة  
مدارس آيات

هو ابو علي دعبل بن علي بن رزين الخزاعي ، من شعراء القرنين الثاني والثالث الهجريين ، إذ ولد سنة ١٤٨ هـ ، في الكوفة ، وكانت وفاته في سنة ٢٤٦ هـ . يعد من اهل الفصاحة والبيان ، ويمتاز شعره بالأصالة والرصانة والإثارة ، فقد قال عنه البحرني إنه « أشعر من مسلم بن الوليد ؛ لأن كلام دعبل أدخل في كلام العرب من مسلم ، ومذهبه أشبه بمذاهبهم » ، ويقول ابو الفرج الاصفهاني « قصيدته (مدارس آيات خلت من تلاوة) من أحسن الشعر وفاخر المدائح المقولة في اهل البيت (عليه السلام) » .

عاصر دعبل الأئمة الصادق والكاظم والرضا والجواد (عليهم السلام) ، وتحذّى ظلم العباسيين وجبروتهم ، وهول القاتل قولته الشهيرة : « أنا أحمل خشبتي على كتفي منذ خمسين عاماً ، لست أجد أحداً يصلبني عليها » .

قصد خراسان وقرأ تائيته على الامام الرضا (عليه السلام) اثناء ولاية العهد ، فبكى الامام لبعض أبياتها واستحسنها ودعا له واعطاه عشرة آلاف درهم وبردة كانت عليه .

قالها في خراسان عند الامام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) وفيها ذكر مصائب اهل البيت (عليهم السلام) .

ذكرت محل الرّبع من عرفات

فأجريت دمع العين بالعبرات

وفلّ عرى صبري وهاجت صبابتي

رسوم ديار أقفرت وعيرات<sup>(١)</sup>



مدارسُ آياتٍ خلّت من تلاوةٍ

ومنزّلٌ وحي مقفر العرصاتِ

لآل رسول الله بالخيف من منى

وبالرُّكن والتعريف والجمراتِ

ديارُ عليٍّ والحسين وجعفرٍ

وحمة السجاد ذي الثغفاتِ (٢)

ديارُ لعبد الله والفضل تلوهُ

نجي رسول الله في الخلواتِ (٣)

منازلُ كانت للصلاة وللتقى

وللصوم والتطهير والحسناتِ

منازلُ جبريل الأمين يزورها

من الله بالتسليم والرحماتِ

منازلُ وحي الله معدن علمه

سبيل رشادٍ واضح الطُّرقاتِ (٤)

ديارُ عفاها جورُ كل منابذٍ

ولم تغفُ بالأيام والسَّنواتِ

قِفَا نسألِ الدار التي خفَّ أهلها

متى عهدُها بالصوم والصلواتِ (٥)

وأين الألى شطَّت بهم غربة التَّوى

أفانين في الاطرافِ منقبضاتِ (٦)

همُ وأهل ميراثِ النبي إذا اعتزوا

وهم خير قاداتٍ وخيرِ حماةٍ (٧)

مطاعيم في الاعسارِ في كل مشهدٍ

لقد شُرِّفوا بالفضل والبركاتِ

(٢) الثغفات: في الأصل هي أجزاء جسم الدابة التي تلتقي بها الأرض فتتيسر وتغلظ، وسمي الامام السجاد عليه السلام بذي الثغفات لأن أعضاء سجوده قد يبتست وغلظت لكثرة سجوده.

(٣) تلو كل شيء: ما يتلوهُ ويتبعه.

(٤) المعدن: مكان كل شيء فيه أصله ومركزه.

(٥) خفَّ: رحل.

(٦) أفانين: يريد متفرقين.

(٧) اعتزى: انتسب.

أُسْمَةُ عَدْلٍ يِقْتَدِي بِفَعَالِهِمْ

وَتُؤَمِّنُ مِنْهُمْ زَلَّةَ الْعَثَرَاتِ

وَمَا النَّاسَ إِلَّا حَاسِدٌ وَمَكْذِبٌ

وَمُضْطَغِنٌ ذُو إِحْسَنَةٍ وَتِرَاتٍ (٨)

قَبُورٌ بِكُوفَانٍ وَأُخْرَى بِطَبِيعَةٍ

وَأُخْرَى بِفَخٍّ نَالِهَا صَلَوَاتِي (٩)

وَقَبْرٌ بِأَرْضِ الْجَوْزْجَانِ مُحَلَّةٌ

وَقَبْرٌ بِبَاخْمَرَا لَدَى الْغُرَبَاتِ (١٠)

وَقَبْرٌ بِبَغْدَادَ لِنَفْسٍ زَكِيَّةٍ

تَضَمَّنَهَا الرَّحْمَنُ فِي الْغُرَفَاتِ

وَقَبْرٌ بِطُوسٍ يَا لَهَا مِنْ مَصِيبَةٍ

أَلَحَّتْ عَلَى الْأَحْشَاءِ بِالزَّفَرَاتِ (١١)

فَأَمَّا الْمُضَضَاتُ الَّتِي لَسْتُ بِالْغَا

مِبَالِغِهَا مِنِّي بِكُنْهِ صِفَاتِ (١٢)

إِنِّي الْحَشْرُ حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ قَائِمًا

يَفْرَجُ مِنْهَا الْهَمَّ وَالْكَرْبَاتِ (١٣)

نَفُوسٌ لَدَى النُّهْرَيْنِ مِنْ بَطْنِ كَرْبَلَا

مَعْرَسُهُمْ مِنْهَا بِشَطِّ فَرَاتِ (١٤)

أَخَافُ بَأْنَ أَزْدَارِهِمْ وَيَشُوقُنِي

مَعْرَسَهُمْ بِالْجَزْعِ مِنْ نَخْلَاتِ (١٥)

تَقْسَمُهُمْ رَيْبُ الْمُنُونِ فَمَا تَرَى

لَهُمْ عَقْدَةً مَغْشِيَّةُ الْحَجَرَاتِ (١٦)

خَلَا أَنَّ مِنْهُمْ بِالْمَدِينَةِ عَصَبَةٌ

مَدَى الدَّهْرِ انْضَاءٌ مِنَ الْأَزْمَاتِ (١٧)

(٨) إحسنة: حقد. تيرات: جمع ترة، وهي الثأر.

(٩) فَخٍّ: موضع قُتِلَ فيه الحسين بن علي بن الحسن وأصحابه.

(١٠) الجوزجان: مكان في شمال شرق إيران قُتِلَ فيه يحيى بن زيد، باخمر: موضع بين الكوفة وواسط.

(١١) طوس هي مدينة مشهد.

(١٢) الممضات: يريد بها الرزايا المؤلمة.

(١٣) القائم: هو الإمام المهدي المنتظر عليه السلام.

(١٤) أراد بهم الحسين عليه السلام ومن قُتِلَ معه. المعرس: هو منزل المسافرين آخر الليل للراحة، وأراد هنا المقام.

(١٥) أزدار: أزور. الجزع: منعطف الوادي.

(١٦) العقدة: كل ما يمتلكه الإنسان. مغشية: من غشيه إذا آتاه.

(١٧) الانضاء: جمع بضو، وهو المهزول، وأراد بهم المجتهدون من البلاء.

قَلِيلَةً زَوَّارٍ خِلَا أَنْ زَوَّاراً

من الضبع والعقبان والرخماتِ

لها كل حين نومةٌ بمضاجع

لهم من نواحي الأرض مختلفاتِ

وقد كان منهم بالحجاز وارضها

مغاوير نحَّارون في السنواتِ (١٨)

تَنَكَّبُ لَأَوَاءِ السَّيْنِ جَوَارِهِم

وما تصطليهم جمرةُ الجمراتِ (١٩)

حمى لم تَطْرُهُ المَبْدِيَّاتِ وَأَوْجُهُ

تضيءُ من الإيسارِ في الظلماتِ (٢٠)

إذا وردوا خيلاً تَشْمَسُ بِالْقَنَا

مساعِرُ جمر الموت والغمراتِ (٢١)

وإن فخرُوا يوماً أَتَوْا بِمُحَمَّدٍ

وجبريلَ والفرقان والسُّورَاتِ

أولئك لا من سِنَخِ هِنْدٍ وَتَرِبِهَا

سَمِيَّةٌ مِنْ نَوَكِيٍّ وَمِنْ خَدِرَاتِ (٢٢)

مَلَامِكُ فِي أَهْلِ النَّبِيِّ فَإِنَّهُمْ

أَوْدَايَ مَا عَاشُوا وَأَهْلُ ثِقَاتِي (٢٣)

تَخَيَّرْتَهُمْ رَشْداً لَامَرِي لِأَنَّهُمْ

عَلَى كُلِّ حَالٍ خَيْرَةُ الْخَيْرَاتِ

نَبَذْتُ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ جَاهِداً

وَسَلَّمْتُ نَفْسِي طَائِعاً لَوْلَاتِي

فِيَا رَبِّ زِدْنِي فِي يَقِينِي بِصِيرَةٍ

وَزِدْ حُبَّهُمْ يَا رَبِّ فِي حَسَنَاتِي

(١٨) السنوات: جمع سنة،  
وهي الجذب والقحط .

(١٩) تَنَكَّبَ: تَتَنَكَّبُ، أي  
تَتَجَنَّبُ. اللَّأَوَاءُ: الضيق  
والشدة .

(٢٠) لم تَطْرُهُ: لم تدن منه.  
المَبْدِيَّاتِ: ربما أراد بها  
حوادث الدهر .

(٢١) الْخَيْلُ هُنَا بِمَعْنَى  
الفرسان. تَشْمَسُ هُنَا  
بِمَعْنَى احْتَمَى وَامْتَنَعَ.  
مَسَاعِرُ: جمع مسعر، وهو  
مُوقِدُ الْحَرْبِ .

(٢٢) السِنَخُ: الأَصْلُ. هِنْدُ: أُمُّ  
مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سَفْيَانَ،  
تَرَبَّيَا: أَرَادَ بِهِ مَثِيلَتَهَا.  
سَمِيَّةٌ: أُمُّ عَبِيدِ اللَّهِ بْنِ  
زَيْدَادٍ. نَوَكِيٍّ: حَمَقِيٍّ.  
خَدِرَاتُ: جَمْعُ خَدِرَةٍ، وَهِيَ  
فِي الْأَصْلِ التَّمْرَةُ الَّتِي  
أَسْوَدَ بَاطِنُهَا وَتَعَفَّنَ، وَقَدْ  
عَنَى بِالْبَيْتِ أَنَّ هَذَا  
وَسَمِيَّةٌ مِنْ أَبَاءِ حَمَقِيٍّ  
وَأَمَهَاتٍ غَيْرِ طَاهِرَاتٍ .

(٢٣) مَلَامِكُ: أي دَعِ مَلَامِكُ .

بنفسي أفدِّي من كهولٍ وفتيةٍ

لَفَكَ عُنَاةٍ أَوْ لَحْمِ دِيَاتٍ (٢٤)

وللخيل لما قيّد الموت خطوها

فأطلقتهم منهنّ بالذرياتِ (٢٥)

أحبُّ قصيّ الأهل من أجل حبكم

وأهجر فيكم زوجتي وبناتي

وأكنتم حبيكم مخافة كاشحٍ

عنيد باهل الحقّ غير مواتٍ (٢٦)

لقد خفت في الدنيا وأيام سعيها

وإنني لأرجو الأمنَ بعدَ وفاتي

ألم تر أني مذ ثلاثين حجّةً

أروح وأغدو دائمَ الحسراتِ

أرى فيئهم في غيرهم مُتَقَسِّمًا

وأيديهم من فيئهم صَفَرَاتٍ (٢٧)

إذا وتروا مدّوا إلى واتيئهم

أكفأً عن الأوتارِ منقبضاتٍ (٢٨)

سأبكيهم ماذرًا في الأرض شارِقُ

ونادى منادي الخير بالصلواتِ (٢٩)

وما طلعتُ شمسٌ وحن غروبها

وبالليل أبكيهم وبالغدواتِ

فلولا الذي نرجوه في اليوم أو غدٍ

تقطع قلبي إثرهم حسراتِ

خروج إمام لا محالة خارجُ

يقوم على اسم الله والبركاتِ (٣٠)

(٢٤) عناة: جمع عانٍ، وهو الأسير.

(٢٥) الذريات: السيوف الحادة.

(٢٦) حبيكم: حبي لكم. الكاشح: العدو المبغض. مواتٍ: موافق.

(٢٧) أراد بفيئهم حقهم المغتصب في الخلافة سلام الله عليهم.

(٢٨) وتره: ناله بمكرهه. الأوتار: جمع وتر (بكسر الواو وفتحها)، وأراد به الظلم هنا.

(٢٩) ماذر شارِق: أي ما طلع في السماء نجم.

(٣٠) إشارة إلى الظهور المحتوم لصاحب الزمان.

يَمِيزُ فِينَا كُلَّ حَقٍّ وَبَاطِلٍ

وَيَجْزِي عَلَى النِّعَمِ وَالنِّقَمِ

سَأَقْصُرُ نَفْسِي جَاهِداً عَنْ جِدَالِهِمْ

كَفَانِي مَا أَلْقَى مِنَ الْعِبَرِ

فِي نَفْسٍ طَيِّبٍ ثُمَّ يَا نَفْسَ أَبْشِرِي

فَغَيْرُ بَعِيدٍ كُلُّ مَا هُوَ آتِي

وَلَا تَجْزَعِي مِنْ مَدَّةِ الْجُورِ إِنِّي

كَأَنِّي بِهَا قَدْ آذَنْتُ بِبَتَاتٍ

فَإِنْ قَرَّبَ الرَّحْمَنُ مِنْ تِلْكَ مَدَّتِي

وَأَخَّرَ مِنْ عَمْرِي لَطُولَ حَيَاتِي

شَفِيتُ وَلَمْ أَتْرِكْ لِنَفْسِي رِزِيَةً

وَرَوَّيْتُ مِنْهُمْ مُنْضِلِي وَقَنَاتِي (٣١)

عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْوِي لَذَا الْخَلْقِ إِنَّهُ

إِلَى كُلِّ قَوْمٍ دَائِمُ اللَّحْظَاتِ (٣٢)

أَحَاوَلُ نَقْلَ الشَّمِّ عَنْ مَسْتَقَرِّهَا

وَإِسْمَاعَ أَحْجَارٍ مِنَ الصِّلْدَاتِ (٣٣)

فَمَنْ عَارَفٍ لَمْ يَنْتَفِعْ وَمَعَانِدٍ

يَمِيلُ مَعَ الْأَهْوَاءِ وَالشُّبُهَاتِ

إِذَا قُلْتُ عَرَفًا أَنْكَرُوهُ بِمَنْكِرٍ

وَعُطُوا عَلَى التَّحْقِيقِ بِالشُّبُهَاتِ (٣٤)

قَصَارَايَ مِنْهُمْ أَنْ أَمُوتَ بَغْضَةٍ

تَرَدَّدُ بَيْنَ الصَّدْرِ وَاللِّسَانِ

كَأَنَّكَ بِالْإِضْلَاعِ قَدْ ضَاقَ رَحْبُهَا

لِمَا ضُمَّتْ مِنْ شِدَّةِ الزَّفَرَاتِ

(٣١) المنصل: السيف .

(٣٢) يأوي: يرقئ ويرحم .

(٣٣) الشم: أي الجبال الشَّمَّة،

وهي العالية. يقول : كأني

بكلامي هذا أحاول نقل

الجبال من أماكنها، لأن

الامر الذي اتحدث فيه أمر

خطير؛ لما فيه من محاولة

إرجاع حق أهل البيت عليهم السلام

المغتصب إليهم، وذلك لا

شك من المحال؛ بسبب

إمعان أعدائهم في

ظلمهم عليهم السلام، واستلاب

حقوقهم، وإقصائهم عن

القيام بدورهم في قيادة

الامة وهدايتها، لذا فأنا إنما

أخاطب أحجاراً صماء لا

تعني ولا تسمع ما أقول .

(٣٤) العرف: المعروف .

دراسات

عز الدين سليم  
( العراق )

# أبو طالب

## الصَّحَابِيُّ الْمُفْتَرَى عَلَيْهِ

١

مدخل :

لا يكاد التاريخ يحدّد الزمن الذي دخلت فيه الأوثان مكة المكرمة ، حتى زحفت بظلمها الاسود على الكعبة المشرفة ليتربع بعضها على سطحها !

كما لم يؤرّخ احد من المؤرخين لبداية الزحف المادي الهابط على العقلية العربية في مكة وما حولها ، التي فتحت مغاليقها على الحنيفية السمحاء شيخ الانبياء ابراهيم الخليل ، وولده اسماعيل عليه السلام ، الذين رفعوا قواعد البيت الحرام في عصر مبكر من مسيرة ام القرى نحو الله عز وجل .

على أن بعض المؤرخين يذكرون أن عمرو بن لحي زعيم خزاعة هو الذي سود صفحات تاريخ مكة بكفره وردته ، حين نقض عرى

(١) تاريخ ابن خلدون ٢:

٦٨٨.

الحنيفية وخرب المشروع الرباني الذي حمّله ودعا إليه ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ، وذلك بعد وفاة اسماعيل النبي عليه السلام بسنين عديدة ، فذهبت جهوده الكبيرة العاملة على نشر الاسلام في اليمن والجزيرة العربية ادراج الرياح ، بعد أن عمل عمرو بن لحي وسعه من اجل أن يغيّر الحنيفية البيضاء ، حيث دعا عمرو هذا إلى الوثنية ، ونصب الاصنام <sup>(١)</sup> في مكة ، واستورد هبل من بلاد الشام . على أن هذه الانتكاسة لا تمثل البداية قطعاً ، فلا بد من بداية على هذه الطريق ، حتى وصلت الامور إلى ظهور الوثنية التي تشكل انتكاسة رهيبة في الفكر الانساني ، وعودة إلى الوراء في المسيرة العقلية التي يفترض فيه أن تشق طريقها إلى الله عزّ وجل ، وتقرب إليه باستمرار .

غير أن الحنيفية البيضاء رغم عواصف الوثنية السوداء ظلت راسخة في صدور ورثة الحق من اولاد اسماعيل وابيه الخليل عليهما السلام ، يتمسكون بلبابها ، ويشعرون على من حولهم من نورها كلما سبحت لهم القرص ، وتوفرت لهم الظروف .

وكان في طليعة حلقات هذه السلسلة النقية المباركة المترابطة قصي ، وهاشم ، وعبدالمطلب وأبو طالب عليهم السلام .

فلو سرح المرء طرفه في حوادث التاريخ منذ وفاة اسماعيل عليه السلام ودفنه في الحجر ، وما ازدحمت به مكة من مخاضات وصراعات ، لالتقى مع ارقام حية مثيرة كلها تحكي قصة هذا الوادي المقدس ، ومن حمل هدى الحنيفية فيه من أجداد النبي الخاتم وآبائه عليهم السلام ، الامر الذي صدع به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم امام اصحابه ، وهو بصدد تبيان هذه الحقيقة التاريخية الناصعة بين ايدي الاجيال التي تنتمي لهذه الرسالة ، وتتمسك بخط ابراهيم النبي عليه السلام ، وتندمج في طريقته .

تحدث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن هذه السلسلة المتصلة الحلقات ، فقال : «لم أزل انقل من اصحاب الطاهرين الى ارحام الطاهرات حتى أسكنت في صلب

عبدالله ورحم آمنة بنت وهب<sup>(٢)</sup> .

وهذا الحديث الشريف - وأمثاله كثيرة - يشير إلى مدلول قوله تعالى : ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ \* وَتَقْلَبُ فِي السَّاجِدِينَ﴾<sup>(٣)</sup> .

فإن تَقْلَبُ النبي ﷺ في الساجدين يعني تنقله في اصلااب<sup>(٤)</sup> الموحدين ، من آدم ﷺ إلى عبد الله بن عبد المطلب ، كما يقرر علماء التفسير ، إذ لا يصلح المشرك بعد الحكم بنجاسته على الاطلاق أن يكون وعاء لحمل نطفة الطاهر المطهر الرسول الخاتم ﷺ .

ومن هنا فإنه رغم حملات التزييف التي حلت بساحة السنة الشريفة والسيرة والتاريخ حلولاً فاجعاً ، ما زلنا نملك وثائق غاية في الأهمية والقوة تتقد تحت ركام التضليل ، وغيوم التزييف الداكنة ، تشير إلى عظمة حلقات السلسلة الربانية الممتدة في عمق الخير والهدي والنور ما بين محمد رسول الله ﷺ وأبيه آدم ﷺ .

ولنقرأ هذه المفردات ولنتأمل في مداليها جيداً ؛ لنرى سلامة هذا الخط المبارك وطهارته وطيب منبته .

يقول ابن أبي الحديد المعتزلي في هذه الحقيقة الممتدة الجذور ما يلي : «وأما الذين ليسوا بمعطلة من العرب ، فالقليل منهم ، وهم المتألهون اصحاب التورع والتحرج عن القبائح ، كعبد الله وعبد المطلب وابنه ابي طالب ...»<sup>(٥)</sup> .

وتعال للواقع المسجد لنقرأ مثلاً في سيرة قصي بن كلاب احد أجداد النبي ﷺ هذه الكلمات ضمن قائمة طويلة من البر والاستقامة والصلاح والمعروف ، فهو يخاطب قومه بخصوص أهمية رعاية البيت الحرام وحججه : «إنكم جيران الله واهل بيته ، وإن الحاج ضيف الله وزوار بيته ، وهم أحق الضيف بالكرامة ، فاجعلوا لهم طعاماً وشراباً أيام الحج»<sup>(٦)</sup> ففعلوا ، حين سنّ قصي لقريش سنة اخراج نصيب من اموالهم كل عام لاطعام الحجيج في منى ، فجرت

(٢) الحجة على الذاهب في تكفير ابي طالب ، للامام شمس الدين ابي علي فخار ابن معد الموسوي .

(٣) الشعراء : ٢١٨ - ٢١٩ .

(٤) تصحيح الاعتقاد ، للشيخ المفيد : ١٣٩ .

(٥) شرح نهج البلاغة : ١٢٠ ، ط . احياء الكتب العربية .

(٦) الكامل لابن الاثير : ٢١٠ .



هذه السنة في ايام العرب قبل الاسلام ، ومضت بعد الاسلام طوال عهود الخلفاء المسلمين .

وقد بلغ قصي من استقامته ، وسمو اخلاقه الابراهيمية أن ملكه الناس امرهم ، وهو اول قرشي ملك امر الناس قبل الاسلام ، فكانت إليه الحجابة والسقاية ، والرفادة ، والندوة واللواء<sup>(٧)</sup> ، حتى إنه حاز شرف قریش كله ، واصبح عنوان المجد والعزة فيها .

ولقد أجرى هذا السيد الكبير اصلاحات غاية في الاهمية في مكة ، وماحولها ؛ فقد قسم مكة ارباعاً بين الناس ، وأمرهم بإقامة الدور حول البيت ، ولما استأذنوه بقطع الاشجار اصدر امره بمنع قطع الاشجار مطلقاً رعاية منه لحرمة الحرم .

ولقد صار الرجل عند قریش عنواناً للخير والبركة والعزة والقدس ، ومن مظاهر تقديس قریش لقصي أنه : «ما تنكح امرأة ولا رجل إلا في داره ، ولا يتشاورون في أمر ينزل بهم إلا في داره ، ولا يعقدون لواء للحرب إلا في داره ، يعقده بعض ولده ، وما تدرع جارية إذا بلغت أن تدرع إلا في داره ، وكان امره في قومه كالدين المتبع في حياته وبعد موته ، فاتخذ دار الندوة وبابها في المسجد ، وفيها كانت قریش تقضي امورها»<sup>(٨)</sup> .

### سيد البطحاء نموذج آخر لظهر الاجداد

ومن بعض ما حفظ التاريخ من خصائص ومناقب عبد المطلب بن هاشم جد رسول الله ﷺ هذه اللوحات المشرقة بالعمل الصالح ، المعبرة عن صلة خاصة بالله عز وجل ، مما جعل بعض العلماء يقطع بأن عبد المطلب ﷺ كان حجة لله تعالى على قومه<sup>(٩)</sup> ، وقد ورث دين جده ابراهيم وأبيه اسماعيل عليه السلام ، وكان المجدد لآثاره والامتداد لوجوده .

(٧) الحجابة: سداة البيت، أي تولى مفاتيحه، والسقاية: اسقاء الحجيج الماء العذب الذي كان عزيزاً بمكة، والرفادة: اطعام الحجاج جميعاً، والندوة: رئاسة الاجتماع كل ايام العام، واللواء: راية يلوونها على رمح وينصبونها علامة للعسكر إذا توجهوا إلى عدو .

(٨) الكامل لابن الاثير ٢ :

٢١ .

(٩) الاعتقادات للشيخ الصدوق : ١١٠ .

فما اشرقت به صفحات التاريخ البشري من مآثر خلدها الزمان  
لشبيبة الحمد عبد المطلب أن سن اشيء امضاها له الاسلام ، فقد حرّم  
نساء الآباء على الأبناء ، ووجد كنزاً فأخرج خمسه وتصدق به ، وسنّ  
في القتل مئة من الابل ، ولم يكن للطواف عدد عند قریش فسنته  
سبعة أشواط ، وقطع يد السارق وحرّم الخمر والزنا ، ونهى أن  
يطوف بالبيت عريان وأن يستقسم بالازلام وأن يؤكل ما ذبح  
على النُصْب (١٠).

(١٠) راجع الخصال  
للصدوق : ٥٧ ، والسيرة  
الطلبية ٤ : ١ .

ومن أقواله المأثورة : «الظلم لن يخرج من الدنيا حتى ينتقم منه ،  
وإن وراء هذه الدار داراً يجرى فيها المحسن باحسانه والمسيء  
بإسائته ، وإذا لم تصب الظلم في الدنيا عقوبة فهي معدة له في  
الآخرة» (١١).

(١١) السيرة الطلبية ١٢ : ١ .

وقيل له الفياض لكثرة جوده ونائله ، حتى إن مائدته يأكل منها  
الراكب ثم ترفع إلى جبل ابي قبيس لتأكل منها الطير والوحوش (١٢).

(١٢) م . ن : ٤ .

ولقد اخبر ابو طالب رسول الله ﷺ فقال : «كان ابي يقرأ الكتب  
جميعاً ، وقال : إن من صليبي نبياً لوددت أني ادركت ذلك الزمان  
فأمنت به ، فمن أدركه من ولدي فليؤمن به» (١٣).

(١٣) البحار ٩ : ٣١ .

وقال امير المؤمنين عليه السلام : «والله ما عبد أبي ولا جدي عبد المطلب ولا عبد  
مناف ولا هاشم صنماً ، وإنما كانوا يعبدون الله ويصلون إلى البيت على دين  
ابراهيم متمسكين به» (١٤).

(١٤) اكمال الدين للصدوق :  
١٠٤ .

### إلى زمزم من جديد

كانت زمزم قد تفجر مأوها النмир الرقراق ببركة اسماعيل وامه  
هاجر عليه السلام ، في ذلك الوادي المقدس الذي جعله الله تعالى مثابة للعباد  
وأمنأ . وهذه البئر المباركة قد مرت بها سنون عجاف جهل فيها أمرها  
وحقها من بطرت معيشتهم من عرب الجاهلية ، مما تسبب في نسيان

قيمة هذه البئر في بعدها الروحي وفي بعدها المادي ، حتى بلغ من نسيان قيمتها أن تغافل الناس عن أنهم في واد غير ذي زرع ، فعمد احد رجالات جرهم واسمه مضاض بن عمرو بن الحارث إلى دفنها ، وإهالة التراب عليها ، بعد أن نشب خلاف بين جرهم وخزاعة على المناصب والمواقع في البلد الحرام ، واحتلت خزاعة البلد الحرام .

وهكذا حرم الناس عشرات من السنين من هذا المنبع الخصيب الذي تفجر بإعجاز الهي ذي حكمة بالغة ، حتى إذا آل امر الناس إلى شيبة الحمد عبد المطلب بن هاشم عليه السلام ، أعاد زمزم ليرتوي بها الظمأى الذين يؤمنون ببيت الله عز وجل ، ويحلون ضيوفاً عنده .

وتحدثنا روايات التاريخ الصحيح عن عبد المطلب أنه قال : «بيننا أنا نائم بالحجر<sup>(١٥)</sup> إذ أتاني آت فقال : احفر طيبة . قلت : وما طيبة ؟ قال : ثم ذهب ، فرجعت الغد إلى مضجعي فنمت فيه ، فجاءني فقال : احفر برة . قال : قلت : وما برة ؟ قال : ثم ذهب عني ، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي ، فنمت فيه ، فجاءني فقال : احفر المذنونة ، قلت : وما المذنونة ؟ ، فذهب عني ، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي ، فنمت فيه ، فجاءني فقال : احفر زمزم ، إنك إن حفرتها لا تندم ، فقلت : وما زمزم ؟ قال : تراث من أبيك الاعظم ، لا تنزف ابداً ولا تُدَم ، تسقي الحجاج الاعظم ، مثل نعام جافل لم يقسم ، ينذر فيها ناذر لمنعم ، يكون ميراثاً وعقداً محكم ، ليس كبعض ما قد تعلم ، وهي بين الفرث والدم ، عند نقرة الغراب الاعصم ، عند قرية النمل»<sup>(١٦)</sup> .

وبعد هذه الرؤيا الصادقة يغدو شيخ البطحاء ، ومعه ولده الحارث ليعيد زمزم إلى ماهي عليه ، وبدا معوله المبارك يعمل في الارض وفق العلامات التي رآها في نومه «بين الفرث والدم ... عند قرية النمل» ، حيث وجد غراباً ينقر فعلاً في الموضع ، كما تحدثت الرؤيا الكريمة .

(١٥) المراد حجر اسماعيل عليه السلام ، وهو ما يلي الحائط المدار إلى جانب الكعبة الشمالي «التحرير» .

(١٦) الكامل لابن الاثير ٢ :

وماهي إلا ساعة من الجهد الذي بذله ذلك الشيخ الابراهيمي الوقور وولده اليافع ، حتى علا صوت الشيخ بالتكبير «اللَّهُ اكبر ، اللَّهُ اكبر» . ها هو ميراث اسماعيل عليه السلام ، وهاهو ماء زمزم يتفجر من جديد رقراقاً عذباً ، في ذلك الوادي الاجرد الذي شبع موتاً لحرمانه من زمزم ورويه العذب .

وحيث تحول الشك عند قريش إلى يقين جاءت إليه تهرول والاصوات تتعالى : «إنها بئر أبينا اسماعيل ، وإن لنا فيها حقاً فأشركنا معك» .

ولكن الشيخ المبارك صمم على أن يلي سقاية الناس بنفسه فلم يشركهم فيه ، وهو صاحب السقاية والرفادة دونهم كما يعلمون . واشتد لجاج قريش ، وتحول الامر إلى حجاج ومخاصمة ، فقال شيخ البطحاء : «فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم» ، فسأقتهم عقولهم الواهنة أن يجعلوا كاهنة بني سعد بن هذيم في مشارف الشام حكماً بين الخصمين ، فرضي الرجل الحكيم على مضض درئاً للفتنة ، وقطعاً للنزاع .

### اللَّهُ يحكم لشيخ البطحاء

وركب الممثلون عن الخصمين : عبد المطلب يصحبه نفر من بني عبد مناف ، وركب من كل قبيلة من قريش نفر ، وفي تلك الصحراء المجدبة الوسيعة نفذ ماء عبد المطلب وأصحابه ، فطلبوا الماء من خصمهم فلم يسقوهم ، وكاد الشيخ الجواد أن تدل به الهلكة عطشاً ، وقريش لم تعبأ بما تراه من حاجته وأصحابه إلى الماء .

حتى إذا شعر بحرج الموقف واقترب شبح الموت ، أشار على أصحابه أن يحفر كل واحد منهم قبره ، حتى إذا هلك احدهم واره أصحابه في حفرتة ، «حتى يكون آخركم موتاً قد وارى الجميع ،

فضيحة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب» .

وبعد ساعة انقذ في ذهب عبد المطلب الوقاد أن الاستسلام عجز وسوء تصرف ، فلا بد من مواصلة البحث عن الماء حتى ينقطع العذر . وهكذا ركب عبد المطلب ومن معه ، حتى إذا انبعثت راحلته في سيرها الباحث عن الماء انفجر الماء من تحت خفها مدراراً عذباً يملأ ما حوله من ارض جرداء ، فعلا التكبير في تلك الفيافي الموات .

فدعا عبد المطلب خصومه أن هلموا إلى الماء ، فقد سقانا الله عزوجل ، ولما حاول بعض اصحابه أن يمنعوا الخصم من الماء رداً على ما فعلوا ، لم يلتفت عبد المطلب إلى ما رآه بعض اصحابه ، فإن النفوس الكبيرة لا يغير من سجاياها بخل بخيل ، ولا اساءة مسيء .

فقد رد ابن هاشم على اصحابه الذين طلبوا الاقتصاص من ذوي النفوس الضعيفة بقوله المترفع : «فنحن اذن مثلهم» . إذن يتساوى الكريم والبخل ، والغيث مع الجذب ، والعطاء مع الحرمان ، لا ليس من اخلاق عبد المطلب ، ولا من شيم وريث ابراهيم واسماعيل عليه السلام .

وهكذا ادعت قريش للحق قائلة : «قد والله قضى الله لك علينا ، يا عبد المطلب . والله لا نخاصمك في زمزم ابداً . إن الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة لهو الذي سقاك زمزم»<sup>(١٧)</sup> .

وهكذا كانت هذه المعجزة الاخرى قد ارغمت معاطس قريش الوثنية على الاعتراف بحق عبد المطلب في ميراث جده الاعظم عليه السلام .

#### عبد المطلب واصحاب الفيل

علا شأن مكة عند العرب ، وشاع صيتها فيما حولها ، وتعاضم امر الكعبة المكرمة عبر السنين ، مما حمل بعض حكام العالم القديم في الشرق أن ينشئوا معابد في عواصمهم ليصرفوا بها الناس عن التوجه إلى مكة وتعظيم بيت الله تعالى فيها .

(١٧) الكامل لابن الاثير

١٣:٢

فقد أقام ملوك الغساسنة بيتاً ، وأقام ابرهة الأشرم معبداً في اليمن ليحذوا به حذو العرب في مكة ، وفعل ذلك غير هؤلاء . بيد أن هذه المحاولات باءت بالفشل ، ولقد بلغ من تأثير مكانة مكة في العالم القديم أن جرت محاولات من قبل بعض الطغاة لهدمها ، كما جرى ذلك في عهد ملك حمير حسان بن عبد كلال الذي غزا مكة لنقل احجارها إلى اليمن ، فأسره فهر بن مالك أحد أجداد رسول الله ﷺ ، كما حاول ابرهة الاشرم ذلك ، فمنع الله عز وجل بيته من بغي الظالمين وحسد الطغاة .

ففي عام ٥٧٠ م ، وهو العام الذي ولد فيه خاتم الانبياء والمرسلين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ﷺ ، عزم ابرهة والي امبراطور الحبشة على اليمن أن يهدم الكعبة بعد أن غاضته مكانة مكة لدى الناس ، ومقام بيتها المعظم ، فبنى معبداً في اليمن بديلاً للبيت الحرام ليصرف الناس به عن البيت ، حيث شيد لمعبده قباباً من ذهب وفضة ، ثم دعا الناس لحج بيته المفتعل ، ومما زاد في حنقه وحسده أن رجلاً من اهل مكة من كنانة قصد اليمن ، فعلم بمشروع ابرهة وما يخطط لتنفيذه ، فأخذته الحمية فدخل بنية ابرهة ليلاً وأحدث فيها .

وهكذا زحف ابرهة بجيش من البلداء والمغفلين والمرترقة ، وكان يتقدم الجيش فيل كبير ، حتى إذا وردت طلائع الجيش ارض مكة وعلمت بذلك قريش ومن حولها من العرب ، لاذت بالفرار وراعها جمعه الكثيف ، فخرج الناس عن دورهم واتخذوا رؤوس الجبال مهرباً لهم وملجأ ، إلا عبد المطلب بن هاشم الذي أقام على سقايته ، فقد بقي الرجل الوقور يتردد على الكعبة ، ويأخذ بعضادتي بابها المبارك ، وهو يخاطب ربه مستغيثاً ، طالباً نصره ، مستنزلاً انتقامه على البغاة ، وهو يردد هذه الايات الضارعة :

لا هم إن المرء يمـ      نـع رحله فامنع جلالك

لا يغلبوا بصلبيهم ومحالهم عذواً محالاً

لا يدخلوا البلد الحرام إذن فأمر ما بذلك (١٨)

(١٨) مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ الطبرسي ١٠ : ٤٤٤ (تفسير سورة الفيل)، وكتب التاريخ، الجلال : القوم المقيمون المتجاوزون، يريد سكان الحرم، والمحال : القوة والتدبير.

وقد بدأ عدوان اصحاب الفيل بنهب اموال قريش التي صادفوها وهم في طريقهم نحو البيت ، وكان مما نهبوا متناً بعير لعبد المطلب ، فعزم أن يطالب قائداهم الارعن بها ، فلما قدم نحو عسكرهم ابلغ ابرهة أن سيد قريش قد أقبل ، فحسب ابرهة أن عبد المطلب جاءه عائداً راجياً منه تغيير موقفه ، كما يفعل الضعفاء من الناس عادة ، ودخل شيبة الحمد ، وهو يقطر هيبة وعلو شأن ، فكره ابرهة أن يجلسه تحته ، فنزل عن سريره ، وجلسا معاً على الارض ، والتفت ابرهة إلى عبد المطلب يسأله عما جاء به ، فدار بينهما الحوار المعبر التالي : «ما حاجتك ؟ قال : حاجتي متناً بعير لي اصابتها مقدمتك . فقال ابو يكسوم (١٩) : واللّه لقد رأيتك فأعجبتي ، ثم تكلمت فزهدتُ فيك . فقال : ولم ايها الملك ؟ قال : لأنني جئت إلى بيت عزكم ومنعتكم من العرب ، وفضلكم في الناس وشرفكم عليهم ، ودينكم الذي تعبدون ، فجئت لأكسره ، واصيبت لك متناً بعير ، فسألتك عن حاجتك فكلمتني في اهلك ، ولم تطلب إليّ في بيتكم . فقال له عبد المطلب : أيها الملك ، أنا اكلمك في مالي ، ولهذا البيت رب هو يمنعه ، لست أنا منه في شيء» (٢٠).

(١٩) ابو يكسوم: كنية أبرهة . «التحريز» .

(٢٠) مجمع البيان ١٠ : ٤٤٤ . «التحريز» .

وعاد عبد المطلب ومعه ابله ، وترك ابرهة ومن حوله من الحاشية البليدة يضربون أخماساً بأسداس ، وهم يتساءلون احقاً أن لهذا البيت رباً هو مانعه ؟ لماذا لم يبد عبد المطلب اكتراثاً بهذا الجيش المصمم على هدم الكعبة ؟

ولماذا هذه الطمأنينة التي غمرت هذا الشيخ القرشي الهاشمي ، وهو يتحدث عن البيت ومالكه ؟ فإذا كان ما يقوله حقاً ، فماذا

سيجري عندما تحين ساعة الصفر ، ويتقدم الجيش لهذه البنية المستقرة في هذا الوادي الاحدب ٩ .

هذه الافكار بقيت تسهّد ابرهة واركان جيشه ، ولكن الغرور عادة يجمع بأصحابه الطغاة فيدفعهم دفعاً لتحقيق مآربهم ، حتى وإن احسوا بأمارات الخطر .

وتحرك الجيش في سحر تلك الليلة باتجاه البيت الحرام ، ولكن الفيل ، كان أنفذ بصيرة من راكبيه وسائقيه والمؤمنين به ، فعصى أوامر السلطان وعزم على تخريب الخطة وتدمير المشروع ، فكلما وجهوه نحو الكعبة عصى أوامرهم ، وبرك معرقلاً زحف الجيش ، وإذا وجهوه وجهة اخرى ، انبعث مهرولاً ، وترجوه واستعطفوه واقسموا عليه أن يتحرك ، ويمضي معهم فلم يستجب ، وظل مخالفاً لبرنامج الغدر والبغي ، حتى طلعت شمس يوم عبوس قمطير ، فطلعت عليهم الطير الابابيل ، لتعصف بوجودهم المعتدي .

وهكذا برزت عبقرية ايمان عبد المطلب ، وفراسته القدسية ، حيث صدقت نبوءته ، إذ منع الله تعالى بيته ، ودمر على عدوه .

وقد أرخ القرآن الكريم هذه الحادثة التاريخية الكبرى بسورة منه كاملة هي سورة الفيل .

وبهذه الشذرات المشرقة من سيرة هذه الشخصية الابراهيمية المباركة تتجلى لنا العظمة ، والعلاقة الوطيدة بسلسلة النبوة الالهية العتيدة .

إنك إن تقرأ سفر حياة هذا الرجل العملاق ، تحس كأنه مكلف من الله عز وجل بتجديد مشاريع ابراهيم واسماعيل عليه السلام ، في هذه البقعة المختارة للمهمة الكبرى .

فعبد المطلب عليه السلام يعيد حفر زمزم فيتحقق أمله ، وتحقق بدعائه صيانة البيت الحرام من كيد المعتدين ، ويجري عليه في ولده عبد الله



كما جرى لإبراهيم عليه السلام في محاولته ذبح ولده اسماعيل ، كما هو معروف من السيرة والآثار والنصوص الصحيحة ، حيث يذكر التاريخ القديم قصة مشوهة عن محاولة ذبح عبد المطلب لولده عبد الله وفاء بنذر له لله عز وجل .

ويغلب على ظني أن محاولة الذبح المذكورة قد جرت بعد تحقق أمر هام لعبد المطلب يرتبط بالرسالة وميراث إبراهيم عليه السلام ، لا كما تصوره الروايات المضطربة ، التي تدخل الاصنام والكهان عسفاً في الموضوع مما لسننا بصدد دراسته بشكل مفصل هنا .

#### وريث الامجاد

إن هذه المفاهيم والآثار الكريمة التي طفحت بها سيرة قصي وهاشم وعبد المطلب ، وغيرهم من أجداد رسول الله صلى الله عليه وآله ، ورثها أبو طالب وزادها عطاء ونماء ، ليكون هذا الوريث المبارك اهلاً لحماية الحق الذي يصدع به خاتم الانبياء محمد بن عبد الله بن عبد المطلب عليه السلام ، ورعاية المسيرة الهادية بكل طاقاته التي أتاحتها الله تعالى له ، سواء أكانت طاقات روحية أو اجتماعية أو مادية أو غيرها ، كما سيتضح .

وأبو طالب هو عبد مناف أو عمران أو شيبه (٢١) بن عبد المطلب بن هاشم جد النبي صلى الله عليه وآله - جمعاً بين روايات المؤرخين - وألقابه كثيرة كان أشهرها شيخ الابطح ، وسيد البطحاء ، ورئيس مكة ، ولكنه اشتهر بأبي طالب دون ألقابه جميعاً .

تصدى أبو طالب لرئاسة مكة المكرمة ، والزعامة في بني هاشم وقريش بعد أبيه عبد المطلب عليه السلام ، رغم قلة ثروته قياساً إلى الملاء من قريش ممن عاصروه ، وتكاد تكون زعامته حالة شاذة ؛ لأن الزعامة في قريش مشروطة بالدرجة الاولى يومئذ بامتلاك ناصية الاموال

(٢١) انظر شيخ الابطح  
لمحمد علي شرف الدين  
العسافلي: ٥ ، ط . بغداد  
١٣٤٩ هـ .

الوفيرة ، تلك التي لم يكن ابو طالب ﷺ قد وفرتها له الاقدار .  
بيد أن مقومات ومواهب اخرى غير ذلك اهلته لتسئم مركز القيادة  
العليا في مكة ، حتى كاد هذا الأمر ألا يكون شرطاً اساسياً ، حيث  
استطالت شخصية ابي طالب ﷺ ، واستطال ظلها الظليل حتى اختفت  
اهمية المقوم المالي في ظلها .

حتى قيل : إن قريشاً كات تطعم ، فإذا اطعم ابو طالب لم يطعم  
يومئذ أحد غيره (٢٢) .

(٢٢) انساب الاشراف  
للإذري : ٢٢ (نسب ابي  
طالب) .

لقد ولد ابو طالب ﷺ قبل ميلاد خاتم النبيين محمد بن عبد الله ﷺ  
بخمسة وثلاثين عاماً ، أي عام ٥٣٥ من ميلاد عيسى النبي ﷺ ،  
وترعرع في احضان شبية الحمد عبد المطلب بن هاشم ، حيث المجد  
الشامخ ، والقمة السامقة ، فتأدب بآداب تلك النبتة الابراهيمية الطيبة  
التي آتت اكلها فضلاً وسؤدداً وبركة للناس ، وحيطة لمفاهيم  
الحنيفية البيضاء - كما رأينا في الصفحات السابقة - .

وهكذا كان ابو طالب ، كما يكون الولد البار على سر أبيه ، فقد  
حمل مشعل ابيه في الهدى والاستقامة ، وصون المكارم ، وحماية  
الفضائل في مكة وما حولها ، وكان وريث أبيه عبد المطلب حقاً في  
حمل سنن ابراهيم واسماعيل ﷺ ، ومبادئهما الهادية ، ليستحق  
شرف كفالة خاتم الانبياء ، وسيد الخلق على الاطلاق محمد بن عبد  
الله بن عبد المطلب ﷺ .

وهاك مثلاً واحداً على سمو صفاته ، ورفيع درجاته المعنوية ،  
التي لم يغفلها اكثر أهل مكة رغم شركهم وانحرافهم .

فقد اخرج ابن عساكر في تاريخه عن جلهمة بن عرفة قال :  
«قدمت مكة وهم في قحط فقالت قريش : يا أبا طالب ، أقحط الوادي ،  
وأجذب العيال ، فهلّم واستسق . فخرج ابو طالب ومعه غلام كأنه  
شمس دجن تجلت عنه سحابة قتما ، وحوله اغليمة ، فأخذه ابو طالب

(٢٣) لا يخيس شعيرة: يريد  
لا ينقص مقدار حبة شعير.  
«التحرير».

(٢٤) الغدير للعلامة الاميني  
٧ : ٣٤٥ - ٣٤٦، عن شرح  
البخاري للقسطاني ٢ :  
٢٢٧، والمواهب اللدنية ١ :  
٤٨، والخصائص الكبرى  
١ : ٨٦ و ١٢٤، وشرح بهجة  
المحافل ١ : ١١٩، والسيرة  
الحلبية ١ : ١٢٥، والسيرة  
النبية لزيني دحلان في  
هامش الحلبية ١ : ٨٧،  
وطلبة الطالب : ٤٢.

(\*) تعليق التحرير : الفجار  
هو أربعة أيام من أيام  
العرب، آخرها وأشهرها -  
حسب ما ورد في بعض  
المصادر - هو الفجار الذي  
كان يحضره رسول  
الله ﷺ وهو صبي، وقد  
اختلف في سنه آنذاك ،  
وأقصى ما قيل أنه كان ابن  
عشرين سنة، وكان هذا  
اليوم - كما جاء في كثير من  
مصادر السيرة والتاريخ -  
بين قريش ومن معهم من  
كنانة، وكانوا أحلافهم،  
وبين قيس عيلان.

(٢٥) السيرة الحلبية ٢ :  
١٥٢.

فألصق ظهره بالكعبة ، ولان بإصبعه الغلام ، وما في السماء قرعة ،  
فأقبل السحاب من هاهنا وهاهنا وأغدق ، وانفجر له الوادي واخصب  
البادي والنادي ، ففي ذلك يقول ابو طالب :  
وابيض يُستسقى الغمام بوجهه

ثمّال اليتامى عصمة للأرامل

يلوذ به الهلاك من آل هاشم

فهم عنده في نعمة وفواضل

وميزان عدل لا يخيس شعيرة (٢٣)

ووزان صدق وزنه غير هائل (٢٤)

وهاك قصة تشكل مصداقاً آخر لعظمة هذه الشخصية الربانية  
المظلومة ، ففي حرب الفجار التي اشتعلت بين هوازن وكنانة (\*) كان  
ابو طالب يحضر هذه الحرب ومعه رسول الله ﷺ وهو صبي ، فكان  
كلما حضر حققت هوازن تقدماً على عدوها ، وإن غاب أدبرت ،  
فأحست هوازن بذلك ، فقدمت لأبي طالب رجاءها أن يحضر لتجد  
بركة وجوده ، فيواتيها النصر ، فاستجاب ابو طالب ﷺ لها (٢٥) .

إن هذه الشخصية العظيمة - بسبب ما توافر فيها من الصفات  
الروحية العظيمة ، مضافة إلى مزاياها المعنوية المتميزة كتحريم  
الخمور والزنا والتورع عن الموبقات ، مع الكرم والشجاعة وصلة  
الارحام والبر وقوة الارادة والسماحة وغير ذلك - قد أهلت لتكون  
مناخاً تعيش في ظلاله النبوة الخاتمة التي حملها محمد بن  
عبد الله ﷺ .

وهاهو عبد المطلب العظيم ، وهو على وسادة الوفاة ، يدلي  
بوصيته التاريخية امام أولاده وبني هاشم ، مخاطباً بها أبا طالب  
وصيه في حمل الامانة بعده ، وصون الوديعة الربانية : «انظر يا أبا  
طالب أن تكون حافظاً لهذا الوحيد الذي لم يشم رائحة أبيه ولم يذق  
شفقة أمه . انظر أن يكون من جسدك بمنزلة كبك ، فإنني قد تركت

بَنِي كُلِّهِمْ وَخَصَصْتُكَ بِهِ ، لِأَنَّكَ مِنْ أُمَّ أَبِيهِ . وَاعْلَمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَتَّبِعَهُ فَافْعَلْ ، وَانصِرْهُ بِلِسَانِكَ وَيَدِكَ وَمَالِكَ ؛ فَإِنَّهُ وَاللَّهِ سَيَسُودُكُمْ وَيَمْلِكُ مَا لَا يَمْلِكُ أَحَدٌ مِنْ آبَائِي . هَلْ قَبِلْتَ وَصِيَّتِي ؟ قَالَ : نَعَمْ قَدْ قَبِلْتُ وَاللَّهِ عَلَى ذَلِكَ شَاهِدٌ ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ : مَدَّ يَدَكَ ، فَمَدَّ يَدَهُ فَضْرَبَ بِيَدِهِ عَلَى يَدِ أَبِي طَالِبٍ ، ثُمَّ قَالَ عَبْدُ الْمَطْلَبِ : الْآنَ خَفَّفَ عَلَيَّ الْمَوْتُ . وَلَمْ يَزَلْ يَقْبَلُهُ وَيَقُولُ : أَشْهَدُ أَنِّي لَمْ أَرْ أَحَدًا فِي وَلَدِي أَطِيبَ رِيحًا مِنْكَ وَلَا أَحْسَنَ وَجْهًا» (٢٦) .

(٢٦) مرآة العقول للشيخ  
المجلسي ١ : ٣٦٨ .

ثم أنشد عبد المطلب :

وصيت من كنيته بطالب

عبد مناف وهو ذو تجارب

بابن الحبيب اكرم الاقارب

بابن الذي قد غاب غير آيب

فأجاب أبو طالب والده بما يلي :

لا توصين بلأزم وواجب

إنني سمعت أعجب العجائب

من كل خبر عالم وكاتب

بأن بحمد الله قول الراهب

ثم إن عبد المطلب طلب من أبي طالب أن يمد يده ، فضرب عليها

بيده (٢٧) الكريمة تعبيراً عن قبوله بهذه الصفقة المباركة ، رعاية النبي

المختار ﷺ من قبل أبي طالب ﷺ ، حيث تشكل أعلى أمانة وأسمائها

عند عبد المطلب ﷺ .

(٢٧) م . ن .

ومن الطبيعي أن يكون اختيار عبد المطلب لأبي طالب - وهو مسدد

بالله تعالى قطعاً ، كما رأينا صوراً من ذلك التسديد الرباني - لكفالة

خاتم الرسل ﷺ ورعايته لخصائص روحية مميزة امتاز بها أبو

طالب عن بقية اخوته اولاد عبد المطلب ، وليس صحيحاً ما يذهب إليه

البعض من المؤرخين ، حين يتصور أن اختيار أبي طالب لهذه المهمة

كان بسبب كونه مع عبد الله والد النبي ﷺ من أم واحدة ، فإن الزبير ابن عبد المطلب كان اخاً لعبد الله من امه وأبيه ايضاً ، وإنما كان ذلك الاختيار عن حساب وتخطيط ؛ إذ إن أبا طالب كان مؤهلاً من الناحية الروحية لأن يكون راعياً للرسول الخاتم والرسالة الخاتمة دون سواه من الخلق بعد عبد المطلب .

ومن الآثار المعتمدة يبدو أن أبا طالب كان وصي عبدالمطلب ومستودع اسراره الخاصة . بمسيرة الهدى ، منذ ابراهيم واسماعيل جديهما ﷺ حتى ظهور النبي الخاتم من ولد اسماعيل ﷺ ،

ومن هنا قطع الشيخ المجلسي رحمه الله - بناء على ما اجتمع لديه من معلومات واخبار صحيحة - بما يلي : «أجمعت الشيعة على أن أبا طالب لم يعبد صنماً قط ، وأنه كان من أوصياء ابراهيم الخليل عليه السلام ، وحكى الطبرسي إجماع اهل العلم على ذلك ، ووافقه ابن بطريق في كتاب الاستدراك» (٢٨) .

(٢٨) البحار ٩ : ٢٩ .

ولقد ذكرت الآثار التي اهتمت بسيرة اولئك الاطياب أن ابا طالب كان يقول : «كان ابي يقرأ الكتب جميعاً ، وقال : إن من صليبي نبياً لوددت أني ادركت ذلك الزمان فأمنت به ، فمن أدركه من ولدي فليؤمن به» (٢٩) .

(٢٩) م . ن : ٣١ .

وحيث إن ابا طالب كان مستودع اسرار ابيه فيما يخص مسيرة النبوة ومعالم الحق الرباني ، فقد جاءت الرواية الصحيحة عن ائمة اهل البيت عليهم السلام بهذا الشأن مايلى : «سأل درست بن منصور ابا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام : أكان رسول الله محجوباً بأبي طالب ؟ قال عليه السلام : لا ، ولكن كان مستودع الوصايا فدفعها إلى النبي ﷺ . قلت : دفعها على أنه محجوب به ؟ قال عليه السلام : لو كان محجوباً به ما دفعها اليه . قلت : فما كان حال ابي طالب ؟ قال عليه السلام : أقر بالنبي وبما جاء به حتى مات» (٣٠) .

(٣٠) م . ن : ٢٩ : ٢٩ .

إن هذا الموقع السامي الذي يحتله ابو طالب في قافلة المسيرة الهادية هو الذي أهله ليكون راعياً لخاتم الانبياء عليهم السلام ، وحامياً له من

الاعداء والحاسدين - كما يتضح - .

لقد بدأت مهمة ابي طالب بشأن رعاية النبي ﷺ وكفالته منذ أن رحل عبدالمطلب إلى ربه الاعلى عز وجل بعد أن صان الامانة ، وأداها إلى أهلها منذ السنة الثامنة من عمر رسول الله ﷺ .

لقد بدأت حياة هذا الغلام المبارك تفيض على عمه اليقين بمستقبله الزاهر، بما يجري له من امداد رباني يحسه ابو طالب ويراه عياناً ، فقد كان المصطفى ﷺ يعدده ربه ويهيئه للمهمة الكبرى من لدن أن كان فطيماً . يقول امير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام في هذه الحقيقة : «ولقد قرن الله به ﷺ من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته ، يسلك به طريق المكارم ومحاسن اخلاق العالم ليله ونهاره . ولقد كنت أتبعه اتباع الفصيل اثر امه ، يرفع لي في كل يوم من اخلاقه علماً ، ويأمرني بالاعتداء به . ولقد كان يجاور في كل سنة بحراء فأراه ولا يراه غيري . ولم يجمع بيت واحد يومئذ في الاسلام غير رسول الله ﷺ وخديجة وانا ثالثهما ، أرى نور الوحي والرسالة ، وأشتم ريح النبوة» (٣١) .

(٣١) نهج البلاغة، تحقيق  
صبحي الصالح : ٢٠٠ -  
٢٠١ .

وكانت آثار هذا الاعداد الالهي تفيض على جوانب شخصية هذا الفتى المبارك هدى وسمتا واستقامة وفضلا ، وكان ابو طالب يرى ذلك منه كل آن .

فقد كان ابو طالب يشهد ظواهر ذلك الاعداد الرباني لرسول الله ﷺ واضحة على سلوك النبي ﷺ ، وهو لا يزال في مقتبل عمره الشريف ، فيشم اريج النبوة التي تفوح من محمد بن عبد الله ﷺ وديعة عبد المطلب عند أبي طالب ، فهو لا يبدأ بطعام إلا بعد أن يسمي عليه ، ولا يختم طعامه إلا بحمد الله عز وجل ، وكان لا يأكل ما يذبح على النصب ، ولا يشارك المشركين في اعيادهم ، ولا يشاركونهم في لغوهم وعبثهم ، وكان الصادق الامين في قومه ، يعرفه القاصي والداني بذلك . وكان ابو طالب يشهد آثاره وبركاته وخوارقه للمألوف . لقد كان ينام فيسطع النور من رأسه إلى عنان السماء ، وابو

(٢٢) السيرة الحلبية ١ :  
١٣٩، وذو المجاز: موضع  
عند عرفة .

طالب يشهد ذلك ويراه ، ولقد عطش ابو طالب والرسول ﷺ معه في  
ذي المجاز ، فمال إلى صخرة هناك فركلها النبي ﷺ برجله فنبع الماء  
من تحتها قرقاقاً ليروي ابا طالب من نبعها المبارك (٣٢) .

مع النبي ﷺ قبل بعثته

عاش ابو طالب عليه الرحمة والرضوان مع رسول الله ﷺ اكثر  
من اربعين عاماً ، استوعبت ايام الصبا من عمر رسول الله ﷺ ،  
وشبابه والعقد الاول من كهولته المباركة .

وقد قضاها ابو طالب كدحاً ومعاناة من اجل حفظ الامانة الكبرى  
التي ألقيت إليه من شيخه المعظم عبد المطلب .

لقد تحول ابو طالب بالنسبة لمحمد ﷺ إلى اكثر من أب ، كما  
تحولت فاطمة بنت اسد زوجة ابي طالب إلى اكثر من أم لرسول  
الله ﷺ ، حتى كان ﷺ يقول عنها : «إنها أمي بعد أمي» .

فلقد كان هم ابي طالب ﷺ رعاية النبي المنتظر ﷺ بكل وجوده  
وما يملك ، فكان لا يفارقه في سفر ولا حضر ، وصار احدهما للآخر  
كالظل وصاحبه لا يفترقان ، وكان لا يأكل إلا معه ، ولا يقدم عليه احداً  
من اولاده ابداً .

وفي بيت ابي طالب ﷺ بدأت آثار بركة النبي ﷺ الطيبة ، فقد كان  
ابو طالب ذا اسرة كبيرة كثيرة النفقات ، وكان مُقلاً في موارده ، كثيراً  
ما كان يعجز عن اشباع افراد عائلته ، حتى إذا انضم رسول الله ﷺ  
إليها بعد رحيل عبد المطلب حوالي عام ٥٧٨ ميلادية ، زحفت إليها  
البركة من كل مكان ، وورثت الري والشعب منذ ذلك اليوم ، فلما رأى  
ابو طالب تلك الآثار كان يعرض الطعام أولاً على ابن اخيه  
المصطفى ﷺ لينال منه شيئاً فتغمره البركة ، فكان يفيض عن حاجة  
الآكلين ، وكان ابو طالب يقول له : «إنك لمبارك» (٣٣) .

(٣٣) السيرة النبوية ١ : ٨٠  
والسيرة الحلبية ١ : ١٣٧ -  
١٣٨ .

ومن شدة عناية ابي طالب ﷺ بالغلام المبارك أنه لم يفارقه حتى  
في سفره إلى بلاد بعيدة ، فقد عزم ابو طالب على السفر إلى الشام

ضمن قافلة قرشية ، وكان يخشى أن ترهق هذه المسافة المضنية ولده محمداً ﷺ ، فكان بين عسر الفرقة وخوف المشقة من السفر ، وحين ترجع للشيخ الكريم أن ينأى بولده عن مشقة السفر شفقة عليه ، قرر الرحيل بمفرده ، فلما حان وقت الرحيل وتقدم الشيخ نحو راحلته سمع كلمات الغلام ، وهي تختنق بالعبرات : «يا عم إلى من تكلمي؟» فرق قلبه وهو يقول : «والله لأخرجن به معي ، ولا يفارقني ، ولا أفارقه أبداً» . وكان عمر النبي ﷺ يومذاك تسع سنين ، وقد اركبه معه على راحلته الميمونة ، حتى إذا بلغت القافلة بصرى من بلاد الشام ، كان خارج المدينة المذكورة دير لعالم نصراني كبير يرث علم النصرانية عن سبقه ، وكان هذا الدير لا يخلو من عالم بالاديان واسرارها حتى يحل بديل له ، حتى انتهت الامانة فيه إلى بحيرا الذي كان يملك من علم موسى وعيسى وغيرهما الشيء الكثير ، وكان في هذه البقعة يتطلع إلى لقاء خاتم الرسل في مطلع حياته ، لعلم ورثه عن الصادقين من رسل الله تعالى الماضين .

واقبلت القافلة فأطل بحيرا برأسه على القادمين ، حيث تعلق قلبه بالقافلة المقبلة ما ليس كعادته ، فقد كان من عادته ألا يختلط برائح ولا قادم ، رغم أن ديره على طريق القوافل .

فحين اقبلت القافلة كان الراهب ببصيرته المعنوية النافذة يرى غمامة تظلل احداً في الركب لتحميه من الهجير ، كما رأى الشجرة التي استقر عندها ذلك القادم وقد تحركت اغصانها حركة خارج حدود العادة ، عندما استراح القوم قرب الدير ، لتباشر خدمة النبي ﷺ في عملية التظليل من الشمس وقد هصرت اغصانها حتى استظل بها<sup>(٣٤)</sup> .

فراح الراهب ما رأى ، فنزل من صومعته مسرعاً ، ودعاهم إلى طعام عنده ليتاح له من الفرص ما يكفي للمطابقة بين الآثار الالهية التي ورثها ، وبين ما يرى . أهو الرسول المختار الذي تنتظره الارض ، أم هو شيء غير ذلك ؟

(٣٤) الكامل في التاريخ لابن  
الاثير ٢ : ٣٧ .



فلما اجتمع القوم عنده لتناول الطعام ، قال الراهب : « لا يتخلف منكم احد صغير أو كبير ، فقالوا له : لم يتخلف منا غير غلام تركناه في رحلتنا » .

ففزع الراهب إليه وهو في رحلهم ، حيث كان ضالته المنشودة ، فاحتضنه وجاء به وهو ينظر إليه نظراً فاحصاً ، ويتأمل اشياء في جسده المبارك « كان يجدها في صفته » التي تركتها له آثار الانبياء المبشرة بمقدمه الميمون .

فلما فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا ، اختلى الراهب بالرسول الموعود محمد ﷺ وعمه ابي طالب ، وراح يسأله عن احواله في نومه ويقظته ، ورسول الله ﷺ يجيبه ، فوجدها بحيرا موافقة لما عنده من آثار وبشائر ، ثم نظر الراهب إلى خاتم النبوة بين كتفيه .

التفت الراهب إلى عمه ابي طالب سائلاً : « ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابني . قال : ما ينبغي أن يكون ابوه حياً . قال : فإنه ابن اخي مات ابوه وامه حبلى به . قال : صدقت . ارجع به إلى بلدك ، واحذر عليه يهود؛ فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغته شراً ؛ فإنه كائن له شأن عظيم » (٣٥) .

(٣٥) الكامل ٢ : ٢٧ ، وغيره  
من كتب السيرة .

فعاد به ابو طالب ﷺ إلى مكة المكرمة ، وهو أشد ما يكون حرصاً عليه ورعاية وحيطة له ، وفوق هذا وذاك اصبح اشد ما يكون يقيناً بنبوته ومستقبله المضيء المشرق ، حيث تراكمت البراهين وتكاثرت المصاديق يوماً بعد يوم على حتمية وقوع هذا الحدث الكوني العظيم ، ابتداءً من وصية عبد المطلب ، إلى نبع الماء تحت رجله ، إلى آثار بركته في دار عمه ، إلى خصائصه الذاتية الواضحة في سلوكه وهديه وصدقه واستقامته ، مضافة إلى اخبار الراهب بحيرا بما تؤول إليه اموره ، وغير ذلك كثير .

حدث اقتران الرسول ﷺ بخديجة

وبعد أن شاع ذكر رسول الله ﷺ العطر ، وملاً أرجاء مكة ، حيث

الصدق والاستقامة والامانة ، وكرم الاخلاق وطيب النفس ، رغبت خديجة بنت خويلد أن تضاربه في مالها - وهي امرأة تاجرة حازمة شريفة - ، فعرضت على رسول الله ﷺ أن يخرج في مال لها إلى الشام بصحبة غلامها الامين ميسرة ، وتعطيه اكثر مما تعطي سواه من الرجال الذين ينهضون بعمل لها من هذا القبيل .

وأجابها النبي ﷺ لذلك ، وسافر ببضاعتها إلى الشام ، فباع وابتاع وحقق ربحاً وفيراً ، فلما عاد من سفره حدثها ميسرة عما رأى من شمائله الكريمة ، التي لم يشهد مثلها فيمن صحبهم ، كما حدثها عما نبأه به راهب في طريق الشام حيث رآه ، إذ قال له فيما قال : «ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي» (٣٦) .

(٣٦) م . ن : ٣٩٠ .

ومنذ نجاح هذه الصفقة راحت خديجة ﷺ تفكر كيف يمكنها أن تتزوج بالرسول المنتظر ﷺ ، بينما كانت قبل ذلك ترفض الرجال حتى سادة قريش ، فلم تجد منهم من يملأ طموحها المعنوي ، حتى نفضوا ايديهم منها يأساً .

أجل ، كيف يمكنها أن تحظى بمحمد بن عبد الله ﷺ فتى قريش الصادق الامين ، الذي امتلأت اندية مكة باريج سيرته الفواح .

فكّرت ملياً فرأت أن كبرياءها لا بد أن تضحي به من اجل محمد ﷺ ، ولا بد أن تبدأ خطوة على الطريق ، فأرسلت إليه اختها هالة ، أو صديقة لها اسمها نفيسة بنت منبه ، فعرضت أمرها عليه . لقد ذهبت الوسيطة إلى النبي ﷺ دسيساً (٣٧) ، وجرى هذا الحوار القصير الحاسم : «ما يمنعك أن تتزوج ؟ قال : ما بيدي ما أتزوج به . قالت : فإن كفيت ذلك ، ودعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة ، ألا تجيب ؟ قال : فمن هي ؟ أجابت ... ، خديجة . قال محمد ﷺ : كيف لي بذلك ؟ ... قالت : عليّ ذلك» (٣٨) .

(٣٧) الدسيس: من يُرسل سراً ليأتي بالاكخبار.  
«التحرير» .

(٣٨) حياة محمد لمحمد حسين هيكل : ٨٤ ، ط . القاهرة ١٣٥٤ هـ .

وأعلن المصطفى ﷺ قبوله بالعرض المبارك ، ثم جرى اتفاق أن يحضر مع اعمامه لخطبة سيدة قريش من عمها عمرو بن اسد ، حيث

أن اباها قد قضى نحبه قبل حرب الفجار .

واخبر الرسول ﷺ عمه أبا طالب بذلك ، فذهب ابو طالب سيد قريش وزعيم العرب يومذاك ، ليخطب خديجة من عمها عمرو بن اسد ، وعقد الاجتماع في دار خديجة ، وكانت داراً واسعة رحبة .

(٣٩) الضئضئ : الاصل .  
«التحرير» .

تحدث سيد بني هاشم ابو طالب فقال : «الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم ﷺ ، وزرع اسماعيل ، وضئضئ<sup>(٣٩)</sup> معدّ ، وعنصر مضر ، وجعلنا حضنة بيته ، وسوأس حرمة ، وجعل لنا بيتاً محجوجاً ، وحرماً آمناً ، وجعلنا حكام الناس .

ثم إن ابن اخي هذا محمد بن عبد الله لا يوزن برجل إلا رجح به ، شرفاً ونبلأً وفضلاً وعقلاً ، فإن كان في المال قل ، فإن المال ظل زائل ، وأمر حائل ، وعارية مسترجعة .

ومحمد من قد عرفتم قرابته ، وقد خطب خديجة بنت خويلد ، وبذل لها ما آجله وعاجله كذا ، وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم ، وخطر جليل جسيم»<sup>(٤٠)</sup> .

(٤٠) ابو طالب مؤمن قريش  
لعبد الله الخنيزي : ١٤١ .

لقد كان هذا الحديث من ابي طالب دليلاً واضحاً على اعتزازه بالارتباط بابراهيم واسماعيل نسباً وحسباً ، حيث حمد الله عز وجل على هذا الارتباط ، ثم عزج على صلب الموضوع فذكر الجالسين بمكانة النبي ﷺ المعنوية ، وقيمته الخلقية والروحية في الناس ، وما سيصير إليه امره بعد حين ، حيث يستشرف للحاضرين المستقبل القريب لمحمد بن عبد الله ﷺ ، وهو حمل الرسالة الالهية الخاتمة ، إذ لا يستحق أن يسمى نبأ عظيمأً وخطرأً جليلاً جسيماً على لسان ابي طالب ، غير هذه القمة السامقة التي سيبلغها محمد بن عبد الله ﷺ وشيكأً ، وهكذا هيأ ابو طالب الازهان لمستقبل النبي ﷺ والدعوة والرسالة . وفي هذه الاجواء الجليلة تمت الخطبة ، ودخلت خديجة في عصمة رسول الله ﷺ زوجة مباركة ، وأماً للمؤمنين ، وججراً لرعاية الكوثر المعين .

# الاسلام والمسلمون

## في أفغانستان

٢

استطلاع

اعداد  
قسم الارشيف

تلاحقت على ارض افغانستان مجموعة من الاحداث السياسية الخطيرة ،  
تخللها عدد من الانقلابات العسكرية ذهب ضحيتها الملايين من المسلمين  
الافغانيين قتلًا وتشريدًا .

وبالرغم من خطورة الموقف والوضع في هذا البلد المسلم ، الذي يعني كل  
مسلمي العالم ، نلاحظ عدم الاهتمام اللازم في هذه القضية التي باتت تهدد الكيان  
الاسلامي ككل .

لذا نجد من الاهمية بمكان أن نتعرف على مجمل تاريخ هذا البلد المسلم قبل  
دخول الاسلام اليه وإلى يومنا هذا بحدود المصادر المتوافرة لدينا .  
«التحرير»

### الثورة الاسلامية في أفغانستان

لم يتمكن نور محمد تراكي من البقاء في السلطة سوى ستة  
عشر شهراً ، كانت مليئة بالمآسي والاختناقات السياسية  
والعسكرية ، وذلك نتيجة للمواجهة المباشرة مع الرفض الشعبي



الاسلامي ، خصوصاً بعد التدخل الروسي العسكري ، وهي المسألة التي أخفق في مواجهتها أو حسمها . ورغم التنازلات اللفظية التي ابداهـا ، والتي خلقت خلافات داخلية سواء داخل هيكل السلطة أو ضمن تنظيم الحزب ، اتسعت قاعدة الثورة وتطورت بشكل شامل وواسع ، وتحولت إلى نزيف دموي عنيف لم يحسب له حساب سابق . إن قلة عدد المنتمين لحزب خلق ، وضعف روابطهم الاجتماعية والفكرية والتنظيمية مع الشعب الافغاني ، وكذلك كره هذا الشعب للماركسيين الروس ، واستخدام القوة العسكرية والاضطهاد وسيلة لغرض هيمنة الدولة ، ثم الوجود العسكري الروسي ، كل هذه العوامل ساعدت في نهضة الشعب الافغاني المسلم ، وتقوية المعارضة الاسلامية ، التي ما لبثت أن تطورت إلى احتجاجات عنيفة ، ثم ثورة مسلحة عمّت البلاد ، ففي شهر حزيران عام ١٩٧٩م ، حدثت ثورة على الوجود العسكري الروسي في شمال مدينة جلال آباد ، ما لبثت أن وصل مدّها في بداية شتاء نفس السنة إلى مقاطعتي كوناړ وبختر . وفي نفس الفترة تصاعدت المعارك في شمال غرب مدينة هرات ، بين الثوار وقوات السلطة الشيوعية تساندها القوات الروسية ، وخصوصاً الطيران ، وقتل عدد من العسكريين الروس ، وانتقلت الثورة بسرعة كبيرة إلى اكثر المدن الافغانية ، وعمت القرى والمناطق الجبلية النائية ، بل إنها امتدت إلى داخل ثكنات الجيش الافغاني في منطقة هرات ، حيث تم اخمادها بقصفها بطائرات الميغ السوفياتية .

بعد ثلاثة ايام من انطلاق ثورة هرات ، اجرت السلطة الافغانية تعديلاً في الحكومة ، حيث نَحّي تراكي من رئاسة الوزارة ، وأسند هذا المنصب إلى حفيظ الله امين ، وتم تشكيل مجلس دفاع اعلى للسيطرة على زمام الموقف عسكرياً وامنياً .

وفي نفس الوقت تسربت اخبار حول الصراع بين تراكي وامين ،

خصوصاً حول مسألة كيفية مواجهة الثورة الاسلامية ، إذ إن تراكي يميل إلى المهادنة وتقديم بعض التنازلات السياسية للثائرين ، بينما يميل امين إلى العنف واستخدام القوة العسكرية .

وقد ادى مجموع هذه الاوضاع الامنية المتردية إلى زيادة سيطرة الروس على الحياة السياسية والعسكرية الافغانية ، فقد وصل يوم ٦ / نيسان / ١٩٧٩م وفد عسكري رفيع المستوى برئاسة الجنرال بيبشيف ، النائب الاول لوزير الدفاع ورئيس الشؤون السياسية في الجيش والبحرية السوفياتي ، لتفقد ومتابعة العمليات العسكرية ضد الثوار المسلمين ، ولتوجيه اكثر من خمسة آلاف خبير عسكري ، اصبحوا فيما بعد يسيطرون على أهم المرافق السياسية والعسكرية . وقد قامت القوات الروسية في هذه الفترة باحتلال قاعدة باجرام الجوية القريبة من كابل ؛ بسبب عدم الثقة بالطيارين والجنود الافغانيين ، الذين اظهروا مقاومة في تنفيذ المهمات القتالية ضد ابناء الشعب الافغاني . علماً أن اغلب ضباط الطيران هم من الشيوعيين .

في الاشهر الاخيرة من عام ١٩٧٩م ، بدا واضحاً أن تراكي يعيش الفشل والاحباط أمام تنامي واتساع المقاومة الاسلامية ، وازدياد هروب افراد الجيش الافغاني والتحاقهم بالثوار ، وقد تحول من كاتب واديب إلى اداة قمع وابادة ، مع ازدياد سيطرة الجيش الروسي . وقد شعر الروس بفشله هذا ، الامر الذي دعاهم إلى تقليص صلاحيته تمهيداً لتجميده ، ولم تعد افكاره تثير اهدأ ، وربما كان يشعر بالتردد وتأنيب الضمير امام المجازر التي وقعت في المدن والقرى ؛ ولهذا فقد بادر الروس إلى تهيئة حفيظ الله امين ، برفعه إلى منصب رئاسة الوزارة ووزارة الدفاع ، الذي قام بقتل تراكي بتاريخ ١٤ / كانون الأول / ١٩٧٩م ، بعد معركة في قصر الشعب في كابل .

يعتبر امين دموياً عنيفاً ، والروس بطبيعة الحال يبحثون عن رجل

مناسب للوقوف بوجه الثورة الاسلامية ؛ لذلك فقد تسلم امين الرئاسة والوزارة في نفس اليوم الذي دفن فيه تراكي . وبدأ عهده بالاعتراف بأخطاء الماضي ، وقامت الاذاعة الافغانية بشرح فضائح تراكي واتهمته بالبعد عن روح الاسلام ، وبالرشوة وسوء الادارة .  
إلا إن الافغانيين كانوا حذرين ، فلم يصدقوا لا بالأول ولا بالثاني . يقول امين عن تراكي بعد قتله : «إن تراكي مسؤول عن قتل اثني عشر ألف بريء في شهر تشرين الثاني ١٩٧٩م» .

لقد كان امين في الحقيقة اشد دموية وقسوة من تراكي . يقول احد الكتاب الافغان : «إن تراكي وأميناً قتلوا في عشرين شهراً ٦٢ ألف شخص» ، ويقول تقرير رسمي : «إن الحكومة الافغانية قتلت في يوم واحد ٣٥٠٠ مجاهد رماً بالرصاص»<sup>(١)</sup> .

لقد كان امين جزءاً من الجهاز السياسي والتنفيذي لتراكي ، وشاركه في السلطة وفي استراتيجية العمل والفكر ، خصوصاً في مسألة فتح ابواب البلاد للتدخل العسكري الاجنبي ، وفي استعمال الاساليب الوحشية في مواجهة الثورة الاسلامية ، ولهذا فإن عهد امين لم يشهد تغييراً في هذه القضايا ، بل ازدادت وحشية .

وبغض النظر عما قيل عن علاقة حفيظ الله امين بالروس ، وأنهم غير راضين عن طريقته في القضاء على تراكي ، فإنه يجب ألا يغيب عن الالذهان أن المشكلة المركزية التي تواجه الروس هي مسألة استقرارهم في افغانستان ، والبحث في كل الامكانات والطرق للقضاء على الثورة الاسلامية هناك ، وهي المهمة التي ارتبط بها مصير ووجود امين على رأس السلطة .

تصاعدت الثورة ، ولم يكن بد من تغيير الوجوه والايدي المملوكة بالدماء البريئة . وامين مثل سابقه عاجز عن اداء المهمة ، خصوصاً بعد أن شاعت طريقة قتل تراكي ، واساليب التعذيب والإبادة لآلاف

(١) ناصر الدين شاه،  
افغانستان والغزو  
الشيوعي : ٧١ .

الابرياء من السجناء وابناء القرى والمدن الثائرة ، لذلك بادر الروس إلى تسلّم زمام المبادرة السياسية ، كما تسلّموا قبل ذلك زمام المبادرة العسكرية ، وذلك بإزاحة امين ، وبالسيطرة على مدينة كابل مساء يوم ٢٧ / كانون الاول / ١٩٧٩م ، وفي اليوم الثاني قتلوه مع بعض افراد عائلته وعدد من اتباعه ، ونصّبوا ببرك كارمل بدلاً منه ، وكان ببرك في حينها موجوداً في براغ ، واذاع كلمة مسجلة بصوته في براغ ، اتهم فيها اميناً بالاستبداد ، وبأنه عميل لواشنطن ، ووعد بتحقيق الديمقراطية والحرية للجميع .

والحقيقة أن ببرك لم يصل إلى العاصمة كابل إلا بعد ايام من الانقلاب العسكري ، الذي خططه ونفّذه الجيش الروسي . ومع الانقلاب الجديد دخل إلى أفغانستان خمسون الف جندي روسي جديد ، يضافون إلى خمسين ألفاً كانوا قد دخلوا قبل ذلك .

قال الروس عن حفيظ الله امين ، بعد أن استهلكوه ، وبعد أن قدّم لهم خدمات كبيرة ونفّذ لهم مهمات صعبة ، إنه كان عميلاً اميركياً ، علماً بأنهم قالوا قبل ذلك إن الجيش الروسي أتى إلى أفغانستان استجابة لطلب الحكومة الافغانية وحفيظ الله امين .

في ٢١ / شباط / ١٩٨٠م وقع اضراب عام في جميع انحاء أفغانستان ، حيث أغلقت المحلات والمدارس ، وسيطر المجاهدون على ٩٠٪ من الاراضي الافغانية ، وقد اعترفت الصحافة الروسية بالسيطرة القوية للمجاهدين .

ونتيجة لذلك نشبت معارك بين المجاهدين والجيش السوفياتي ، أدت إلى خسائر كبيرة ومتنوعة في كلا الطرفين ، فقد تجاوزت الخسائر البشرية الروسية ١٥ الف قتيل ، أما الجرحى فإنهم بلغوا ٥٠ ألفاً على اقل تقارير عام ١٩٨٢م ، أما الاضرار التي لحقت بأفغانستان وبشعبها فكانت ايضاً كبيرة جداً وشاملة ؛ لما يمتلكه الجيش



السوفيياتي من طاقات عسكرية تدميرية هائلة ، ونتيجة لذلك حدثت هجرة كبيرة للفلاحين من قراهم وحقولهم ، وتركوا بيوتهم التي هدمها الطيران السوفيياتي ، ولجأوا إلى المدن الكبرى . وقد بلغ النازحون إلى خارج أفغانستان خمسة ملايين ، منهم ثلاثة ملايين في باكستان ، ومليونين في الجمهورية الاسلامية الايرانية .

إن ثبات واصرار المجاهدين الافغانين أوقعا الحكومة السوفيياتية في مأزق سياسي واعلامي وعسكري ، أثبت عجز هذه الدولة الكبرى عن مواجهة شعب اعزل ، وكشف للرأي العام العالمي أن الاتحاد السوفيياتي لا يختلف عن اميركا في اضطهاد الشعوب .

بدت القوات السوفيياتية تتفسخ وتنهار تحت ضربات المجاهدين الافغانين ، ومن ساندتهم من مجاهدي البلدان الاسلامية الاخرى ، إلى أن وقّع القادة الروس اتفاقية جنيف للانسحاب من أفغانستان ، بالتنسيق مع باكستان والجمهورية الاسلامية الايرانية عام ١٩٨٩م .

وبعد طرد الروس من أفغانستان بدأ الصراع بين المجاهدين وحكومة نجيب الله الشيوعية ، واستمر هذا الصراع إلى أن تمكن المجاهدون الأفغانيون من السيطرة على العاصمة كابل ، واسقاط حكومة نجيب الله ، وذلك في ٢٤ / ٤ / ١٩٩٢م .

تولى المجاهدون الحكم حسب اتفاق بيشاور بين احزاب الجهاد ، وذلك بتنصيب صبغة الله مجدي رئيساً مؤقتاً مدة شهرين لحين اختيار رئيس للدولة .

إلا إن احداثاً ومعارك طاحنة وقعت بين قوات سياف وحزب الوحدة ، للسيطرة على بعض المواقع داخل العاصمة كابل في نهاية ولاية صبغة الله مجدي .

في ٢٨ / ٦ / ١٩٩٢م تم انتخاب برهان الدين رباني رئيساً للدولة ، وهو اول رئيس اسلامي بعد التخلص من الحكم الشيوعي في

افغانستان ، كما عهد بدوره إلى زعيم الحزب الاسلامي حكمتيار برئاسة الوزراء .

والملاحظ أن المجاهدين لم يكونوا متفقين فيما بينهم ؛ بسبب تأثير السياسات الاستكبارية في المنطقة ، وطموح بعض الدول الاقليمية لتحقيق مصالحها الاقتصادية والسياسية في اطار المصلحة الاستكبارية ، مستثمرة في ذلك الاختلافات القومية في تشكيلات احزاب المجاهدين ، مما ادى إلى ظهور بعض هذه الخلافات على الساحة الافغانية ، وكان من اول هذه الخلافات ما ظهر بعد شهرين من تشكيل الحكومة الجديدة ، فقد قصف رئيس الوزراء حكمتيار العاصمة كابل بالمدفعية الثقيلة بحجة وجود قوات الجنرال دوستم فيها ، مما ادى هذا القصف إلى سقوط مئات القتلى والجرحى في صفوف السكان الابرياء ، وإلى خسائر مادية هائلة في الممتلكات ، مما دفع برهان الدين رباني إلى أن يعزل حكمتيار من منصب رئيس الوزراء .

وبعد عزل حكمتيار دخلت أفغانستان صراعاً جديداً ، ولكن هذه المرة بين الفصائل المجاهدة نفسها التي هزمت الاحتلال الشيوعي والحكم الشيوعي الموالي له .

استمرت هذه الصراعات بين الفصائل المجاهدة ، مما كبد أفغانستان خسائر مادية فادحة في الممتلكات الحكومية والاهلية ، اضافة إلى ازهاق الارواح البريئة من السكان ، ومن ثم أدت هذه الصراعات إلى اضعاف اجنحة المجاهدين بدون استثناء .

كما أن هذه المعارك الطاحنة بين الفصائل المجاهدة ، ولدت شعوراً بالاشمئزاز لدى المسلمين الأفغانيين بشكل خاص ، والمحيط الدولي بشكل عام ، حيث أوحى بأن مجاهدي الامس اصبحوا يهرولون اليوم وراء السلطة والجاه .

### ظهور حركة طالبان في ولاية قندهار

منذ ظهور هذه الحركة بتاريخ ١٣ / ١١ / ١٩٩٤م على الساحة الافغانية ، وتسلمها للحكم في أفغانستان ، لازالت موضع تساؤل ومحاولة فهم المتابعين والمراقبين للشأن الافغاني ؛ فقد كان يتوزع قيادة الأفغانيين مجموعة من الحركات السياسية لم يكن من بينها حركة الطالبان ، ولم تكن هذه الحركة موجودة اصلاً قبل عام ١٩٩٤م، فكيف تفوقت على حركات المقاومة العريقة القوية التي قادت الشعب الافغاني طوال عشرين سنة ، واستطاعت أن تهزم الحكومة الشيوعية ؟ وقد سقطت جميعها وتهاوت امام هذه الحركة الناشئة التي تكوّنت بسرعة واستطاعت أن تنتزع المدن والمواقع المهمة والاستراتيجية وتسيطر على أفغانستان ، فما هذه الحركة ، وكيف استطاعت أن تحقق ما وصلت إليه اليوم ؟ .

ظهر اسم حركة طالبان للعالم أول مرة في وسائل الاعلام في تشرين الثاني ١٩٩٤م ، وهي تعني الطلاب أو التلاميذ ، وكانوا من طلبة المدارس الدينية ، الذين تشكلت الحركة بينهم ، وكانت مناسبة الاعلان هذا عندما انقذت المجموعة التي تسمت بطالبان ، قافلة امدادات باكستانية لسكان ولايتي هيرات وقندهار في جنوب افغانستان .

واستطاعت بعد اقل من سنتين من هذا التاريخ أن تحتل مدينة كابل ، بعد حروب طاحنة مع قوات الحزب الاسلامي بقيادة حكمتيار ، وحروب اخرى مع قوات الجمعية الاسلامية بقيادة رباني ، والقوات الاسلامية الشيعية الافغانية .

وبعد احتلالها لكابل في ٢١ / ٩ / ١٩٩٦م ، اعدمت آخر رئيس شيوعي لأفغانستان نجيب الله ، الذي كان مقيماً في كابل بحماية قوات الامم المتحدة ، واعلنت قيام حكومة افغانية جديدة يرأسها الملا

محمد عمر رئيس الحركة .

ربما يكون اهم مدخل لفهم ودراسة حركة طالبان هو تتبع النشاط العلمي الديني في أفغانستان ، والمنتشر في القارة الهندية ايضاً . فالنشاط الديني في القارة الهندية تديره مؤسسات اهلية مستقلة، على غرار الحوزات العلمية الاسلامية الشيعية في العراق والجمهورية الاسلامية الايرانية ، حيث تنظم هذه المؤسسات جامعات ومدارس مستقلة في ادارتها وتمويلها وسياساتها ، وتسمى المدارس الديوبندية - نسبة الى ديوبند شمال دلهي - حيث انشأ مجموعة من العلماء عام ١٨٦٧م مدرسة هناك لخدمة العلوم الدينية ، ثم انبثق عنها مؤسسات اخرى تزيد اليوم عن عشرة آلاف مدرسة ، تدرس العلوم الشرعية وفق منهج وضعه الشيخ نظام الدين بن قطب السهالوي، يتكون من التفسير ، وعلوم القرآن ، والسنة ، والفقه ، واللغة العربية ، والمنطق ، والادب الفارسي ، والفلسفة ، وفق ترتيب يوازي التعليم النظامي المعروف في المدارس والجامعات . ولازالت هذه المدارس تتبع نفس المنهاج وطريقة التعليم منذ القرن السابع عشر الميلادي ، من دون تغيير كبير يذكر ، ويحافظ طلابها وأساتذتها على زي خاص مميز لهم ، بل إن هذه المدارس لازالت تدرس حتى اليوم كتباً في الرياضيات والفلك والهندسة وضعها العلماء قبل القرن السابع عشر الميلادي بسنوات كثيرة ، ولازالت طريقة التعليم تقليدية كما كانت في العصور الوسطى .

وكان لخريجي هذه المدارس الذين يسمون مولوية تأثير كبير في الحياة العامة ، وفي عقول الناس وآرائهم ، لم تلغ حركة التقدم والانفتاح على العالم ونشوء الدول الحديثة .

وهم في باكستان ينتظمون في حركات سياسية حسب اتجاهاتهم ومواقفهم ، مثل حركة علماء الاسلام التي يرأسها مولوي فضل

الرحمن ، وجمعية علماء باكستان والذين يمثلون مجموعة العمل الديني المستمد من الحركة البريلوية المنافسة للمدرسة الديوبندية . وفي أفغانستان تراجع تأثير المولوية بسبب تقدم الحركة الاسلامية الافغانية ، ونشوء المقاومة المسلحة للحكم الشيوعي والاتحاد السوفياتي المساند له ، واستولت على الواجهة السياسية والشعبية حركات المقاومة الاسلامية ، المستمدة من فكر ومنهج الاخوان المسلمين ، مثل الحزب الاسلامي بقيادة حكمتيار ، والجمعية الاسلامية بقيادة رباني ، والاتحاد الاسلامي بقيادة سيف ، غير أن المولوية ايضاً انشأوا حركات سياسية وعسكرية قوية وفاعلة ، مثل الحزب الاسلامي بقيادة مولوي يونس خالص ، والانقلاب الاسلامي بقيادة مولوي محمد نبي ، ونشأت حركات وطنية صوفية يقودها شيوخ الصوفية ، مثل محاذ بقيادة الشيخ سيد الجيلاني شيخ الطريقة الجيلانية ، وصهر الملك ظاهر شاه آخر ملوك أفغانستان ، والجهة الوطنية بقيادة الشيخ صبغة الله مجدي .

ومن الاحزاب الاسلامية الشيعية في أفغانستان ، حزب الوحدة الاسلامية بقيادة الشهيد مزاری ، وهو عالم ديني واع أسره الطالبان ثم عذبه وقتلوه بعد احتلالهم العاصمة كابل . أما اهم المؤسسات العلمية في باكستان والهند ، فهي دار العلوم الحقانية التي أسسها في اقليم الحدود المجاور لأفغانستان الشيخ عبد الحق عام ١٩٦٤م ، وقد خرّجت هذه المدرسة معظم قادة وعلماء أفغانستان ، مثل جلال الدين حقاني ، وكذلك دار العلوم في كراتشي التي اسسها الشيخ محمد شفيع المفتي الاعظم في باكستان عام ١٩٥٢م ، والجامعة الاشرفية ، والجامعة الفاروقية . ويدير شؤون هذه المؤسسات علماء وقادة سياسيون واجتماعيون ، يؤيدون جميعاً حركة طالبان في أفغانستان ويرعونها .

ويُعتقد أن إعادة تنظيم طلاب واساتذة هذه المدارس من الأفغانيين في حركة سياسية ، عملية أشرف عليها زعماء دين باكستانيون ، مع مسؤولين باكستانيين في وزارة الداخلية واجهزة الامن . وكان قادة الحركات الدينية في باكستان ونواب وسياسيون ، مثل فضل الرحمن وسميع الحق وغيرهما ، قد اعلنوا تأييدهم لهذه الحركة ، وعملوا مع الحكومة الباكستانية ما يلزم لدعمها وتنسيق أنشطتها العسكرية والاعلامية ، وبدأت باكستان تحوّل مساعداتها وتسهيلاتهما من حركات المجاهدين إلى هذه الحركة الجديدة الناشئة<sup>(٢)</sup>.

(٢) مجلة الدعوة، العدد ٧٨  
٢٨:

شهدت أفغانستان في الفترة التي اعقبت سقوط كابل ، بيد احمد شاه مسعود أحد قادة الجمعية الاسلامية ، حروباً طاحنة بين الجمعية والحزب الاسلامي ، وحروباً أخرى بين قوات احمد شاه ودوستم القائد الاوزبكي ، وحروباً أخرى بين حزب الاتحاد والمسلمين الشيعة، ادت جميعها إلى إضعاف الاحزاب وتراجع تأثيرها بين الناس وانهايار مصداقيتها .

وقد صعب هذه الحروب الاهلية انعدام الامن وانتشار الفوضى والفساد ، ونشوء إقطاعيات صغيرة جديدة حول القادة والضباط الميدانيين ، قائمة على السلب والنهب وتعاطي المخدرات ، وسيطر كثير من قادة المجاهدين على موارد البلد ومقدراته لمصالحهم الشخصية ، مما أدى إلى حالة الاستياء والتذمر في اوساط الشعب الافغاني المسلم .

وقد سلكت حكومة رباني اثناء توليها قيادة أفغانستان سلوكاً متحفظاً من باكستان ، تطور إلى عداوة بينهما فيما بعد ، حيث أحرقت السفارة الباكستانية في ٦ / ٩ / ١٩٩٥م ، واتهمت باكستان الحكومة الافغانية بالتواطؤ على هذه العملية . ولم يستطع حليف باكستان قلب

الدين حكمتيار أن يطيح بحكومة رباني ، بل إن قواته لقيت هزائم مريرة وتراجعت من معظم مواقعها التقليدية .

في هذه الاجواء تجمع مولوية أفغانستان بتنسيق مع علماء باكستان ، ودعم حكومي من اعلى المستويات ، وتحرك ٥٣ طالباً في مدرسة سنج سار في قندهار ، ونزعوا السلاح من مجموعات المجاهدين ، وازالوا نقاط التفتيش . وتوالى بعد هذه الحادثة تجمعات طلاب المدارس الدينية بملابسهم المميزة ، وهم يقتحمون مراكز الحكم والتفتيش والجمارك ، واستولت على اسلحة المجاهدين والطرق ووسائل المواصلات في ولاية قندهار ، وزحفت إلى الولايات المجاورة : هلمند ، وزابل ، وأرزجان ، حتى أصبحت ولايات الجنوب والجنوب الغربي من أفغانستان بأيديهم بعد اقل من سنة ، أي في صيف عام ١٩٩٥م ، وهي مناطق البشتون الذين يشكلون تقريباً نصف سكان أفغانستان .

وفي ٢١ / ٢ / ١٩٩٥م طالب فضل الرحمن - رئيس جمعية علماء الاسلام في باكستان ورئيس لجنة الشؤون الخارجية في البرلمان الباكستاني - رئيس أفغانستان برهان الدين رباني بتسليم الحكم إلى طالبان .

وبعد هزائم قوات حكمتيار التي يرتاب البعض فيها ، ويميل إلى أنها كانت عملية تسليم باتفاق بين حكمتيار وقيادة طالبان ، وتنسيق باكستاني ، حيث لا يُعقل أن تُهزم قوات الحزب الهائلة والمسلحة جيداً والمدرّبة تدريباً عالياً ، على يد مجموعة من أغرار غير مدربين ولا مسلّحين ، ولا يمتلكون خبرة تُذكر إلى جانب خبرة قوات الحزب ورجالاته ، بعد تلك الهزائم اندلعت حرب شرسة وحقيقية هذه المرة بين طالبان من جهة ، وقوات المسلمين الشيعة من جهة اخرى ، قتل فيها رئيس حزب الوحدة الاسلامية عبد العلي المزارى ، ثم بدأت

حروب طاحنة مع قوات احمد شاه مسعود ، وكان فضل الرحمن في هذه الاثناء موجوداً في كابل ، وقد برّر وجوده بأنه كان من اجل اجراء مصالحة بين طالبان والحكومة الأفغانية . ويُعتقد أنه كان موجوداً هناك من اجل قيادة وتوجيه تحركات طالبان ، بعد أن بدأت تواجه تحديات حقيقية ، ولم تعد مهمتها سهلة كما كانت اثناء المواجهة مع حكمتيار وقواته .

ومع نهاية عام ١٩٩٥م ، كانت قوات طالبان تحاصر مدينة كابل ، وقد وجهت ضربات قوية للحكومة الأفغانية ، باستيلائها على ولايات غير بشتونية مثل هيرات ونيمروز وفراه ، وهي ولايات حدودية مع الجمهورية الاسلامية الايرانية ، والدول المستقلة عن الاتحاد السوفياتي السابق .

أعلن اتباع الحركة عن انفسهم في ٣ / ٤ / ١٩٩٦م ، بأنهم حركة سياسية ، في مؤتمر ضم ١٥٠٠ شخص من قادتهم ورجالهم ، ببيع فيه ملا محمد عمر حاكماً لأفغانستان ولقب بأمر المؤمنين . ولم يكن محمد عمر هذا قبل هذا التاريخ شخصية معروفة .

وواصلت الحركة في صيف عام ١٩٩٦م سيطرتها على الولايات والمواقع البشتونية ، التي كان يسيطر عليها حكمتيار في غزني ، وبكتيا وبكتيكا والوچر وجلال آباد وننجرهار وكونر . ومع نهاية عام ١٩٩٦م لم يكن خارج سيطرة طالبان سوى الولايات الشمالية ، التي يسيطر عليها الطاجيك بقيادة احمد شاه مسعود ورباني ، والأوزبك بقيادة دوستم .

في ٢٧ / ٩ / ١٩٩٦م سقطت كابل بيد طالبان ، وأعدم فوراً الرئيس الشيوعي السابق نجيب الله ، بعد ست سنوات من اقالته وبقائه في كابل بحماية قوات الامم المتحدة ، وسقطت ايضاً قاعدة بجرام الجوية ، وهي اهم موقع عسكري في أفغانستان .



واعترف بحكومة طالبان كل من باكستان في ٢٥ / ٥ / ١٩٩٧ م ،  
والسعودية في ٢٦ / ٥ / ١٩٩٧ م ، والامارات العربية المتحدة في ٢٨ /  
٥ / ١٩٩٧ م ، ولم تستطع طالبان التقدم اكثر منذ نهاية عام ١٩٩٦ م .  
في ٢٣ / ٥ / ١٩٩٧ م تحالف الجنرال عبد الملك الاوزبكي - بعد  
انشقاقه عن دوستم - مع طالبان ، وادى هذا التحالف إلى السيطرة  
على مزار شريف . إلا إن هذا التحالف سرعان ما انهار بين عبد الملك  
وطالبان ، وحدث بينهما معارك طاحنة بتاريخ ٣٠ / ٥ / ١٩٩٧ م ، ادت  
إلى تراجع طالبان إلى نحو اربعين كيلومتراً عن مدينة مزار شريف ،  
بعد وقوع الآلاف منهم في الاسر ، ومن بينهم ملا محمد غوث وزير  
خارجية حكومة طالبان ، وملا محمد عبد الرزاق حاكم المناطق  
الشمالية المعين من قبل طالبان ، وملا عبيد الله وزير الدفاع ، وملا  
إحسان الله رئيس البنك المركزي .

يسمي طالبان انفسهم بالحركة الاسلامية لطلبة المدارس الدينية ،  
وقدموا انفسهم إلى الرأي العام والشعب الأفغاني على أنهم يهدفون  
إلى استعادة الامن والاستقرار ، ثم تطورت اهدافهم إلى تسلّم حكم  
أفغانستان وإدارتها ، ولا تنتظمهم حركة منظمة أو هياكل ولوائح  
تنظيمية ، ويقودون أفغانستان عبر مجالس يسمونها مجالس العلماء  
والمولوية . ومعظم قيادات الحركة من ولاية قندهار في جنوب  
أفغانستان .

وشكّل مجلس الوزراء في صيف ١٩٩٧ م من مجموعة من  
المولوية الشباب المغمورين ، وجميعهم من خريجي المدارس الدينية  
في باكستان .

وقد يكون مفيداً في تحليل الوضع الأفغاني وتفسير الاحداث  
الجارية ، ملاحظة أنه قد حكم أفغانستان منذ قيام دولتها عام ١٧٤٧ م  
ثلاثون حاكماً ، كانت نهاية ثلاثة وعشرين منهم على الاقل القتل أو

العزل ؛ بسبب حروب وصراعات معظمها داخلية ، وبعضها خارجية ، كما أن الشعب الأفغاني يتكون من أكثر من عشرين شعباً ، لكل شعب منهم لغته وثقافته الخاصة به ، ومن هذه الشعوب البشتون ، والطاجيك ، والاوزبك ، والبلوش ، والهزارة ، والفرس ، والايماق ، والغزل باش ، والمغول ، والتركمان ، والبامير ، والفرغيز ، والنورستان ، والكوهستان ، والكوجار ، والجات ، والهنود ، والسيخ ، واليهود ، وهي شعوب على درجة كبيرة من الاختلاف الثقافي والتاريخي والمذهبي ، كما أنها تشكل امتدادات لشعوب ودول خارجية محيطة بأفغانستان ، هي الجمهورية الاسلامية في ايران ، وباكستان ، وطاجيكستان ، واوزبكستان ، وتركمناستان ، وقرغيزستان ، وتركستان ، وقازاخستان .

ومن الخلفيات المهمة التي تشكّل الاحداث في أفغانستان وتحكمها ، مشروعات انايبب الغاز والبتروال التي تمر جميعها عن طريق دول آسيا الوسطى بأفغانستان ، حتى تصل إلى موانئ الهند وباكستان ، وهي مشروعات تزيد قيمتها عن مئة مليار دولار ، وتنفذها شركات دولية عملاقة ، مثل يونوكال ميتسوبيشي ، وأكسون ، ودلتا ، وتيفكس ، ويرايديس ، وترعاها دول مهمة ومؤثرة ، كالولايات المتحدة الاميركية ، واليابان ، والصين ، وتركيا ، والسعودية ، والهند ، وباكستان<sup>(٢)</sup> .

(٢) م . ن .

ومن الواضح أن الولايات المتحدة وباكستان تؤيدان حركة طالبان ، في حين تعارضها الجمهورية الاسلامية الايرانية ؛ لأنها تحولت إلى اداة بيد الولايات المتحدة وحلفائها الاقليميين في المنطقة . وتدعم ايران في هذه المعارضة روسيا وبعض دول آسيا الوسطى . ويعتقد الكثير من الخبراء أن طالبان تمثل مرحلة انتقالية في أفغانستان ، ضمن محاولة للقضاء على الحركات الاسلامية ، وأنها

ستخرج من الحكم بانتهاء هذه المهمة ؛ لتخلي المجال لحكومة عميلة قد تكون من العائلة الحاكمة في أفغانستان ، التي كان آخر ملوكها ظاهر شاه ، وهي عائلة من قندهار حكمت أفغانستان من عام ١٧٤٧ م إلى عام ١٩٧٧ م .

ولا ريب أن حركة طالبان تمتلك مبررات انتهائها وانهارها ؛ فهي بلا خبرة أو تجربة سابقة ، وقد وقعت في اخطاء سياسية وادارية كثيرة جداً . وإذا تخلت عنها باكستان فإنها ستعود كما بدأت حركة بدائية محدودة وعاجزة ، وقد تعصف بها خلافات قبلية وسياسية ، بسبب أن معظم قياداتها من ولاية قندهار ، ومن قبيلتين متنافستين تاريخياً هما غلزائي وابدالي ، كما أن الصراع القبلي والقومي التاريخي في أفغانستان يمكن أن يمتد إليها ويشملها ، وتكون بذلك قد مهدت الطريق لعودة ظاهر شاه أو احد افراد عائلته .

قال أمير المؤمنين (ع) :

اتَّقُوا اللَّهَ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ ، فَإِنَّكُمْ  
مَسْئُولُونَ عَنْهُ عَنِ الْبَقَاعِ وَالْبَهَائِمِ ،  
وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَلَا تَعْصُوهُ

شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ٧ : ٣٠٤

## تقرير

~~~~~

مكتب

رئيس رابطة الأفاضل  
والعلاقات الإسلاميةتقرير  
وتوصياتالدورة الثانية عشرة للجنة تنسيق  
عمل الإسلامي المشترك للجنة الإسلامية الإيرانية

تنفيذاً للقرارات الصادرة عن مؤتمرات القمة الإسلامية  
والمؤتمرات الإسلامية لوزراء الخارجية ، التي تدعو كافة  
المنظمات والمؤسسات الإسلامية إلى التعاون مع لجنة تنسيق العمل  
الإسلامي المشترك ، في مجال الدعوة المنبثقة عن منظمة المؤتمر  
الإسلامي ، وبناء على الدعوة الكريمة الموجهة من سماحة حجة  
الإسلام والمسلمين الشيخ محمد علي التسخيري ، رئيس رابطة  
الثقافة والعلاقات الإسلامية في طهران ، لاستضافة الدورة الثانية  
عشرة للجنة تنسيق العمل الإسلامي المشترك في مجال الدعوة ، فقد  
عقدت الدورة في مدينة طهران عاصمة الجمهورية الإسلامية الإيرانية  
برعاية كريمة من رئيس الجمهورية الإسلامية الإيرانية السيد محمد



الخاتمي ، خلال الفترة من ٢٧ - ٢٩ / المحرم الحرام / ١٤١٩ هـ ،  
الموافق ٢٣ - ٢٥ / مايس / ١٩٩٨ م .

شارك في هذه الدورة ممثلون عن الهيئات والمنظمات الاسلامية  
الأعضاء في لجنة تنسيق العمل الاسلامي المشترك في مجال الدعوة .  
افتتحت أعمال الدورة بتلاوة مباركة من آي الذكر الحكيم ، ثم  
ألقى معالي الدكتور عطاء الله المهاجراني ، وزير الثقافة والارشاد  
الاسلامي كلمة حجة الاسلام والمسلمين السيد محمد الخاتمي ،  
رئيس الجمهورية الاسلامية الايرانية ورئيس منظمة المؤتمر  
الاسلامي ، حيث ركز فيها على دور الإعلام في المجتمع الدولي  
المعاصر ، وطالب بالاستفادة من رؤى المفكرين والعلماء المسلمين  
في تطوير الإعلام الاسلامي ؛ حتى يؤدي دوره في صياغة مستقبل  
أفضل للأمة الاسلامية ، وطالب بتقويم الوضع العالمي وبخاصة في  
النواحي الاقتصادية والثقافية ، حيث سخرته الوسائل الإعلامية  
الحديثة لتحقيق أغراض القوى الدولية ، ودعا سماحته لالتقاء العلم  
والثقافة والفن والكفاءة والإبداع للاستفادة من المعلومات الصحيحة  
في نشر الرسالة الإعلامية الاسلامية ، وطالب بضرورة التحرر من  
سيطرة الإنتاج الإعلامي الخارجي بتشجيع الإنتاج الإعلامي  
الاسلامي في شتى المجالات ، وأشار إلى ضوابط ومميزات الإعلام  
الاسلامي الذي يجب أن يتسم بالبساطة والتواضع والوضوح  
والهدوء والدعوة للخير والهداية للبشرية جمعاء ، وقال إن الإعلام  
الاسلامي لا ينفصل عن الدعوة الاسلامية وتبليغ كلمة الله بالحكمة  
والموعظة الحسنة ، ويجب أن يتميز بأسلوب الدعوة إلى الله وما  
يتصف به من القيم الاسلامي والمبادئ السامية ، وقال إن تبليغ كلمة  
الله يتطلب التواصل مع الآخرين وقبول الرأي الآخر ، كما يجب أن  
يكون الحوار هادئاً سواء كان بين الحضارات أو الديانات أو بين

المذاهب داخل العالم الاسلامي .

ثم تحدث الدكتور عز الدين العراقي ، الأمين العام لمنظمة المؤتمر الاسلامي ، فأشار إلى مؤتمر القمة الاسلامي الثامن وما اصدره من قرارات ينبغي متابعتها من خلال عمل إسلامي جماعي ، وأكد أن اجتماع لجنة تنسيق العمل الاسلامي المشترك في مجال الدعوة بعد استهلالاً طيباً لها ، وأشاد بالدور الذي تؤديه المنظمات والهيئات الاسلامية الأعضاء في اللجنة والتطور الهام الذي طرأ على نشاطاتها فاصبحت تقوم بإنشاء المؤسسات التعليمية والتربوية والصحية والمراكز الثقافية ، وأكد على حرص مؤتمرات القمة الاسلامية على دعم هذه النشاطات ، كما أشار إلى استراتيجية العمل الاسلامي المشترك التي أعدتها لجنة تنسيق العمل الاسلامي المشترك في مجال الدعوة ، وأقرتها مؤتمرات وزراء الخارجية ودعت لإدراجها ضمن السياسات الوطنية للدول الأعضاء ، كما أشار إلى جهود لجنة الخبراء التي عكفت على اعداد الدراسات والبحوث لتحديد أوجه التحديات التي تستهدف الأمة الاسلامية وسبل مواجهتها .

ثم تحدث الدكتور محمد أحمد الشريف ، أمين جمعية الدعوة الاسلامية العالمية بطرابلس ، رئيس الدورة الحادية عشر للجنة ، فأوضح المنجزات التي تمت خلال الدورة الماضية ، ومنها وضع آلية تنفيذ استراتيجية العمل الاسلامية المشترك في مجال الدعوة بعد دراسات معمقة ، وذلك لدراسة التحديات التي تواجه الأمة الاسلامية في القرن الحادي والعشرين وكيفية مواجهتها ، وأوضح أن الدعوة سبيل للتعارف بين الشعوب على أساس من قيم التسامح والتعايش والفهم الصحيح للإسلام .

كما ألقى الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي ، وزير الشؤون الاسلامية والأوقاف والدعوة والارشاد بالمملكة العربية السعودية

كلمة الوفود المشاركة ، حيث قدم الشكر للجمهورية الاسلامية الايرانية قائداً ورئيساً وحكومة وشعباً ، كما قدم الشكر لمنظمة المؤتمر الاسلامية وأمينها العام الدكتور عز الدين العراقي ، للجهود الكريمة التي بذلت لعقد هذه الدورة الهامة . وأوضح الدكتور التركي الأهمية القصوى للتنسيق باعتباره واجباً إسلامياً يتضمن التعاون والتكافل بين شعوب الأمة الاسلامية ، ودعا إلى ضرورة التنسيق وتضافر جهود المنظمات والهيئات وحثها على الاهتمام بمشكلات الأقليات الاسلامية .

وتحدث الأستاذ أحمد الصيفي نيابة عن الأقليات الاسلامية ، فأشار إلى مشكلات تلك الأقليات الاسلامية وخصوصاً في أميركا اللاتينية ، وأوضح طبيعة الأخطار التي تهدد الأقليات الاسلامية ، ودعا إلى حسن تأهيل الدعاة حتى يؤديوا الدور المناط بهم على أكمل وجه . ثم ألقى كلمة الختام سماحة حجة الاسلام والمسلمين الشيخ محمد علي التسخيري ، رئيس رابطة الثقافة والعلاقات الاسلامية في الجمهورية الاسلامية الايرانية ، فأشاد بدور منظمة المؤتمر الاسلامي في توثيق الصلة وتحقيق الانسجام بين المؤسسات الرسمية والهيئات الشعبية في العمل الاسلامي العام ، وأشار إلى الدور الهام الذي تقوم به المنظمة في المجال الثقافي ، ومنها انشاء مجمع الفقه الاسلامي ومنظمة الأيسيسكو والاريسكو ، واخيراً أكد سماحته على أهمية لجنة تنسيق العمل الاسلامي المشترك في مجال الدعوة والثقافة ، وأوضح ما قامت به الأمم المتحدة من الاستفادة من نشاطات الهيئات والجمعيات غير الحكومية ، ولا سيما في مجالات السكان والتنمية والصحة وحقوق الإنسان والمرأة ، وقدم الشكر للحاضرين .

ثم رفعت الجلسة الافتتاحية لتعود للانعقاد في الفترة المسائية

لانتخاب رئيس الدورة الثانية عشرة للجنة تنسيق العمل الاسلامي المشترك ، حيث تم انتخاب سماحة حجة الاسلام والمسلمين الشيخ محمد علي التسخيري رئيساً للدورة الثانية عشرة للجنة تنسيق العمل الاسلامي المشترك في مجال الدعوة بالإجماع .

وبعد ذلك تحدث السفير الدكتور الهادي حنيش ، المفوض العام والمشرف على الدعوة بمنظمة المؤتمر الاسلامي ، حيث قام بعرض تقرير الأمين العام .

كما قام الأستاذ ابراهيم الربو ، مدير المؤتمرات والمنظمات الدولية في جمعية الدعوة الاسلامية العالمية بطرابلس ، بعرض تقرير لجنة الخبراء المكلفة ببحث واستقصاء أوجه التحديات التي تواجه العالم الاسلامي في القرن الحادي والعشرين وكيفية مواجهتها .  
ثم ألقى سماحة حجة الاسلام والمسلمين واعظ زادة الخراساني ، الأمين العام للمجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الاسلامية ، كلمة أشار فيها إلى ضرورة التركيز على الأصول المشتركة المستمدة من الكتاب والسنة .

#### جلسات العمل

عقدت جلسة العمل الأولى صباح يوم الأحد ٢٤ / مايس / ١٩٩٨م برئاسة الدكتور عبدالله بن صالح بن العبيد ، الأمين العام لرابطة العالم الاسلامي ، حيث قدم الأستاذ كامل الشريف ، الأمين العام للمجلس الاسلامي العالمي للدعوة والإغاثة ، دراسة بعنوان (الإعلام والاتصالات في استراتيجية الدعوة الاسلامية) أكد فيها على أهمية المعلومات في عصرنا الحاضر ، وأنه بدون معلومات صحيحة لا يوجد تخطيط سليم ولا يتحقق عمل مفيد ، وأن الثقافة الاسلامية مستهدفة في حد ذاتها ، وأن هناك أدلة على وجود خطة شاملة تهدف



إلى تطويق اليقظة الاسلامية واجهاضها ، حيث يبدو في هذا التخطيط التحالف الصليبي الصهيوني ، كما امتدح استراتيجية العمل الاسلامي المشترك الذي يغلق فجوة مفتعلة بين العمل الرسمي والشعبي ، ثم حدد مجالات الاتصال والاعلام التي تركز على ثلاثة محاور : الأول : تجميع المعلومات وتصنيفها ، والثاني : تبادل المعلومات بين المؤسسات والمنظمات الأعضاء ، والثالث الإفادة العملية من المعلومات .

ترأس جلسة العمل الثانية الدكتور محمد أحمد الشريف ، أمين جمعية الدعوة الاسلامية العالمية في طرابلس ، حيث قدم سماعة حجة الاسلام والمسلمين الشيخ محمد علي التسخيري ، رئيس رابطة الثقافة والعلاقات الاسلامية في الجمهورية الاسلامية الايرانية ، دراسة بعنوان (مدى الحاجة إلى تشجيع الأنشطة المشتركة وتبادل الخبرات والتركيز على الجوانب التي تعين الداعية في أعمال الدعوة ، وذلك منعاً للازدواجية في العمل الاسلامي) أشار فيها إلى أن المجال الاعلامي الدعوي يعد من أهم المجالات الثقافية ؛ نظراً للخصيصة الاعلامية التبليغية للعمل الاسلامي ، باعتبار الاسلام ديناً للعالم كله يبني الحياة كلها وفق منهجه ؛ ولذا كان على كل مسلم أن يدعو ويبلغ ، ومن الطبيعي أن يكون هناك متخصصون للدعوة الاسلامية ، وركز سماحته على العوامل التي تفرض علينا النشاط الدعوي المشترك ، ثم الموانع التي قد نصطدم بها في هذا المجال ، وفي ختام كلمته اقترح سماحته أساليب التنسيق المطلوب .

ثم ترأس جلسة العمل الثالثة الدكتور عبدالله بن عبد المحسن التركي ، وزير الشؤون الاسلامية والأوقاف والدعوة والارشاد بالمملكة العربية السعودية ، حيث قدم الدكتور مانع بن حماد الجهني ، الأمين العام للندوة العالمية للشباب الاسلامي في الرياض ، دراسة

بعنوان (حقوق الجماعات والأقليات المسلمة في الدول غير الأعضاء بمنظمة المؤتمر الاسلامي : الواقع والمستقبل) تناولت الحقوق المشروعة للأقليات المسلمة في ضوء المواثيق الدولية ، ودور منظمة المؤتمر الاسلامي في دعمها ، كما تناولت الدراسة تقييم الأوضاع الراهنة وعرض نظرة مستقبلية تعتمد على المعلومات الصحيحة والأكيدة عن تلك الأقليات وتوزيعها ، وأوضح الباحث أن العدد الإجمالي للأقليات الاسلامية يبلغ نحو ٤٥٠ مليون مسلم موزعين على مناطق العالم المختلفة ، أي أنها تمثل أكثر من ثلث عدد المسلمين في العالم .

ثم ترأس جلسة العمل الرابعة المشير عبدالرحمن سوار الذهب ، حيث قدم الأستاذ ابراهيم الربو ، مدير إدارة المنظمات والهيئات الدولية في جمعية الدعوة الاسلامية العالمية في طرابلس ، دراسة حول التحديات التي تواجه الأمة الاسلامية في القرن الحادي والعشرين وكيفية مواجهتها ، أشار فيها سيادته إلى بعض التحديات التي تستهدف الاسلام ديناً وحضارة ، وتناول طبيعة بعض التحديات في ميادين الاقتصاد والثقافة والإعلام ، مركزاً على الدوافع والأساليب التي تنتهجها بعض التيارات الغربية في إساءة متعمدة إلى الاسلام وتشويه عقيدته ، وإظهاره كدين يدعم الإرهاب والتطرف ، واختتم ورقته بإبراز الاحتلال الصهيوني لفلسطين وتدنيسه للمسجد الأقصى ، باعتبار ذلك أحد التحديات الكبرى التي تواجه الأمة الاسلامية ، وبيّن خطورة المشروعات الاقتصادية والثقافية التي يروج لها العدو الصهيوني وتهدف إلى إزابة الهوية الاسلامية .

ترأس جلسة العمل الخامسة الدكتور عبدالرحمن السميح ، رئيس لجنة مسلمي إفريقيا في الكويت ، حيث قدم السفير صباح زنكنة بحثاً حول التنسيق في المحافل الدولية ، أشار فيه إلى ضرورة التنسيق

بين المؤسسات الاسلامية حتى لا يترك مكاناً شاغراً وأماكن أخرى متخمة بالحضور الدعوي أو الإغاثية ، وكذلك أوضح سيادته أهمية التنسيق في المؤتمرات والاجتماعات الدولية التي بدأت تأخذ طابعاً ملزماً يتخطى الحدود السياسية والجغرافية والاقتصادية والثقافية ، وتفرض أنماطاً جديدة من المفاهيم والسلوكيات على المجتمع الدولي ككل قد لا يمكن الخروج عليها ، واقترح لذلك عقد لقاءات بين المؤسسات الاسلامية قبل أي مؤتمر لبحث التنسيق في الموضوعات والمواقف ، وكذلك التنسيق في طريقة العمل وتقسيم المهام .

ترأس جلسة العمل السادسة سماعة حجة الاسلام والمسلمين الشيخ محمد علي التسخيري ، والتي خصصت لمناقشة مفتوحة حول النظام العالمي الجديد ودور الاعلام بأنواعه في عرض صورة الاسلام . وقد رغبت اللجنة إلى السيد الدكتور عطاء الله المهاجراني ، وزير الثقافة والارشاد الاسلامي بالجمهورية الاسلامية الايرانية ، أن ينقل الأفكار التي طرحت في هذه الدورة إلى كل من مؤتمري وزراء الثقافة وكذلك وزراء الإعلام لبلورتها في قرارات مدروسة .

وفي صبيحة يوم الإثنين ٢٥ / مايس تم عقد لقاء موسع بين وفود الدول المشاركة في الدورة الثانية عشرة للجنة مع قائد الثورة الاسلامية الإمام السيد علي الخامنئي ، حيث تحدث كل من الدكتور عز الدين العراقي ، الأمين العام لمنظمة المؤتمر الاسلامي ، والسيد المشير عبدالرحمن سوار الذهب ، فشكرا القائد على إتاحة هذه الفرصة الثمينة للاستماع إلى آراء سماحته القيمة ولتبادل الرأي ، ثم تحدث سماعة الإمام القائد حديثاً ودياً مفصلاً ركز فيه على النقاط التالية :

١ - حاجة البشرية الملحة إلى الاسلام في القرن الحادي والعشرين ؛ لأنه الدين الذي وضع منهاجاً كاملاً يخرج الناس من

الظلمات إلى النور بإذن ربهم .

٢ - اعتماد أسلوب الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة .

٣ - أن الحوار مع الغرب ينبغي أن يكون على أساس من التكافؤ والندية .

٤ - مطالبة الأمة الاسلامية بالتوحيد : ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون﴾ .

٥ - عمق التوجه الوجداني الاسلامي لدى الثورة الاسلامية منذ انبثاقها ، ونجاحها نظرياً وعملياً في هذا التوجه رغم كل محاولات أعداء الاسلام لإثارة النعرات الطائفية : من أجل خلق حاجز نفسي بين الدولة الاسلامية الايرانية وباقي الشعوب الاسلامية .

وقد تم بعد ذلك حوار صريح وأخوي بين الإمام القائد وأعضاء الوفود المشاركة حول مختلف قضايا الأمة الاسلامية كان له أطياف الأثر في نفوسهم .

وفي الجلسة الختامية استمعت اللجنة إلى الكلمة القيمة التي ألقاها الدكتور عطاء الله المهاجراني ، والتي تحدث فيها عن ضرورة إيجاد نظام للإعلام الاسلامي يعتمد الموضوعية والحكمة ، وقد فعل ذلك رسول الله محمد ﷺ ، حيث حول مجتمعاً جاهلياً إلى مجتمع مسلم ، وأشار إلى فقرة وردت في كتاب المؤرخ توينبي تلخص في أن الاسلام نائم وفي سبات ، وأن الاسلام لو استيقظ وانتفض المسلمون فماذا علينا في الغرب أن نفعل ؟ فالغرب يخشى من صحوة المسلمين . وأضاف معاليه أن الغرب اعتمد الفكر المؤثر والفن للتأثير في العالم الاسلامي ، وعلينا أن نأخذ الحكمة حيثما وجدناها ، وأننا في حاجة إلى أن نحول الإعلام إلى المبادئ العقلانية والحكمة ونتبع سنة الرسول الكريم في التبليغ ، فلو فعلنا ذلك لاستجاب عدد كبير من البشر لدعوة الاسلام .

كما تحدث الدكتور عز الدين العراقي ، الأمين العام لمنظمة المؤتمر الاسلامي ، عن أهمية تبليغ الدعوة الاسلامية بمحتواها الفكري والفلسفي ، ولكن أيضاً بمحتواها الاجتماعي والسلوكي ، وأن الاسلام ليس فقط أفكاراً ومبادئ ، ولكنه عمل ومعاملة وسلوك ، ولذلك ينبغي أن يترجم ذلك في مجتمعاتنا الاسلامية . علينا أن نقدم مجتمعاً إسلامياً كنموذج لهذه الافكار في الميدان السلوكي ، ويجب أن نحارب الجهل والفقر والتخلف الاقتصادي في المجتمعات الاسلامية لنقدم هذا النموذج أمام أصدقائنا وخصومنا . ومن جهة ثانية يجب أن يكون الإعلام مستنداً إلى قوة اقتصادية ليكون مؤثراً ، ومستنداً أيضاً إلى الجمال في تقديم هذه الفكرة ، وأنه يجب على نساءنا وشبابنا أن يكونوا مدعومين من ذواتهم ومن إيمانهم . يجب أن نصلح ذواتنا ونقدم للعالم نموذجاً يغبطنا عليه الآخرون : ﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ .

#### كلمات شكر

١ - اعربت اللجنة عن شكرها العميق لحكومة الجمهورية الاسلامية الايرانية لاستضافتها هذه الدورة على أرضها .  
٢ - اعربت اللجنة عن فائق تقديرها للدكتور عز الدين العراقي ، الأمين العام لمنظمة المؤتمر الاسلامي ، للجهود الموصولة التي يبذلها معاليه لدفع العمل الاسلامي المشترك نحو آفاق رحبة وواعدة للأمة الاسلامية .

٣ - قرر الاجتماع إرسال برقية شكر إلى سماحة حجة الاسلام والمسلمين السيد محمد الخاتمي ، رئيس الجمهورية الاسلامية الايرانية ، والرئيس الحالي لمنظمة المؤتمر الإسلامي ، على الدعم القيم الذي يقدمه إلى منظمة المؤتمر الاسلامي ، وحرصه الدؤوب على

تعزيز التضامن بين الدول الاسلامية والدفاع عن القضايا التي تهم العالم الاسلامي .

٤ - ثمن المجتمعون اللقاء الفكري الطيب الذي حظيت به الوفود مع الإمام القائد السيد علي الخامنئي وقرروا إرسال برقية شكر لسماحته .

٥ - قررت اللجنة اعتبار كلمة الإمام القائد السيد علي الخامنئي التي ألقاها أمام الوفود المشاركة ، وكذلك كلمة السيد رئيس الجمهورية الايرانية حجة الاسلام والمسلمين السيد محمد الخاتمي ، وثيقتين رسميتين من وثائق الدورة الثانية عشرة .

٦ - توجيه الشكر والتقدير للدكتور عطاء الله المهاجراني وزير الثقافة والارشاد الاسلامي ، وإلى سماحة حجة الاسلام والمسلمين الشيخ محمد علي التسخيري رئيس رابطة الثقافة والعلاقات الاسلامية ؛ لإسهامهما المشكور والمثمر في أعمال الدورة الثانية عشرة .

### توصيات اللجنة

في ضوء المناقشات والمداخلات وتبادل الرأي حول الموضوعات التي تم تدارسها توصلت اللجنة للتوصيات التالية :

١ - ضرورة العمل على تفعيل دور إدارة الاقليات والجاليات الاسلامية في الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الاسلامي ، لتمكينها من أداء دورها الهام في دعم الأقليات والجاليات الاسلامية .

٢ - إنشاء مركز معلومات ودراسات بالأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الاسلامي ، وحث الدول الأعضاء والمنظمات والمؤسسات المنتمية على الإسهام في التكاليف المادية لهذا المركز .

٣ - تشجيع المؤسسات والهيئات الأعضاء في لجنة تنسيق العمل الاسلامي المشترك على زيادة التنسيق فيما بينهم .

٤ - تفعيل دور المؤسسات والهيئات الأعضاء في إطار تنفيذ مقررات المنظمة .

٥ - دعوة رئيس لجنة العمل الاسلامي المشترك للقيام مع الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الاسلامي ، بالإتصالات اللازمة لتنسيق المواقف وتقسيم المهام بين المؤسسات والهيئات الأعضاء ، فيما يتعلق بالمؤتمرات والمحافل الدولية .

٦ - أوصت اللجنة المؤسسات المشرفة على موسوعات المعارف الاسلامية العامة والمتخصصة بالتنسيق فيما بينها وتبادل المعلومات والخبرات .

### قضية القدس الشريف وفلسطين

أكدت اللجنة دعمها الكامل للشعب الفلسطيني في كفاحه المشروع من أجل تنفيذ قرارات الشرعية الدولية ، ودعت إلى تضافر كافة الجهود من أجل عودة القدس الشريف إلى السيادة الفلسطينية عاصمة لدولة فلسطين ، وذلك لضمان السلم والأمن الدوليين في المنطقة والعالم .

### الحصار الظالم على شعب الجماهيرية الليبية

تقدر اللجنة العمل الذي تضطلع به منظمة المؤتمر الاسلامي بالتنسيق مع جامعة الدول العربية ومنظمة الوحدة الإفريقية ؛ من أجل رفع الحصار عن الشعب المسلم في الجماهيرية الليبية ، وترى اللجنة في قرار محكمة العدل الدولية الذي صدر مؤخراً مبرراً كافياً لرفع هذا الحصار .

### مشكلة جامو وكشمير

استنكرت اللجنة ما يتعرض له شعب جامو وكشمير من انتهاكات صارخة لحقوق الإنسان ، وطالبت الدول الأعضاء باتخاذ جميع الخطوات اللازمة لإقناع الهند بأن توقف على الفور تلك الانتهاكات ، وتمكين الشعب الكشميري من ممارسة حقه غير القابل للتصرف في تقرير المصير امتثالاً لقرارات الأمم المتحدة ذات الصلة .

### أفغانستان

أعربت اللجنة عن قلقها العميق إزاء استمرار النزاع في أفغانستان ، ودعت أطراف النزاع إلى حقن الدماء ووقف العمليات العسكرية ، وعدم اللجوء للعنف في تسوية النزاع فيما بينهم .

### كوسوفا

أكدت اللجنة رفضها القاطع للاستخدام العشوائي للقوات المسلحة ضد المدنيين في كوسوفا ، وطالبت بالتوقف الفوري عن مثل هذه الأعمال ، والانسحاب العاجل من المناطق المدنية .

### قرار

قررت لجنة تنسيق العمل الاسلامي المشترك أن يعقد اجتماع في مقر الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الاسلامي ، وذلك لغرض :

١ - تقويم مسيرة لجنة تنسيق العمل الاسلامي المشترك في مجال الدعوة منذ بدايتها إلى الآن ، وذلك من خلال دراسة القرارات والتوصيات الصادرة عنها وعن لجان الخبراء المنبثقة منها .

٢ - مراجعة نظامها وما صدر بشأنها من مؤتمرات القمة الاسلامية ومؤتمرات وزراء الخارجية ، وما قامت به من خطوات عملية ،



والعقبات التي واجهتها .

٣ - تقديم مقترحات عملية للجنة تنسيق العمل الاسلامي المشترك في مجال الدعوة ، من شأنها تذليل العقبات وتحديد آلية العمل ، ومجالات الاتصال مع الدول والهيئات الاسلامية ، مأخوذاً في الاعتبار ما استجد من تطورات ، وضرورة تطوير آليات العمل والمتابعة والتنفيذ ، وكذلك ضوابط العضوية والتقييم الدوري .

٤ - على الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الاسلامي تزويد أصحاب المعالي بملف اللجنة مكتملاً منذ نشأتها وإلى تاريخه ، لدراسة وتحضير آرائهم قبل وقت الاجتماع الذي يحدده معالي الأمين العام بالتشاور معهم .

٥ - دعوة أعضاء لجنة التنسيق إلى تقديم آرائهم واقتراحاتهم إلى لجنة المراجعة من خلال الأمانة العامة لمنظمة المؤتمر الاسلامي .

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ (ص) :

لَيْسَ مِنَّْا مَنْ دَعَا  
إِلَى عَصِيَّتِي

عن أبي داود : ح ٥١٢١

اهل البيت  
في روايات الصحابة

# روايات جابر بن عبد الله الأنصاري

(٢)

صادق السوداني

١٧ - عن جابر بن عبد الله قال : « قدم وفد نجران على النبي ﷺ العاقب والسيد ، فدعاهما إلى الاسلام فقالا : أسلمنا قبلك . قال ﷺ : كذبتما . إن شئتما أخبرتكما بما يمنعكما من الاسلام ، فقالا : هات أنبئنا . قال : حب الصليب ، وشرب الخمر ، وأكل لحم الخنزير ، فدعاهما إلى الملاعة فوعدها على أن يغادياه بالغداة ، فغدا رسول الله ﷺ فأخذ بيد علي وفاطمة وبيد الحسن والحسين ﷺ ، ثم أرسل إليهما فأبيا أن يجيبا فأقرا له بالخراج ، فقال النبي ﷺ : والذي بعثني بالحق لو فعلا لمطر الوادي نارا . قال جابر : فنزلت فيهم هذه الآية : ﴿ فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ﴾ <sup>(١)</sup> .

١٨ - عن جابر بن عبد الله قال : « جاء اعرابي إلى النبي ﷺ فقال : يا محمد ، اعرض علي الاسلام ، فقال ﷺ : تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله قال : تسألني عليه أجراً ؟ قال ﷺ :

(١) اسباب النزول : ٧٥ .

لا، إلا المودة في القربى قال قريبي أو قريبي؟ قال ﷺ: قريبي قال: هات أبيك، فعلى من لا يحبك ولا يحب قريبك لعنة الله، قال ﷺ: آمين» (٢).

(٢) حلية الاولياء ٣: ٢٠١.

١٩ - عن جابر بن عبد الله قال: «رأيت رسول الله ﷺ في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصوى يخطب، فسمعتة يقول: يا أيها الناس، إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا، كتاب الله، وعترتي أهل بيتي» (٣).

(٣) صحيح الترمذي ٢: ٣٠٨.

٢٠ - عن جابر بن عبد الله قال: «كان لآل رسول الله ﷺ خادمة تخدمهم يقال لها: بريرة، فلقبها رجل فقال لها: يا بريرة، غطي شعيفاتك (\*) فإن محمداً ﷺ لم يغني عنك من الله شيئاً قال: فأخبرت النبي ﷺ، فخرج يجر رداءه محمارة وجنتاه، وكنا معشر الانصار نعرف غضبه بجر رداءه وحمرة وجنتيه، فأخذنا السلاح ثم أتيناها فقلنا: يا رسول الله، مرنا بما شئت. والذي بعثك بالحق نبياً لو أمرتنا بآبائنا وامهاتنا واولادنا لمضينا لقولك فيهم؛ ثم صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال: من أنا؟ قلنا: أنت رسول الله. قال نعم، ولكن من أنا؟ قلنا: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف. قال ﷺ: أنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأول من ينفض التراب عن رأسه ولا فخر، وأول داخل في الجنة ولا فخر، وصاحب لواء الحمد ولا فخر، وفي ظل الرحمان يوم لا ظل إلا ظله ولا فخر، ما بال أقوام يزعمون أن رحمي لا تنفع؟ بل تنفع حتى تبلغ حكم وحاء (\*). وإني لأشفع فأشفع حتى إن من أشفع له ليشفع فيشفع، حتى إن إبليس ليتناول طمعاً في الشفاعة» (٤).

(\*) حكم وحاء: حيّان من اليمن.

(٤) دوائر العقبي: ٦.

٢١ - عن جابر بن عبد الله قال: «قال رسول الله ﷺ: لا يحبنا اهل البيت إلا مؤمن تقي، ولا يبغضنا إلا منافق شقي» (٥).

(٥) م. ن.

٢٢ - عن جابر بن عبد الله قال: «خطبنا رسول الله ﷺ فسمعتة وهو يقول: أيها الناس، من ابغضنا أهل البيت حشره الله يوم القيامة يهودياً،

فقلت : يا رسول الله ، وإن صام وصلني ، قال رسول الله ﷺ وإن صام وصلني وزعم أنه مسلم...» (٦) .

(٦) مجمع الزوائد ٩ : ١٧٢ .

٢٣ - عن جابر بن عبد الله قال : «لما توفي رسول الله ﷺ عزّتهم الملائكة ، يسمعون الحس ولا يرون الشخص ، فقالت : السلام عليكم اهل البيت ورحمة الله وبركاته . إن في الله عزاءً من كل مصيبة ، وخلفاً من كل فائت ، فبالله فثقوا واياهم فارجوا ، فإنما المحروم من حُرِّم الثواب ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته» (٧) .

(٧) مستدرک الصحيحين ٥٧٣ .

٢٤ - عن جابر بن عبد الله قال : «سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي عليه السلام : يا علي الناس من شجر شتى وأنا وانت من شجرة واحدة ، ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد﴾» (٨) .

(٨) م . ن . ٢ : ٢٤١ .

٢٥ - عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال لعلي عليه السلام : «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا إنه لا نبي بعدي» (٩) .

(٩) صحيح الترمذي ٢ : ٣٠٨ .

٢٦ - عن جابر بن عبد الله قال : «سمعت رسول الله ﷺ يقول : أنا مدينة العلم وعلي بابها ، فمن أراد العلم فليأت الباب» (١٠) .

(١٠) مستدرک الصحيحين ١٢٧ : ٣ .

٢٧ - عن جابر بن عبد الله قال «سمعت رسول الله ﷺ يوم الحديبية وهو آخذ بيد علي عليه السلام يقول : هذا أمير البررة وقاتل الفجرة منصور من نصره مخذول من خذله - يمد بها صوته - أنا مدينة العلم وعلي بابها ، فمن أراد البيت فليأت الباب» (١١) .

(١١) تاريخ بغداد ٢ : ٣٧٧ .

٢٨ - عن جابر بن عبد الله قال : «كنا عند النبي ﷺ فأقبل علي عليه السلام ، فقال النبي ﷺ : والذي نفسي بيده إن هذا وشيعته لهم الفائزون يوم القيامة ، ونزلت : ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية﴾ ، فكان اصحاب النبي ﷺ إذا أقبل علي عليه السلام قالوا : جاء خير البرية» (١٢) .

(١٢) السيوطي، الدر المنثور، تفسير سورة البينة .

٢٩ - عن جابر بن عبد الله قال : «قال رسول الله ﷺ : علي بن ابي طالب صاحب حوضي يوم القيامة ، فيه اكواب كعدد نجوم السماء ، وسعة

(\*) الجابية : قرية بدمشق.

(١٣) مجمع الزوائد ٩: ٣٦٧.

(١٤) م. ن: ١١٣.

(\*) بنو وليعة: حي من كندة.

(١٥) م. ن: ٧: ١١٠.

(١٦) طبقات ابن سعد ٢: ٥٠.

(\*) كذا كتبت في المصدر، وصوابها «علام».

حوضي ما بين الجابية(\*) إلى صنعاء» (١٣).

٣٠ - عن جابر بن عبد الله قال : «دعا رسول الله ﷺ ، العباس بن عبدالمطلب فقال : اضمن عني ديني ومواعيدي قال : لا أطيق ذلك ، فوقع به ابنه عبد الله بن عباس فقال : فعل الله بك من شيخ ! يدعوك رسول الله ﷺ لتقضي عنه دينه ومواعيده ، فقال : دعني عنك ، فإن ابن اخي يباري الريح ، فدعا علي بن ابي طالب عليه السلام فقال ﷺ : اضمن عني ديني ومواعيدي ، فقال : نعم هي علي ، فضمنها عنه» (١٤).

٣١ - عن جابر بن عبد الله قال : «قال رسول الله ﷺ : لينتهين بنو وليعة(\*) أو لأبعثن إليهم رجلاً كنفسه يقتل مقاتلهم ويسبي ذراريهم وهو هذا ، ثم ضرب بيده على كتف علي بن ابي طالب» (١٥).

٣٢ - عن جابر بن عبد الله قال : إن كعب الاحبار قام زمن عمر بن الخطاب فقال ، ونحن جلوس عند عمر : ما كان آخر ما تكلم به رسول الله ﷺ ؟ فقال عمر : سل علياً ، قال : أين هو ؟ ، قال : هو ها هنا ، فسأله فقال علي عليه السلام : أسندته إلى صدري فوضع رأسه على منكبي فقال : الصلاة الصلاة ، فقال كعب : كذلك آخر عهد الانبياء وبه أمروا وعليه يبعثون . قال فمن غسله ؟ قال عليه السلام : كنت أنا أغسله» (١٦).

٣٣ - عن جابر بن عبد الله قال : «لما كان يوم خيبر بعث رسول الله ﷺ رجلاً فجبن ، فجاء محمد بن مسلمة فقال : يا رسول الله لم أر كالاليوم قط ، قتل محمود بن مسلمة ، فقال رسول الله ﷺ : لا تمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية : فانكم لا تدرون ما تبتلون معهم ، وإذا لقيتموهم فقولوا : اللهم انت ربنا وربهم ، ونواصينا ونواصيهم بيدك ، وإنما تقتلهم أنت ، ثم الزموا الارض جلوساً ، فإذا غشوكم فانهضوا وكبروا ، ثم قال رسول الله ﷺ : لأبعثن غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحباؤه ، لا يولي الدبر يفتح الله على يديه ، فتشرف لها الناس وعلي عليه السلام يومئذ أرمد ، فقال له رسول الله ﷺ : سر ، فقال : يا رسول الله ، على ما(\*) أقاتلهم ؟ فقال : على

أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأنني رسول الله ، فإذا فعلوا ذلك فقد حققوا مني دمائهم وأموالهم إلا بحقهما ، وحسابهم على الله عز وجل ، قال : فلقبهم ففتح الله عليه» (١٧).

(١٧) مستدرک الصحيحين  
٣٨:٣

٣٤ - عن جابر بن عبد الله قال : «إن علياً حمل باب خيبر يوم افتتحها ، وإنهم جربوه بعد ذلك فلم يحمله إلا أربعون رجلاً» (١٨).

(١٨) تاريخ بغداد ١١: ٣٠٤

٣٥ - عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال لعلي عليه السلام عليك ابا الريحانتين ، أوصيك بريحانتين من الدنيا خيراً ، فعن قليل ينهد ركناك والله خليفتي عليك . قال : فلما قبض النبي ﷺ : قال علي عليه السلام : هذا أحد الركنتين اللذين قال النبي ﷺ ، فلما ماتت فاطمة عليها السلام قال علي عليه السلام : هذا الركن الآخر الذي قال النبي ﷺ» (١٩).

(١٩) حلية الاولياء ٣: ٢٠١

٣٦ - عن جابر بن عبد الله قال : «قال رسول الله ﷺ : إن الله عز وجل جعل ذرية كل نبي في صلبه ، وإن الله تعالى جعل ذريتي في صلب علي بن ابي طالب» (٢٠).

(٢٠) مجمع الزوائد ٩: ١٧٢

٣٧ - عن جابر بن عبد الله قال : «دخلت على رسول الله ﷺ والحسن والحسين عليهما السلام على ظهره وهو يقول : نعم الجمل جملكما ونعم العدلان انتما» (٢١).

(٢١) ذخائر العقبى: ١٣٢

٣٨ - عن جابر بن عبد الله قال : «كنا مع رسول الله ﷺ فدعينا إلى طعام ، فإذا الحسين عليه السلام يلعب في الطريق مع الصبيان ، فأسرع النبي ﷺ أمام القوم ثم بسط يده ، فجعل الحسين يفرها هنا وها هنا فيضاحكه رسول الله ﷺ حتى أخذه ، فجعل إحدى يديه في ذقنه والاخرى بين أذنيه ، ثم اعتنقه وقبله ثم قال : حسين مني وأنا منه ، أحب الله من احبه ، الحسن والحسين سبطان من الاسباط» (٢٢).

(٢٢) كنز العمال ٧: ١٠٧

٣٩ - عن جابر بن عبد الله قال : «سمعت رسول الله ﷺ يقول : من سره أن ينظر إلى رجل من اهل الجنة فلينظر إلى الحسين بن علي» (٢٣).

(٢٣) ذخائر العقبى: ١٣٢

٤٠ - عن جابر بن عبد الله قال : «قال رسول الله ﷺ : من احب أن ينظر إلى سيد شباب اهل الجنة فلينظر إلى الحسين بن علي» (٢٤).

(٢٤) م ن .

# الوالدين والولد

## عقوق ولدهما

٢

من غررهم  
أهل البيت عليه السلام

عبد الصادق خراج الله  
( العراق )

في رحاب الإمامة الوادعة تَفِيأُ القلوبُ الصَّديئةُ بِأحضانِ الرِّضا، وتَنَشَّقُ أنفاسُ الهدى والسَّكينة، وتَلْفِي ربيعُ وجودها، وأنسٌ وحشيتها وضياؤها، فإذا هي رَيَّا بعدَ ظمأٍ، وخضراءٌ بعدَ إقفارٍ، ومطمئنةٌ بعدَ إصهارٍ. وفي هذا الباب نستشرفُ في تلك الرِّحابِ من أضوائها ما يَهْدِي سَبِيلَنَا، وَيَقْوِمُ خَطَرَاتِ نفوسِنَا، وَيُثَبِّتُ عَلَى مسالكِ الحقِّ والحقيقةِ خُطَاَنَا، حيثُ ﴿يَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾ ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَبُهْدٍ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾. وقد كانت قيساتنا هذه مستقاة من كتاب ميزان الحكمة.

« التحرير »

عقوق الوالدين

ليس عقوق الولد لوالديه إلا مصداقاً واضحاً من مصاديق جحود النعمة، ومجازاة الاحسان بالاساءة. ولشدَّ ما حرص الاسلام على توكيد صفة الشكر في نفوس اهله، وترسيخها في بنية أخلاقهم، ليس لله تعالى فحسب، وإنما جعل من تمام شكره سبحانه شكر عباده، كما ورد عن الامام الرضا عليه السلام: «من لم يشكر المنعم من المخلوقين لم يشكر الله عزوجل»<sup>(١)</sup>.



إن بر الوالدين مهما عظم فهو جزء يسير من حق شكرهما ، لا يفي بمقدار ما بذلا من جهد وما قاسيا من مشقة في سبيل تربية الولد وتنشئته .

ومن خلال مطالعة النصوص الواردة في هذا السياق ، يمكن تكوين صورة مجملّة لنتيجة العقوق ، فهو من الكبائر التي يُحرم صاحبها من المغفرة الإلهية مهما عمل من عمل صالح ، وقد جعل الله العاق عصياً شقيّاً خارجاً من دائرة التوفيق لطاعته سبحانه ، موسوماً بالذلة وانقطاع النسل وقلته .

١ - قال رسول الله ﷺ : «إن أكبر الكبائر عند الله يوم القيامة الإشراك بالله ، وقتل النفس المؤمنة بغير الحق ، والفرار في سبيل الله يوم الزحف» (٢) ، وعقوق الوالدين» .

٢ - وعنه ﷺ : «يقال للعاق : اعمل ما شئت فإني لا أغفر لك ...» .

٣ - قال الامام الصادق عليه السلام : «عقوق الوالدين من الكبائر ، لأن الله عزوجل جعل العاق عصياً شقيّاً» .

٤ - قال الامام الرضا عليه السلام : «حرم الله عقوق الوالدين لما فيه من الخروج من التوفيق لطاعة الله عزوجل ، والتوفيق للوالدين وتجنب كفر النعمة وإبطال الشكر ، وما يدعو من ذلك إلى قلة النسل وانقطاعه لما في العقوق من قلة توفيق الوالدين ، والعرفان بحقهما ، وقطع الأرحام ، والزهد من الوالدين في الولد ، وترك التربية بعلّة ترك الولد برهما» .

٥ - قال الامام الهادي عليه السلام : «العقوق يُعقب القلّة ، ويؤدي إلى الذلّة» .

### من العقوق

١ - قال رسول الله ﷺ : «من أحزن والديه فقد عقهما» .

٢ - وعنه ﷺ : «إن فوق كل عقوق عقوقاً حتى يقتل الرجل أحد والديه ، فإذا فعل ذلك فليس فوقه عقوق» .

(٢) في الكلام تقديم وتأخير، والتقدير «والفرار يوم الزحف في سبيل الله».



٣ - قال الامام الصادق عليه السلام : «من العقوق أن ينظر الرجل إلى والديه فيحدّ النظر إليهما» .

٤ - وعنه عليه السلام : «من نظر إلى أبويه نظر ماقت وهما ظالمان له ، لم يقبل الله له صلاة» .

قال العلامة المجلسي : «فكيف إذا كانا بارّين به ؟ ولا ينافي ذلك كونهما أيضاً آثمين ؛ لأنهما ظلمات وحملاه على العقوق . والقبول كمال العمل ، وهو غير الإجزاء» ، أي إن قول الامام عليه السلام : «لم يقبل الله له صلاة» لا يدل على أن صلاته غير مجزئة ، أو غير مسقطه للتكليف الشرعي الذي في عنقه ، لأن قبولها شيء وإجزاءها شيء آخر .

#### من حق الوالد على الولد

١ - قال رسول الله صلى الله عليه وآله : «من حق الوالد على ولده أن يخشع له <sup>(٣)</sup> عند الغضب» .

٢ - قال امير المؤمنين عليه السلام في كلام له : «فحق الوالد على الولد أن يطيعه في كل شيء إلا في معصية الله سبحانه» .

٣ - قال الامام زين العابدين عليه السلام : في رسالة الحقوق : «أما حق أبيك فإن تعلم أنه أصلك وأنه لولاه لم تكن ، فمهما رأيت في نفسك مما يعجبك فاعلم أن أباك أصل النعمة عليك فيه ، فاحمد الله واشكره على قدر ذلك ولا قوة إلا بالله» .

قد يكون في هذا النص المبارك إشارة إلى ما ثبت علمياً من أن نطفة الأب هي التي تحدد وراثياً جنس الجنين ؛ لاحتوائها على نوعين من المورثات ذكرى وانثوي ، في الوقت الذي تحتوي نطفة الأم على نوع واحد انثوي فقط ، فبامتزاج المتماثلين يكون الجنين انثى ، وباتحاد المختلفين يكون ذكراً .

٤ - قال الامام الصادق عليه السلام : «يجب للوالدين على الولد ثلاثة أشياء :

(٣) يخشع له: يستكين له، ويخفض صوته، ويغض بصره .

شكرهما على كل حال ، وطاعتهما فيما يأمرانه وينهيانه عنه في غير معصية الله ، ونصيحتهما<sup>(٤)</sup> في السر والعلانية .

٥ - قال الامام الكاظم عليه السلام : «سأل رجل رسول الله ﷺ : ما حق الوالد على ولده ؟ قال : لا يسميه باسمه ، ولا يمشي بين يديه ، ولا يجلس قبله ، ولا يستسب له»<sup>(٥)</sup> .

(٤) نصيحتهما : الاخلاص لهما.

(٥) أي لا يفعل ما يدعو الناس إلى سب أبيه.

### من حق الولد على الوالد

ما كان الاسلام الكريم ليحمل الولد كل هذه المسؤوليات ، ويفرض عليه في بر والديه كل تلك الواجبات ، دون أن يجعل له نصيباً من الحق يلزم به والديه له ، ولا سيما الأب ؛ فإنه قد وضع للولد مجموعة من الحقوق ، ورسم للأب منهاجاً واضح المعالم في مجال معاملته لابنه .

إن عليه أن يعطي ، كما أن له أن يأخذ ، وليس الأب المفرط في اداء حق ولده المشروع له ، إلا كالولد المضيع لحق والده المفروض له ، وليس بره بولده إلا كبره بوالديه ، وذلك ادعى للولد أن يكون باراً ؛ لأنه يبعث في نفسه حبّ والديه واحترامهما وتعظيمهما ، وقد قال رسول الله ﷺ : «رحم الله والدأعان ولده على بره»<sup>(٦)</sup> .

(٦) كنز العمال، ج ١٧، ٥٤١٧.

١ - قال رسول الله ﷺ : «حق الولد على والده أن يعلمه الكتابة والسباحة والرماية ، وألا يرزقه إلا طيباً» .

٢ - وعنه ﷺ : «من حق الولد على والده ثلاثة : يُحسن اسمه ، ويعلمه الكتابة ، ويزوجه إذا بلغ» .

٣ - وقال رجل للنبي ﷺ : «يا رسول الله ، ما حق ابني هذا ؟ قال : تحسن اسمه وأديه ، وتضعه موضعاً حسناً» .

٤ - وعنه ﷺ : «من بلغ ولده النكاح وعنده ما يُنكحه فلم يُنكحه ، ثم أحدث حدثاً ، فالإثم عليه» .

٥ - وعنه عليه السلام : «رحم الله من أعان ولده على بره ، وهو أن يعفو عن سيئته ، ويدعو له فيما بينه وبين الله» .

٦ - قال امير المؤمنين عليه السلام : «حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه ، ويحسن أدبه ، ويعلمه القرآن» .

٧ - قال الامام الصادق عليه السلام : «تجب للولد على والده ثلاث خصال : اختياره لوالده ، وتحسين اسمه ، والمبالغة في تأديبه» .

٨ - وعنه عليه السلام : «بر الرجل بولده بره بوالديه» .

### حب الولد

جاء الدين الاسلامي المقدس ليعالج - في أبعاد تبنيّه لشؤون الانسان المختلفة - الجانب العاطفي والوجداني للفرد المسلم ، ويربي في نفسه النوازع الانسانية الخيرة ، ويوجه في طريق الحق والعدل والاستقامة كل انفعالات نفسه وخواطرها .

وليست غريزة حب الولد إلا مفردة من أبرز تلك المفردات الوجدانية عند الانسان ، بل عند جميع المخلوقات الحية التي قدر الله سبحانه لها أن تلد وتتناسل ، وهي تعبّر - فيما تعبّر - عن نزعة فطرية سليمة تفرضها علاقة الولد الجذرية بوالده ، وما بينهما من وشيخ عضوي وتمازج روحي .

والاسلام عندما يولي هذا الجانب كل هذا الاهتمام الذي نلمسه من خلال نصوصه المباركة ، إنما يراعي أولاً حقيقة ثابتة غير قابلة للنسخ أو التغيير ، ويقرّها في محلّها الطبيعي من كيان المرء النفسي والعاطفي ، ثم ينفذ من خلالها إلى مجال توجيهي خصب ، جاعلاً منها حافزاً إلى تحقيق متبنياته الفكرية والأخلاقية المثلى ، وهادفاً بها لبلوغ مطامحه التربوية النبيلة السامية .

هذا ، ويبقى لبراءة الطفل من الدنس ، وكونه مفطوراً على توحيد الله سبحانه وتعالى ، الأثر الجلي في أن يحظى بكل هذا الحب ، سواء من والديه ، أو من غيرهما من ذوي الفطر المستقيمة .

١ - قال رسول الله ﷺ : «أحبوا الصبيان وارحموهم» .

٢ - وخرج عليه السلام على عثمان بن مظعون ومعه صبي له صغير يلثمه ، فقال : «ابنك هذا ؟ قال : نعم : قال : أتجبه يا عثمان ؟ قال : أي يا رسول الله ، إنني أحبه . قال : أفلا أزيدك له حباً ؟ قال : بلى فذاك أبي وأمي . قال : إنه من يرضي صبيّاً صغيراً من نسله حتى يرضى ، ترضاه (٧) الله يوم القيامة حتى يرضى» .

(٧) ترضاه : أرضاه .

٣ - وعنه عليه السلام : «من قبل ولده كتب الله له حسنة ، ومن فرّحه فرّحه الله يوم القيامة ...» .

٤ - وجاء رجل إليه عليه السلام فقال : «ما قبلت صبيّاً قط ، فلما ولّى قال رسول الله ﷺ : هذا رجل عندي أنه من أهل النار» .

٥ - وعنه عليه السلام أنه قبل الحسن والحسين رضي الله عنهما ، فقال الأقرع بن حابس : إن لي عشرة من الأولاد ما قبلت واحداً منهم : فقال : ما عليّ إن نزع الله الرحمة منك (أو كلمة نحوها) .

٦ - قال الامام الصادق عليه السلام : «إن الله ليرحم العبد لشدة حبه لولده» .

٧ - وعنه عليه السلام : «قال موسى عليه السلام : يا رب ، أي الأعمال أفضل عندك ؟ قال : حب الأطفال ، فإني فطرتهم على توحيدى ، فإن أمّتهم أدخلتهم جنتي برحمتي» .

### تربية الولد وتأديبه

البيت هو المدرسة الأولى التي ينشأ فيها الطفل ، ويتعلم بين حدودها ما يكون له الأثر البالغ في تكوين شخصيته النفسية والخلقية والعقلية ، ففي البيت يفتح عينيه - أول ما يفتحهما - لتمثلها بكل ما تحويه أجواؤه من صور وانعكاسات ، لذا كان الدور الملقى على

عائق الوالدين ، وبخاصة الأب ، مهماً وشاقاً في آن ؛ فليس لهما أن يدعا ولدهما دون توجيه لحركته ، وإعداد لشخصه ، وتغذية لروحه بما يصنع منه فرداً صالحاً يساهم في بناء مجتمعه الاسلامي الفاضل ، ويحصّنه من الانحدار في مزالق الخروج عن مقتضيات الفطرة السليمة ، والانحراف عن مستقيم صراط الله وبيّن رشد هداة .

١ - قال رسول الله ﷺ : «أكرموا أولادكم وأحسنوا آدابهم» .

٢ - وعنه ﷺ : «أدبوا أولادكم على ثلاث خصال : حبّ نبيكم ، وحب أهل

بيته ، وقراءة القرآن» .

٣ - وعنه ﷺ : «ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن» .

٤ - وعنه ﷺ : «مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ،

واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين ، وفرّقوا بينهم في المضاجع» .

٥ - وعنه ﷺ : «الولد سيد سبع سنين ، وخادم سبع سنين ، ووزير سبع

سنين ، فإن رضيت مكانفته<sup>(٨)</sup> لإحدى وعشرين ، وإلا فاضرب على كتفه ، فقد

أعذرت إلى الله فيه» .

إن هذا التنوع في معاملة الولد ، واختلاف الأنماط في مراحل تربيته ، ناتجان من رعاية التدرّج السنّي له ، والتطور النفسي والعاطفي لشخصيته ، وملاحظة ما يفرزه ذلك من تباين سلوكي ، وتمايز في التفكير والشعور ، فإن الولد - لا ريب - في سني عمره الأولى يميل بطبعه إلى مزاولة اللعب ، والانقطاع إلى اللهو بما يتناسب ومستوى ادراكه للحياة ، ومقدار فهمه لحقيقتها ، فو سيد بمعنى أنه تُلبّي له احتياجاته ، وتراعى منه رغباته التي تختلج في مكنونه ، بما لا يؤثر سلبياً في بناء شخصيته وتوازنها .

أما بعد ذلك ، أي بعد أن يستنفد - أو يكاد - همّه في اللهو وتوجّه نفسه إليه ، فإنه لابد من نقله إلى حال سلوكية أخرى ، ووضعه في مجال تربوي مغاير ، يشعر فيهما بوجود مسؤولية له في هذه الحياة

(٨) المكانفة: المعاونة.

هي فوق ميله للعب ، وأن عليه ما يلزمه القيام به ، فتبدأ مرحلة تمرينه على حمل تلك المسؤولية ، والنهوض بتلك اللوازم ، واعداد نفسه لتمثل فكرة التكليف وتقبلها ، وحمل روحها برضاً بسكينة ، فهو خادم هنا ، أي إنه يُلزَم بأداء ما يوجّه إليه من تعاليم ، وما يُحدّله من حدود في دائرة سلوكه الفردي والاجتماعي ، مع مراعاة جانب حريته الفردية ، ونوازعه الشعورية والعاطفية ، ولا سيما عندما تقترب به السن من حدود مرحلة المراهقة ، وما ينتج عنها من تحوّل يكاد يكون جذرياً في العاطفة والسلوك والكون النفسي والوجداني له .

وفي هذا الطور من حياته ، وهو طور نضوج فيه واكتمال ، يبدأ نمط جديد من التفكير في اسلوب معاملته ، وطريقة فهم شخصيته وإدراكها ، فهو الآن يمتلئ شعوراً بنضوج فكره واكتمال رجولته ، وثقةً بمنطقه العقلي ، ويسعى لكل ما يجد من سبيل إلى إبراز ذاته ، وإشعار من حوله باستقلال كيانه ، وانفرديته في التفكير والسلوك ، وتلك في حقيقتها وجهة قديمة ، ونظرة منطقية تنبئ عن أمر فطري هو جزء رئيس من تركيبته النفسية ، وأثر إيجابي يمكن أن يكون مدخلاً صالحاً إلى مجال بنائه بناءً أخلاقياً صالحاً ومحكماً ، إذا ما أحسن استغلال هذا العامل واستثماره ، وتوجيه هذه الحركة الإدراكية في داخله نفسه .

ومما يقع من تلك الحالة موقع وفاقها ، وينمي فيها سلامة القصد وصلاح الرؤية ، فيجني طيب ينفعها وثمرها ، هو أن يُشارك الولد في مكنون عقله ، ويُطلب منه صالح مشورته ، ويُشعر بقيمة ما يطرح من رأي أو يبدي من نظر ، فهو بذلك وزير يستعان برأيه في ضرورات الأمور ، ويُستأنس بقوله عند مهامها ، وهذا حقاً ممّا يكون به صِقال فكره ، ويشرح آفاق لبّه ، ويُكسبه الخُنكة في مداخل الحياة ومخارجها ، والدربة على شؤونها وشجونها .

(٩) المرجئة: فرقة لا يحكمون على أحد من المسلمين بشيء، بل يُرجئون الحكم إلى يوم القيامة، ومن أقوالهم أنه لا يضر مع الإيمان معصية، ويمكن أن تكون في الحديث كناية عن كل المذاهب والتيارات الضالة والمنحرفة.

(١٠) خذوهم بها: ألزمهم بها.

(١١) الغرث: الجوع.

فإذا لم يظفر الأب بعد ذلك السعي بلباب معونته ، ولم يدرك منه بغية صلاحه ونفعه ، فقد أدنى ما عليه من واجب تربيته ، وبلغ فيه كمال العذر إلى ربه .

٦ - قال امير المؤمنين (عليه السلام) : «مروا أولادكم بطلب العلم» :

٧ - وعنه (عليه السلام) : «علّموا صبيانكم من علمنا ما ينفعهم الله به ، لا تغلب عليهم المرجئة (٩) برأيها» .

٨ - وعنه (عليه السلام) : «علّموا أولادكم الصلاة ، وخذوهم بها (١٠) إذا بلغوا الحلم» .

٩ - قال الامام الصادق (عليه السلام) : «الغلام يلعب سبع سنين ، ويتعلّم الكتاب سبع سنين ، ويتعلّم الحلال والحرام سبع سنين» .

١٠ - وعنه (عليه السلام) : «إننا نأمر صبياننا بالصلاة إذا كانوا بني خمس سنين ، فمروا صبيانكم بالصلاة إذا كانوا بني سبع سنين ، ونحن نأمر صبياننا بالصوم إذا كانوا بني سبع سنين بما أطاقوا من صيام اليوم إن كان إلى نصف النهار أو أكثر أو أقل ، فإذا غلبهم العطش والغرث (١١) أفطروا ؛ حتى يتعودوا الصوم ويطيقوه ، فمروا صبيانكم إذا كانوا بني تسع سنين بالصوم ما استطاعوا من صيام اليوم ، فإذا غلبهم العطش افطروا» .

#### الولد الصالح

«كل مولود يولد على الفطرة» ، لأريب في ذلك وقد جاء عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ومعنى الفطرة هنا أنه يولد مفطوراً على معرفة الله وتوحيده ، ومتهيئاً بجلته لقبول الدين والهداية ، بحيث لو ترك على ذلك لاستمر على لزومه ، ولم يفارقه إلى غيره .

وتلك حقاً هي النواة الناضجة الكاملة الاستعداد لأن تنمو وتثمر ، ولا يكون ذلك إلا إذا وُليت بالرعاية والتغذية ، وخير من يقوم بهذه المهمة هما الوالدان ، حيث يمكن لتلك النواة في ظل برهما وعنايتهما أن تشق بيسر طريقها مستقيماً على أحسن وجه ، مهما وعرت المسالك ، وتلفعت بالضباب ، وإلا فمن اليسير أن تنحرف تلك الفطرة

عن واضح الطريق ، وتحتجب بما يعمي عليها السبيل إلى سواء الحق .  
إذن فصلاح الولد مرهون - في الأعم الأغلب - بصلاح الأبوين أولاً ،  
وباحتضانهما لتلك الغرسة الغضة ثانياً بما ينهج أمامها سبل الصلاح ،  
ويفتح لها آفاق السير على نهج الله القويم ، وبلوغ الغاية من الخلق ،  
التي هي عبادته سبحانه وتعالى في هذه الأرض : ﴿ وما خلقت الجن  
والإنس إلا ليعبدون ﴾ (١٢) .

(١٢) الذاريات : ٥٦ .

فإذا تم ذلك كانت سعادة الأبوين وهما يريان نتائج سعيهما ،  
وثمرة جهدهما ، وكان صلاح الولد ذخراً لهما في داريهما ، ببرهما في  
حياتهما ، والعمل الصالح لهما بعد موتهما .

١ - قال رسول الله ﷺ : «الولد الصالح ريحانة من رياحين الجنة» .

٢ - وعنه ﷺ : «الولد الصالح ريحانة من الله قسمها بين عباده» .

٣ - وعنه ﷺ : «من سعادة الرجل الولد الصالح» .

٤ - وعنه ﷺ : «مر عيسى بن مريم ﷺ بقبر يعذب صاحبه ، ثم مر به من

قابل (١٣) فإذا هو ليس يعذب ، فقال : يارب ، مررت بهذا القبر عام أول وهو  
يعذب ، ومررت به العام وهو ليس يعذب ، فأوحى الله جل جلاله إليه : يا روح  
الله ، قد أدرك له ولد صالح فأصلح طريقاً وآوى يتيماً ، فغفرت له بما عمل  
ابنه» .

(١٣) من قابل : في السنة  
الثانية .

٥ - قال أمير المؤمنين عليه السلام : «الولد الصالح أجمل الذكرين» .

٦ - قال الامام الصادق عليه السلام : «ميراث الله من عبده المؤمن ولد صالح  
يستغفر له» .

٧ - وعنه عليه السلام : «قال رسول الله ﷺ : ميراث الله عز وجل من عبده المؤمن

ولد يعبده من بعده....» .

#### البنات حسنات

بذل الاسلام جهداً رائعاً من أجل اعادة المرأة إلى مكانها الطبيعي  
اللائق في بنية المجتمع الاسلامي الواعي ، بعد أن كابدت ضروب  
القهر والعنت والاضطهاد في معترك الحياة الجاهلية العمياء ، ولم يأل



وسعاً في ردّ كرامتها المهدورة إليها ، ومنحها حقها المشروع لها في خِصَمِ الحياة الإسلامية بجميع صورها ، اجتماعية واقتصادية وسياسية ودينية ؛ فلا غرو أن نرى كل تلك النصوص الشرعية من قرآن وسنة لبيان ما للمرأة من حقوق وما عليها من فروض ، شأنها في ذلك شأن الرجل . وليس في كل شرائع الأرض ما في شريعة الاسلام من عناية خاصة بحقوقها ، واهتمام بالغ بشؤونها ، ومن أجمل ما نطالع في هذا الباب أن الله سبحانه قد جعل البنت حسنة يثاب عليها ، وريحانة يطيب شمها ، يُدخل بها والدها الجنة ، ويحجبه بها عن النار ، بعد أن كانت تدفن في العرف الجاهلي حيةً : ﴿ وإذا الموءودة سئلت : بأي ذنب قتلت ﴾ (١٤) .

(١٤) التكويز: ٨ - ٩ .

١ - قال رسول الله ﷺ : « لا تكرهوا البنات ، فإنهن المؤمنات الغاليات » .  
٢ - وعنه ﷺ : « من ولدت له ابنة فلم يؤذيها ولم يهينها ولم يؤثر ولده عليها أدخله الله بها الجنة » .

٣ - وعنه ﷺ : « من كانت له ابنة فأدبها وأحسن أدبها ، وعلمها فأحسن تعليمها ، فأوسع عليها من نعم الله التي أسبغ عليه ، كانت له منعة وستراً من النار » .

٤ - وعنه ﷺ : « نعم الولد البنات المخدرات . من كانت عنده واحدة جعلها الله ستراً من النار » .

٥ - وعنه ﷺ : « إن الله تبارك وتعالى على الإناث أرفأ منه على الذكور ، وما من رجل يُدخل فرحة على امرأة بينه وبينها حرمة إلا فرّحه الله تعالى يوم القيامة » .

٦ - قال امير المؤمنين عليه السلام : « كان رسول الله ﷺ إذا بُشّر بجارية قال : ريحانة ورزقها على الله عز وجل » .

يريد ﷺ بذلك أن يقتلع جذور ما كان يعتقده اهل الجاهلية مما يدعوهم إلى وأد البنات ، وهو الخوف من الفقر والإهلاك ، وقد ترسخ

ذلك في نفوسهم حتى آل فيها إلى تشاؤم من البنت يظهر في وجه أحدهم إذا بُشِّرَ بها : ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ يتوارى من القوم من سوء ما بُشِّرَ به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون ﴿١٥﴾ ، فكان قول النبي ﷺ : «ورزقها على الله عز وجل» حسماً لذلك الوهم الذي ربّما بقي يخالج بعض نفوس أبناء مجتمعه .

(١٥) النحل : ٥٨ - ٥٩ .

٧ - قال الامام الصادق عليه السلام : «البنات حسنات والبنون نعم ، والحسنات يثاب عليها ، والنعم مسؤول عنها» .

٨ - وعن الحسن بن سعيد اللخمي قال : «ولد لرجل من اصحابنا جارية ، فدخل على أبي عبد الله عليه السلام فرآه متسخطاً ، فقال له أبو عبد الله عليه السلام : أرايت لو أن الله تبارك وتعالى أوحى إليك أن أختار لك أو تختار لنفسك ، ما كنت تقول ؟ قال : كنت أقول : يا رب ، تختار لي . قال : فإن الله قد اختار لك ....» .

يقرر ذلك قوله تعالى : ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذَّكَورَ﴾ (١٦) ، وقد يكون تقديم لفظ الاناث على لفظ الذكور في الآية داخلاً ضمن إطار معالجة المنهج الاسلامي لهذه القضية .

(١٦) الشورى : ٤٩ .

### العدل بين الأولاد

إن من أجلى مقاصد الشريعة الإلهية المقدسة ، أن تقيم أساس العدل ، وتشيد صرحه في كل تفاصيل الحياة الاسلامية ، فردية كانت أو جماعية ، بدءاً من جعله أسساً عقدياً يلزم المسلم الايمان به ، إلى كونه مرتكزاً أخلاقياً ليس له أن يحيد عن الاستناد إليه في أضيق دوائر معاملاته الشخصية ، ومنها دائرة معاملته لأولاده ، حيث تسعى نصوص أهل بيت العصمة عليهم السلام أن تؤكد ذلك ضمن بناء الأسرة المسلمة ، وتُحكم نسجه حتى في مجال المساواة بينهم في التقبيل ،

بل جعلت حق عدله بين أولاده بإزاء حق برهم به ، وبمنزلة لطفهم واحسانهم إليه .

١ - قال رسول الله ﷺ : « اتقوا الله واعدلوا في أولادكم » .

٢ - وعنه ﷺ : « إن لهم عليك من الحق أن تعدل بينهم ، كما أن لك عليهم من الحق أن يبروك » .

٣ - وعنه ﷺ : « ساووا بين أولادكم في العطية ، فلو كنت مفضلاً أحداً لفضلت النساء » .

٤ - وعنه ﷺ : « إن الله يحب أن تعدلوا بين أولادكم حتى في القبل » .

(١٧) النحل : العطاء .

٥ - وعنه ﷺ : « اعدلوا بين أولادكم في النخل <sup>(١٧)</sup> كما تحبون أن يعدلوا

بينكم في البر واللفف » .

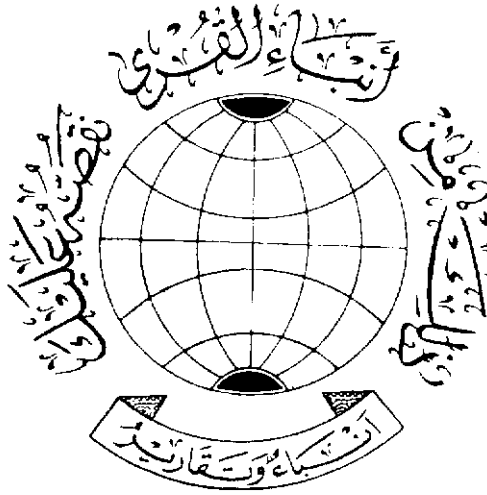
٦ - قال امير المؤمنين عليه السلام : « أبصر رسول الله رجلاً له ولدان ، فقبل

(١٨) واسيت : ساويت .

أحدهما وترك الآخر ، فقال ﷺ : فهلا واسيت <sup>(١٨)</sup> بينهما » .

قَالَ الْأَمَامُ عَلِيُّ ع ، :

عَلَيْكَ بِالنِّقَى ، فَإِنَّهُ  
خُلِقَ الْأَنْبِيَاءُ  
(عَزَّ وَجَلَّ)



## من أئمة الصوى

نافذة نطلّ منها على أحوال المسلمين وأتباع أهل البيت (عليهم السلام) في  
أنحاء العالم من خلال ما يصلنا من أخبار وتقارير .

الكثير من أجل الدفاع والعمل على  
ترسيخ مبادئهم المستمدة من  
الشرعية السماوية الحقة ، لتجد  
طريقها على هذه البقعة من  
الارض ، لا من أجل اسعاد  
شعوبهم والسير بها نحو الله  
سبحانه وتعالى وحسب ، بل من  
أجل اسعاد البشرية جمعاء . وولي  
امر المسلمين آية الله العظمى  
السيد الخامنئي (دام ظله) يقف

### الجمهورية الاسلامية الايرانية

من سيرة ولي امر  
المسلمين آية الله  
العظمى السيد الخامنئي (دام ظله)



إن حياة وسيرة القادة  
الاسلاميين هما منار تستنير به  
الامم بشكل عام ، والمسلمين  
بشكل خاص . وتكتسب هذه الامم  
العبر والدروس القيمة ، باعتبار أن  
هؤلاء القادة خبروا الحياة وتحملوا

يستلم أي راتب من أي جهة . كما أنه لا يستفيد من الاموال التي تصله من الآخرين في حياته الشخصية ، بل أن معيشته تؤمن عن طريق الهدايا التي يقدمها مريده ومخلصوه ، فهو مقتنع بهذا المستوى ومتمسك به ، ويوصي المسؤولين دائماً بعدم الاسراف في حياتهم اليومية وعدم التبذير ؛ وحتى أولئك الذين يجتمعون في حضرته في المناسبات الدينية الخاصة من اجل عقد القران وقراءة صيغة العقد لهم - معظمهم من عوائل الشهداء - لا يقبل أن يتجاوز مبلغ الصداق عن ١٤ مسكوكة ذهبية ، لا لأنه غير جائز ، بل أنه يعتقد بضرورة دعوة الناس إلى البساطة . وإذا ما ارادوا أن يجعلوا المبلغ اكثر من ذلك ، فإن سماحته يوصيهم باجراء العقد في مكان آخر .

هذا مع العلم أن جميع ابنائه هم طلبة يدرسون العلوم الاسلامية في الحوزة العلمية ، وليس فيهم

اليوم على رأس هؤلاء القادة ، فهو التلميذ المخلص والوفي للمبادئ السامية والنهج القويم الذي جسده على ارض الواقع الامام الراحل الخميني الكبير رحمه الله وليس غريباً أن يكون القائد كذلك لأنه تخلق باخلاق جده امير المؤمنين عليه السلام حيث يقول : «من نصب نفسه للناس إماماً ، فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره ، وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه ، ومعلم نفسه ومؤدبها احق بالاجال من معلم الناس ومؤدبهم» .

والمطلع على تفاصيل حياة السيد الخامنئي يجده خير من جسد اليوم اداء المسؤولية الرسالية من موقع القائد ، وتطلى بالاخلاق والسلوك اللذين امر بهما الاسلام من موقع القدوة والاسوة للمسلمين .

إن مستوى المعيشة الشخصية لسماحة السيد القائد ، رغم استطاعته بالاستفادة من جميع الامكانيات ، فإنه اقل من مستوى معيشة أي مواطن عادي ، فهو لا

اعضاء المكتب ، وكذلك ينظم إليهم عدد من العلماء والشخصيات المقرّبة لسماحته حيث يفضلون أن تقام الصلاة بإمامته .

ثم يأخذ سماحته عادةً قسطاً من الراحة ، ويتناول طعام الغداء ، ويواصل عمله عصرًا حتى صلاة المغرب التي تقام هي الاخرى جماعة ، وفي الليل يقضي سماحته اوقاته اما في المطالعة أو متابعة الاخبار من خلال التلفزيون أو يقضيها عند أسرته .

الثالث : يتابع السيد القائد يومياً اعمال اعضاء مكتبه ، وإذا ما قام الاعضاء بعمل خاص اعجب سماحته ولفت اهتمامه فأنه سرعان ما يكافئهم بقوله : بارك الله فيكم وساعدكم الله .

الرابع : يتابع رسائل واستفسارات المواطنين التي تصل إلى مكتبه ويحاول قدر الامكان الرد على معظم الرسائل ، وأن لا تهمل أي رسالة .

من تولّى منصباً سياسياً أو حكومياً .

### من يوميات سماحته

يستيقظ يومياً قبل موعد اذان الفجر بساعة لينشغل بالدعاء والتهجد والمناجاة ، حتى يحين موعد صلاة الفجر ، ومن ثم يتوجه إلى مقر عمله في الساعة الثامنة صباحاً ، لبدأ عمله اليومي الذي هو على عدة أقسام :

الأول : اللقاءات الرسمية مع المسؤولين المدنيين والعسكريين في البلاد ، من الذين طلبوا مقابلته في وقت سابق ، ويتم في هذا اللقاء تقديم التقارير الخاصة بهم ومناقشتها وتوجيه الارشادات اللازمة لهم ، وتستمر هذه اللقاءات إلى الظهر .

الثاني : صلاة الظهر ، من توفيقات الله سبحانه وتعالى على عبده أن جميع صلواته تقام جماعة ، يشارك فيها الاشخاص الذين جاؤوا لمقابلته بالاضافة إلى

٢ - يهتم السيد القائد بشكل خاص بالقوات المسلحة كونه القائد العام لها ، فهو يقوم بزيارات ومتابعة العمل بشكل منتظم ومستمر لهذه القوات حتى أصبحت اليوم وبحمد الله في مستوى عال جداً .

فبعد انتصار الثورة الاسلامية ، نجحت كل من القوات المسلحة ، ووزارة الدفاع ، والجهاد الجامعي ، والمراكز العسكرية الاخرى من سد جميع النواقص التي كانت تعاني منها ، كما ان هذه المؤسسات العسكرية استطاعت أن تحل معظم المشاكل المعقدة التي كانت تواجهها ، وكذلك بادرت إلى تعمير وصيانة ، وإعادة تصنيع المعدات الحربية المعقدة .

وكان هناك دوراً أساسياً للسيد القائد في هذا المجال ، فكلما كان هناك ابداع أو اختراع أو تحديث ، كان بالمقابل هناك اهتمام وتشجيع خاص من قبل السيد القائد .

الخامس : يتابع الاخبار المهمة والاحداث التي تقع سواء داخل البلاد أو في العالم الخارجي ، وبحكم مسؤوليته ، فهو اول من يطلع على جميع هذه الاخبار اما من خلال الصحف اليومية الصباحية والمسائية أو المجلات أو من خلال وسائل الاعلام الاخرى المرئية والمسموعة .

كما أن مكتبه يقوم يومياً باعداد مقتطفات من اهم احداث الساعة من الصحف ويقدمها لسماحته .

### من مهماته الدورية

وهي برامج اخرى يقوم بها السيد القائد بشكل منظم ، منها ما يلي :

١ - جلسة اسبوعية مع عدد من كبار العلماء المجتهدين لتدارس وتبادل وجهات النظر حول القضايا المستجدة ، والقضايا والشؤون المختلفة والتي هي بحاجة إلى الدراسة .

لوالدي الشهيد بالرأفة والعطف والمحبة ؛ وبذلك يجسد قول جده امير المؤمنين (عليه السلام) : «فاخفض لهم جناحك وألن لهم جانبك ، وابسط لهم وجهك» ، وإذا كان للشهيد اولاد فإنه يلاطفهم ويمازحهم .

٤ - زيارته إلى خارج طهران ، وعادة ما يختار المناطق البعيدة والمحافظات المحرومة ، ومن برنامج الزيارة لقاءه بالمواطنين والتحدث لهم والاستفسار عن احوالهم والاستماع إلى مشاكلهم وحلها . وفي كثير من الاحيان يبقى فريق من مكتب سماحته هناك لمدة اسبوعين أو اكثر بعد الزيارة لدراسة وحل جميع مشاكل ابناء المنطقة .

٥ - كما أن للسيد القائد اهتمام في جانب آخر ألا وهو الادب ؛ فهو شاعر واديب قبل أن يكون سياسياً ، وهو يأنس بالادب ، وان اشعاره سلسلة وغنية المعاني ، كما أن لسماحته جلسات وامسيات شعرية مع الشعراء على مدار السنة كلما تسنح الفرصة لذلك ،

٣ - ومن برنامج السيد القائد زيارته الثابتة لعوائل الشهداء ، وتكون هذه اللقاءات والزيارات مبرمجة سلفاً ، وان عائلة الشهيد المراد زيارتها لا تعلم أي شيء عن الشخص الذي سيزورهم ، يعني أن عائلة الشهيد لا تعرف من هو الشخص الذي ستلتقيه إلى اللحظة التي يصل فيها سماحة السيد القائد إلى منزل عائلة الشهيد .

والملفت للنظر هو أنه كثيراً ما يقوم بزيارة عوائل أو اشخاص يسكنون في جنوب المدينة طهران ؛ اولئك الذين يعيشون في المناطق البعيدة وفي الازقة الضيقة .

إن لقاءات السيد القائد مع عوائل الشهداء تكون ذات طابع خاص فهي صميمية وجذابة ، فهو يمضي اكثر من نصف ساعة مع كل عائلة واحاديثه كلها تدور حول الشهيد ومكانته وحبه ، ثم يستفسر عن مكان وكيفية استشهاده مع احاطة سماحته



ويلقون عليه التحية والسلام وهو بدوره يبادلهم نفس المشاعر ويتجاذب معهم اطراف الحديث .

هذه قبسات من سيرة سماحة ولي امر المسلمين آية الله العظمى السيد الخامني (دام ظله) ، [استلقت من المقابلة الصحفية مع سماحة الشيخ محمد علي كلبايعاني رئيس مكتب سماحته] تعكس لنا جوانب من كمالاته وعظمته ورفيع اخلاقه وزهده كقدوة واسوة للمسلمين مصدقاً بذلك قول جده امير المؤمنين (عليه السلام) : «فإن حقاً على الوالي ألا يغيره على رعيته فضل ناله ، ولا طول خص به ، وأن يزيده ما قسم الله له من نعمة دنوا من عبادته ، وعطفاً على اخوانه» ، وقوله (عليه السلام) : «لا يتحمل هذا الامر إلا أهل الصبر والبصر والعلم بمواقع الامر» .

\* \* \*

□ العلاقات الإسلامية (العربية - الإيرانية)  
إن العلاقات العربية الإيرانية

كما أن له وجهات نظر ، ومداخلات وافكار جديدة ونقاط دقيقة حول الشعر ؛ باعتباره صاحب رأي وله إلمام كامل بشؤون الادب والشعر . كما أن الجميع يحترم رأيه سواء من الناحية الفنية أو التخصصية .

٦ - كما أنه يمارس رياضة تسلق الجبال ولاكثر من مرة خلال الاسبوع في الظروف الجوية المناسبة ، وتستغرق هذه الرياضة في بعض الاحيان عدة ساعات . كما أنه يعتبر الرياضة بشكل عام ضرورية للشباب وواجبة على كبار السن .

ورغم أن تسلق الجبال هي رياضة صعبة لكنه يمارسها بكل نشاط وحيوية ، حتى أنه في بعض الاحيان يواصل تسلقه للجبال المحيطة بالعاصمة طهران إلى منطقة «تلي كابين» الجبلية المغطاة بالثلوج .

وكثيراً ما يلتقي في رحلته بالمواطنين سواء في الذهاب أو الاياب ، حيث يأتون إلى سماحته

والعقائد ، دافعاً رئيسياً لمحاولة الاستعانة بتلك القبائل . من هنا سعى الروم للتحالف مع الغساسنة، بينما تحالف الفرس مع المناذرة .

اخذت العلاقات بين العرب والفرس تقوى تدريجياً قبل ظهور الاسلام ، حتى صار في بلاط ملك فارس كاتب مختص بالشؤون العربية ، بل كان ملك فارس أحياناً يتخذ مترجماً يستحضره من عرب الحيرة .

إلا إن العلاقات بدأت تسوء مع بداية القرن الرابع الميلادي ؛ بسبب احساس الفرس بخطر القبائل العربية التي ازداد عددها وقويت شوكتها ، ولكن حاجة الفرس لهذه القبائل في صراعهم مع الروم حال دون تحول العلاقة إلى عداوة أو مواجهة .

في بداية القرن السادس مع مجيء الاسلام ، بدأت هذه العلاقة تتخذ ابعداً آخرى ؛ باعتبار الاسلام ديناً عالمياً لكل البشر .

هي علاقات تضرب بجذورها في اعماق التاريخ ، ومن ثم فإن هذه العلاقات تمتلك اهم الاسس لبناء علاقات جيدة ، منها العمق التاريخي ، والتقارب الجغرافي ، والبعد الديني والحضاري ، حيث تشترك الجمهورية الاسلامية في ايران والدول العربية منذ القدم في الاسلام والحضارة الاسلامية .

يرجع تاريخ العلاقات العربية الايرانية إلى ما قبل عصر الدولة الساسانية ، التي استمر حكمها من القرن الثالث الميلادي حتى القرن السابع ، وكان يطلق على هذه العلاقة آنذاك العلاقة بين العرب والفرس .

ومن المعروف أن دولتي الفرس والروم كانتا بمثابة القوتين العظميين آنذاك ، إلا إنهما كانا يعانيان دائماً من الغارات المتكررة عليهما من قبل القبائل العربية على حدوديهما بين الحين والآخر ، وكان العداة المتأصل بين الروم والفرس ، المختلفين في الاصول والجذور والحضارة والفكر

كثير من المفردات العربية في اللغة الفارسية تم في هذه الفترة . إلا إن استمرار الصراع بين اركان الدولة العباسية ، وابتعادها عن شعاراتها التي كانت تنادي بها وهي النصر لاهل البيت عليه السلام ، كل ذلك ادّى أن يسحب المسلمون في ايران مساندتهم للدولة العباسية ، مما اضعف هذه الدولة وساعد في سقوط بغداد فيما بعد على يد التتار عام ١٢٥٨ م .

في بداية القرن السادس عشر احتدم الصراع بين الدولة الصفوية التي كونها المسلمون في ايران ، والدولة العثمانية التي كونها المسلمون الاتراك ، ولم تنجح محاولة نادر شاه التوفيقية لازالته ، وكان من الطبيعي أن يغري الصراع بين هاتين الدولتين الدول الاجنبية ، بل ويتيح لها امكانية السيطرة على عدد من المراكز البحرية في المنطقة . ومما لا شك فيه أن وجود العنصر الاجنبي يساعد في تغذية الصراع بين الدولتين ، كما أن عدداً من

بعث الرسول الكريم ﷺ برسالة إلى ملك فارس يدعوه فيها للاسلام ، إلا إن الرسل قوبلوا بالرفض ، فلم يكن بدّ من فتح بلاد فارس الذي كان في زمن الخليفة الثاني ؛ وذلك لازالة الحواجز التي تعترض سبيل نشر الدعوة الاسلامية بين الشعوب .

وهكذا ظلت عمليات الاخذ والعطاء والاندماج بين الشعوب الاسلامية تقدم مثلاً جيداً لكيفية التمازج الحضاري بين الشعوب الاسلامية ، وظل هذا الوضع بين المسلمين العرب والاييرانيين في اطار الحضارة الاسلامية حتى قيام الدولة الاموية ، وانحيازها الواضح للعنصر العربي ، مما دفع بالمسلمين الذين ينتمون للاصول الفارسية إلى مساندة الدولة العباسية والاسهام في القضاء على الدولة الاموية . بل إن اطلاق وصف العصر الذهبي للحضارة الاسلامية في العصر العباسي ، إنما يرجع إلى شدة الامتزاج بين العرب والفرس ؛ حتى إن دخول

أفرزت نظاماً عالمياً جديداً قطباه الولايات المتحدة الأميركية والاتحاد السوفياتي (سابقاً) ، ثم ما شهدت المنطقة العربية من قيام دولة إسرائيل ، ثم تزايد حركة المد القومي التي قادها جمال عبد الناصر ، كل ذلك ساعد في تعميق وتوسيع هوة الخلاف بين العرب وإيران .

بدأ الخلاف وكأنه يدور بين أيديولوجية القومية العربية وأيديولوجية أخرى دعمها نظام الشاه في إيران ؛ فقد كانت ذاكرة العرب تذكر الموقف الإيراني السلبي في عهد الشاه واعترافه بإسرائيل عام ١٩٥٠م ، وتوجه الدولة الإيرانية آنذاك نحو الاستراتيجية الأميركية المعادية لحركة المد الإسلامي في الوطن العربي ، إلى أن تفجرت الثورة الإسلامية في إيران عام ١٩٧٩م ، لتبدأ مرحلة جديدة من العلاقات العربية - الإيرانية .

لقد اعتبر الكثير من الدول العربية تحول إيران من

المسلمين توجه نحو الدولة العثمانية التي تستند إلى المذهب السني ، بينما ذهب الآخرون إلى الدولة الإسلامية في إيران لأنها تمثل المذهب الشيعي ؛ مما أدى إلى زيادة التوتر بين العرب والإيرانيين . على أنه تظل ثمة نقطة هامة في هذا الصدد ، وهي أن الإسلام لعب الدور الرئيسي في علاقة العرب بالإيرانيين ، حيث يمكن اعتبار الإسلام هو الإطار الأوسع للحديث عن علاقة المسلمين العرب بأخوانهم المسلمين في إيران ، بمعنى أن الإسلام كان وما زال القاسم المشترك الأعظم بين القوميتين .

بيد أن انتهاء الخلافة الإسلامية العثمانية على يد مصطفى كمال أتاتورك في عام ١٩٢٢م ، واتجاه الدول المنفرطة من عقد الخلافة للبحث عن توجهات أخرى بمفردها ، وكذلك المتغيرات التي شهدتها العالم ، ولعل من أهمها قيام الحرب العالمية الثانية التي

الايروانية ، التي دامت قرابة ثمانى سنونات ، وادت اضافة إلى استنزاف قوة الدولتين إلى تزايد الحساسيات بين الجانبين ، مما ادى إلى توتر فى علاقات الجمهورية الاسلامىة ببعض الدول العربىة ، التى كانت قد انقسمت بشأن الموقف من هذه الحرب . اضافة إلى مخاوف البعض من تأثير الثورة الاسلامىة ، خصوصاً وأن كثيراً من هذه الدول تضم جماعات اسلامىة متعددة ، قد يؤدى الاتصال بينها وبين قوى الثورة الاسلامىة إلى الدفع فى اتجاه إحداث تغييرات فى هذه الدول . ومن ناحية اخرى هناك موقف الجمهورية الاسلامىة فى ايران المعارض لعملية التسوية السلمىة مع الكيان الصهيونى ، فى حين نرى عدداً من الدول العربىة قد قطعت شوطاً كبيراً فى تطبيع علاقاتها باسرائيل ، بموجب القرار الذى اتخذه الرؤساء العرب باعتراف السلام خياراً استراتيجياً ،

امبراطورىة شاهنشاهىة إلى جمهورىة اسلامىة دعماً لقضاياها ، ولكن فى نفس الوقت رأينا العديد من حكومات هذه الدول العربىة تخشى امتداد الثورة إليها ؛ الامر الذى ادى إلى توتر بعض النظم العربىة التى عملت للحيلولة دون تحقيق ذلك الهدف ، بل خلقت مناخاً متوتراً إلى حد ما ، رغم أن الجمهورية الاسلامىة وعدداً من الدول العربىة قد اقامت علاقات تعاون وثيقة .

إن السنوات الاولى للثورة الاسلامىة لم تشهد ما كان مأمولاً من علاقات عربىة ايرانىة متطورة بصفة عامة ، ومن دعم عربى للثورة الاسلامىة فى ايران مقابل الدعم الاسلامى الايرانى لقضية العرب والمسلمين المركزىة وهى قضية فلسطين .

إن التطور السلبى فى مسار العلاقات العربىة الايرانىة فى المرحلة التالىة بعد انتصار الثورة الاسلامىة فى ايران ، كان أحد أسبابه الاساسىة الحرب العراقىة -

الايرانية ، فإن اوائل التسعينات أوضحت أن كثيراً من التوجهات والسياسات قد بدأت تتطور من جانب الطرفين ، وأنهما يسيران في اتجاه تحقيق الآمال ؛ وذلك بإقامة علاقات قوية تخدم مصالح الجانبين ، بسبب موقف الجمهورية الاسلامية في ايران من حرب الخليج الثانية ١٩٩٠ - ١٩٩١ م ، الذي كان بمثابة الحلقة المفقودة التي اعادت العلاقات بين الطرفين بعد فترة طويلة من التوتر .

عندما وقعت ازمة الخليج لم يكن قد مضى على قبول الجمهورية الاسلامية الايرانية وقف اطلاق النار مع العراق سوى عامين فقط ، ورغم ذلك لم تستجب ايران الاسلامية للضغوط ، وتمسكت بحيادها الايجابي ، وفي نفس الوقت سمحت بتزويد العراق بالمعونات الغذائية والطبية ، وكذلك فتحت مطاراتها لاستقبال الطائرات الناجية من الدمار .

رغم الموقف الصهيوني المتعنت تجاه تلك العملية .

إن دستور الجمهورية الاسلامية في ايران يؤكد على فكرة أن المسلمين جماعة واحدة ، ومن ثم فإن سياستها العامة تؤسس على اساس وحدة وتحالف الدول الاسلامية ، ومن هنا تبلور مفهوم الحكم الاسلامي محوراً رئيساً للتعامل مع الواقع بمختلف قوميته العربية والفارسية والتركية وغيرها .

إلا إن الدول العربية وإلى الآن لم تستطع تشكيل استراتيجية واحدة شاملة تنظم علاقاتها مع الجمهورية الاسلامية الايرانية ، وتقيم معها علاقات وثيقة ، بل تركوا هذه العلاقة اسيرة للظروف ولتصورات كل دولة بشأن مصالحها الحيوية وأمنها القومي .

وإذا كانت الحرب العراقية الايرانية تعد التطور الاكثر سلبية على مسار العلاقات العربية

التعايش السلمي وحوار الحضارات ، له الاثر البالغ في تعزيز اواصر التواصل الاقليمي بين ايران ومحيطها العربي والاسلامي .

فعلى الصعيد العربي كان هناك تطور ايجابي ملموس في علاقة الجمهورية الاسلامية مع بلدان مجلس التعاون الخليجي ، التي بدأت خطوات جادة لتعميق العلاقات مع ايران الاسلامية ، كما شهدت لغة الخطاب السياسي المتبادل بين عدد من المسؤولين العرب والايرانيين تطوراً ايجابياً وثباتاً نسبياً ، وأثبت الجانبان حرصهما على تجاوز مرحلة عدم الاستقرار ، التي كانت تميز علاقاتهما حتى وقت قريب ، كل ذلك مضافاً إلى العلاقات المتميزة والاستراتيجية الهامة التي تربط الجمهورية الاسلامية بسورية .

أما على الصعيد الاسلامي فكان النجاح الذي حققه مؤتمر القمة الاسلامي في طهران ،

إن الجمهورية الاسلامية في ايران لم تقبل عدوان دولة على دولة اخرى ، واتخذت موقفاً مبدئياً من العدوان ، وربطت حيادها بعدم تدخل دويلة اسرائيل في الحرب ، وهو الامر الذي ادركته اطراف الازمة ، وتم إلزام الكيان الصهيوني بعدم التدخل في الحرب .

واليوم هناك فرصة كبيرة امام الجميع للتفاعل مع ما طرحه الجمهورية الاسلامية في ايران ، لخلق اجواء صادقة وعلاقات جديدة بدعوتها لحوار الحضارات ، مما يضع كافة الاطراف امام مسؤولية فتح حوار جاد مع ايران الاسلامية لتوحيد الجهود ، في اطار انتمائها لحضارة واحدة هي الحضارة الاسلامية ، وذلك من اجل مواجهة التحديات التي يفرضها الطرف الخبيث الآخر ، الذي مازال يصصر على أن الاسلام هو العدو الرئيس له .

إن ما تدعو إليه الثورة الاسلامية في ايران من ضرورة

الاستكباري على علاقاتها ،  
لا سيما في ظل هيكلية النظام  
الدولي الحالي القائم على قطبية  
واحدة .

واخيراً لابد من صياغة نموذج  
لادارة الازمات التي تحدث بين  
الاطراف ، يتم من خلاله الاتصال  
والتفاعل السريع لاحتواء أي  
مشكلة ومنع تصاعدها .

إن الجمهورية الاسلامية في  
ايران اليوم اكثر اصراراً وثباتاً في  
التوجه نحو المسلمين بشكل عام ،  
والعرب منهم بشكل خاص ،  
ولأجل أن ترقى العلاقات  
الاسلامية (العربية الايرانية) لابد  
من بذل المزيد من الجهد لكلا  
الطرفين من اجل تعزيز وتطوير  
هذه العلاقة .

\* \* \*

□ فلسطين

عرفات تنازل عن كل شيء

مقابل لا شيء

لم تشهد الساحة الفلسطينية

والقرارات التي خرج بها هذا  
المؤتمر الاسلامي ، ومستوى  
حضور الدول الاسلامية فيها  
خير دليل على نجاح النهج  
القويم والسليم للجمهورية  
الاسلامية ، في تحسين علاقاتها  
مع جيرانها .

ولأجل الارتقاء بالعلاقات  
العربية الايرانية لابد من توسيع  
مستويات التفاعل سياسياً  
واقتصادياً واجتماعياً وثقافياً بين  
الطرفين ؛ كي لا يحدث اختلال في  
العلاقة لجانب ويهمل الجانب  
الأخر ، ولكي لا تحسب المبادرة  
طموحاً ذاتياً أو تدخلاً في الشؤون  
الداخلية . ومن ناحية أخرى لابد  
من الاتفاق على آلية معينة لتحديد  
مسارات العلاقة بين الجانبين ،  
كأن يتم الاتفاق على تأسيس لجان  
مشتركة للتعاون ، أو تحديد  
صيغة لقاءات على مستويات  
القيادات تتحدد خلالها قنوات  
التعامل .

كما يجب على الاطراف أن  
تعتمد إلى تقليل اثر العامل الدولي



يدور في اروقة سلطة الحكم الذاتي ودواثرها وملفاتها ، دون أن يعير الشعب الفلسطيني أية أهمية له ، فالجهاد والعمليات الاستشهادية هي سمة هذا الشعب المسلم ، وستبقى حية مستمرة مادام هناك احتلال واغتصاب لارض فلسطين الاسلامية .

إن خطوة عرفات هذه اكدت بما لا يقبل الشك أن السلطة الفلسطينية الحالية ، هي ابعد ما تكون عن القضية الفلسطينية واهدافها السامية ، ورجالها اليوم هم في خانة الخونة الذين طعنوا القضية الفلسطينية من الخلف . لم يتوقف عرفات عند هذا الحد ، وإنما التفت مؤسساته الامنية مع الاجهزة الصهيونية والاميركية ؛ لوضع برنامج متقدم لمواجهة التحريض ضد الكيان الصهيوني . وتم فعلاً ذلك ؛ حيث شنت سلطة عرفات حملات قمعية وارهابية ، واعتقالات واسعة النطاق شملت العلماء الفلسطينيين ، واعضاء واتباع الحركات الاسلامية كالجهاد

خيانات مكشوفة وسافرة ، كالتى شهدتها هذه القضية خلال العام الماضى ١٩٩٨م ، الذى تميّز باستمرار سلطة الحكم الذاتى بالتعاطي في عملية التسوية ، التى تحرك خيوطها الادارة الاميركية ذات التوجه الصهيوني .

انتهى العام بعقد ما يسمى باتفاق واي ريفر ، تحت اشراف الادارة الاميركية ، وكان اهم عنصر فيه هو اخضاع كل نواحي الحياة الفلسطينية إلى مقتضيات الاوهام الامنية الصهيونية .

أقدم عرفات على إلغاء بعض بنود الميثاق الوطنى الفلسطينى ، المتعلق بإزالة دويلة اسرائيل مقابل وعود واهية .

إن قرار عرفات الخياني هذا ولّد صدمة كبيرة لدى الشعب الفلسطينى بكافة شرائحه اولاً ، ولدى العالم الاسلامى ثانياً ، غير أن الجميع يدرك جيداً أن عرفات لا يمثل الشعب الفلسطينى ، أو قواه الوطنية أو الاسلامية حتى يملى رأيه ، فالقرار العرفاتى سيبقى

وحماس .

كما أصدرت سلطة عرفات قراراً بجمع الاسلحة التي بحوزة الشعب الفلسطيني ، والتي يدافع بها عن نفسه غطرسة المستوطنين الصهاينة ، وبطش القوات الصهيونية المحتلة ، التي تواصل عمليات قتلها لابناء الشعب الفلسطيني بحجة وبدون حجة .

سلطة عرفات نقّدت كل هذه التنازلات ، التي هي في الواقع شروط وضعها تنتياهو ، وألزم بها عرفات خلال اتفاق واي وبعده ، على أمل أن يلتزم نتنياهو بهذا الاتفاق ، وأن يلين هذا الصهيوني امام كلينتون .

جاء كلينتون وتجول وخطب في الفلسطينيين ، ومارست السلطة الفلسطينية حملة دعائية معتبرة ذلك نصراً ، واتهمت المعارضين بأن سياستهم عدمية ، وذلك رداً على المؤتمر الوطني الشعبي الذي عقد في دمشق ، وحضرته شخصيات وفصائل فلسطينية تمثل اكثرية شرائح

الشعب الفلسطيني ، ورفضت فيه إلغاء بنود الميثاق الوطني الفلسطيني ، واعتبرته خيانة للشعب ولل قضية الفلسطينية وللأمة الاسلامية .

إلا إنه لم تمض فترة قصيرة على وجود كلينتون في الارض المحتلة ، حتى تبين أن الزيارة لم تخدم سوى كلينتون والصهاينة أنفسهم ، دون أن يحصل عرفات على أي شيء ، سوى أنه ساهم مساهمة فعالة في تقديم الخدمات والتنازلات للعدو الغاصب ، على حساب تصفية الميثاق الوطني ولجم افواه الشعب الفلسطيني ، وزجّ المئات من احراره في السجون ؛ لأن كلينتون فشل في اقناع نتنياهو .

وما إن رحل كلينتون حتى اعلن نتنياهو أن تغيير وإلغاء الميثاق الوطني الفلسطيني ليس كافياً ، وكذلك لجم افواه الشعب الفلسطيني وزجّ احراره ومجاهديه في السجون ، فوضع شرطاً جديداً لعرفات ، وهو التعهد بعدم الاعلان

اداريّاً وسياسياً ، ويكون بذلك جسراً للعدو نحو المنطقة العربية .

أما مسألة الاستيطان وبناء المستوطنات فقد أصبحت في نظر نتنياهو من ثوابت سياسته ؛ لأن استمرار الاستيطان والسيطرة على مزيد من الاراضي ، وكذلك توقف نتنياهو من الانسحاب من الضفة الغربية ، يعني عدم وجود دولة فلسطينية أو كيان فلسطيني .

لم يبق امام عرفات وسلطته الذاتية إلا الاعلان عن فشل عملية التسوية ، واعادة النظر في الاستراتيجية الفلسطينية ، والاتحاق بصفوف المجاهدين والمناضلين ، والإفراج عن المعتقلين ، والسماح للشعب الفلسطيني بمواصلة انتفاضته المباركة وإحيائها . أما أن يظل يراهن على عملية التسوية ، فلا يوصله هذا الرهان إلا إلى مزيد من المآزق والمطبات ، ولا يحصل على أي شيء مما يريد ، وهذا

عن الدولة الفلسطينية في الموعد المقرر لها في اتفاقية اوسلو ، وهو الرابع من مايس ١٩٩٩م ، حتى يتم الالتزام الصهيوني بالاتفاق الاخير .

وتزامن هذا الشرط الجديد مع إعطاء نتنياهو الاوامر ببناء حي جبل أبي غنيم في القدس الشرقية .

إن نتنياهو جعل عدم اعلان الفلسطينيين لدولتهم المستقلة من ثوابت سياسته مع الفلسطينيين ، وذلك ليؤكد القناعات والتحليلات السابقة بهذا الخصوص ، بشأن الموقف الصهيوني من اقامة الدولة الفلسطينية .

أما عرفات فلا بد له من الآن أن يفكر أن قيام دولة فلسطينية مستقلة سيبقى حلماً ، إذا راهن على عملية التسوية ولم يتخل عن هذا الخيار الفاشل .

يبقى احتمالاً ضعيفاً أن يوافق العدو الغاصب على كيان فلسطيني - ليس دولة - ناقص السيادة ، يرتبط أما بالعدو أو بالاردن

وكلما وجدوا أن الهزيمة النفسية والانكسار المعنوي يلف الجبهة العربية الاسلامية .

إن عرفات حينما يركز على هذا التصور إنما يبرر لنفسه مواصلة مهزلة التسوية ، التي لا يحصل منها على سوى الخراب والاحباط والخيبة . وإذا كان عرفات قد احس فعلاً بأنه ارتكب اكبر خطأ طوال تاريخ القضية الفلسطينية ، وأنه يذعن حقاً بذنبه القاتل وخطواته المتخاذلة والمتسارعة ازاء وعود وهمية ، فعليه أن يتراجع عن قراره ويحل المجلس التشريعي الذي لا يمثل الشعب الفلسطيني ، ويستعد لاعداد ترتيبات جدية للتمهيد لانتخابات حرة ، يستطيع الشعب الفلسطيني من خلالها انتخاب ممثليه الحقيقيين ، ليقولوا كلمتهم التاريخية ، ويفصلوا في القضايا المصيرية للشعب الفلسطيني .

اما إذا كان في نية عرفات المناورة والضحك على الذقون من خلال هذه الكلمات ؛ من اجل أن

ما حصل فعلاً ، حيث إن العدو الصهيوني وضع مطار غزة تحت سيطرته الكاملة ، ولم يعط الفلسطينيين سوى دور القيام بالامور الاجرائية فيه ، فلا دخل لهم لا في تعيين الرحلات ولا في التفتيش ، ولا في كل شيء مما يرتبط بالسيادة من بعيد أو من قريب .

إلا إن عرفات وسلطته يحاولون تضليل الرأي العام ؛ وذلك بادعائهم أن نتنياهو هو المسؤول بشخصه عن مأزق عملية التسوية ، واتفاق واي ريفر الاخير ، في حين أن الامر يختلف تماماً ؛ إذ إن نتنياهو يمثل اتجاهاً استراتيجياً صهيونياً ، يتبناه كل الصهاينة على اختلاف مشاربهم وانتماءاتهم وطوائفهم .

نتنياهو لم يكن شخصاً متصلاً وحسب ، وإنما هو يمثل منهجاً صهيونياً متصلاً ، ويزداد تشدداً يوماً بعد آخر ، كلما وجد الصهاينة أن الانتفاضة الفلسطينية قد خفتت ، والعمليات الاستشهادية قد توقفت ،

امتلاك ارادة أو قرار سياسي للحكم .

أما في الجانب الآخر فهناك شعب قوي متماسك بفضل آيات الصحوه المباركة ، ودروس الجهاد العظيمة ، وخبرة وتراكمات الماضي القاسية ، التي تحمل في طياتها انواع المجازر والويلات والتشريد ، وهو اليوم اقوى من أي وقت مضى ، فهو ينظر إلى المستقبل بتفاؤل وامل كبيرين ؛ نتيجة لمعالم الصحوه والوعي الاسلامي المتصاعد لدى هذا الشعب المجاهد .

إن الخطوات الخيانية التي تشهدها الساحة الفلسطينية ، هي بالتأكيد محطات مصيرية لولادات جديدة ، توطئ للجيل الصاعد مهمات مستقبلية تقبر الخطوات الاستسلامية ، وتغسل عار الهزائم والتخاذل ، وتجبر المحتلين على الاستسلام للامر الواقع ، والرضوخ الكامل لحقوق الشعب الفلسطيني المشروعة .

\*\*\*

يلمع صورته القاتمة ، ويعيد حيثيته الضائعة ، فإنه مخطئ ؛ لأن القضية الفلسطينية لا تتحمل خيانة بهذا الحجم . وعليه أن يفسح المجال لمن هم اهل أن يتصدوا للقضية ، ويواصلوا الطريق الطويل ، فالشعب الفلسطيني الذي غرق في الوعود الكاذبة ، وسئم من مناورات سلطة الحكم الذاتي ، لم ينخدع بهذه البساطة عندما يتفوه عرفات بكلمات تعجيزية ، يحاول من خلالها القاء اللوم على الآخرين ؛ ليخرج سالماً من المأزق الذي اوجده بنفسه .

هذا هو واقع سلط الحكم الذاتي وقيادتها المتخاذلة المساومة الضعيفة ، التي ألقت بكل ثقلها على الادارة الاميركية المحكومة باللوبي الصهيوني ؛ لحلحلة الوضع الفلسطيني ، وايجاد صيغة توافقية ، لكن الادارة الاميركية عجزت حتى عن تشكيل مستعمرة صغيرة داخل الكيان الصهيوني ، تلبي طموحات عرفات وزمرته للعيش فقط ، دون

## □ العراق

### اميركا وسياسة الاحتواء المزدوج

#### للنظام والمعارضة .

تواصل اميركا تحركها على صعيد التنسيق مع المعارضة العراقية ، فبعد أن تبنت تسوية الخلافات بين الحزبين الكرديين الديمقراطي بزعامة مسعود البارزاني والاتحاد الوطني بزعامة جلال الطالباني ، انتقلت إلى خطوة متقدمة ، وذلك بإعلانها قراراً من أجل تحرير العراق ، ورصد مبالغ طائلة لهذا الغرض ، مدعية أن خطوتها هذه جاءت من أجل تمكين المعارضة العراقية من الاستيلاء على الحكم في العراق .

الادارة الاميركية أعلنت أنها جادة في التعامل مع المعارضة العراقية ، والتحرك معها من أجل إسقاط النظام في العراق . وقد التقى مارتن انديك مساعد وزيرة الخارجية الاميركية عدداً من الفصائل العراقية ، وذهب إلى كل من باريس ولندن للتحدث بهذا الشأن مع المسؤولين الفرنسيين

## والبريطانيين .

كما قامت وزيرة الخارجية الاميركية وباقي المسؤولين بتحركات على الصعيد الاقليمي والدولي ، وكذلك على صعيد المعارضة العراقية .

وفي نفس الوقت تحركت لندن بالتنسيق مع واشنطن صوب اطراف المعارضة العراقية ؛ وذلك لإيجاد طرف معارض ينسق معه بشأن المستقبل السياسي للعراق . وتشير بعض المعلومات إلى أن واشنطن نسقت مع بعض الرموز والأطراف المعارضة ، التي أبدت استعدادها لتنفيذها ما تمليه عليها الادارة الاميركية .

إن هذا التحرك من قبل الادارة الاميركية لاحتواء المعارضة العراقية من وجهة نظرنا ، ليس من أجل خدمة المعارضة كما يظن البعض ، لأنه لم يكن في نية الولايات المتحدة الاميركية أو حلفائها اتخاذ قرارات علنية وخطيرة ، فيما يخص الشأن العراقي ، خصوصاً وأن الملاحظ

بأنها تراهن على سياسة فاشلة  
ابتزتها مالياً وسياسياً ، وهددت  
بأنها لا تتحمل هذا الوضع بسبب  
ما تعانيه من ضغوط اقتصادية  
 واجتماعية ، وما يسببه وجود  
القوات الاميركية في المنطقة من  
إحراج شديد أمام الرأي العام  
الداخلي والخارجي .

ثانياً : تزايد التخوف الاميركي  
من تداعيات الساحة الداخلية  
العراقية ، فالتقارير تشير إلى تزايد  
احتمالات حصول تطورات يمكن  
أن تؤدي إلى تغيير النظام  
السياسي في العراق . ومنشأ  
التخوف الاميركي هو احتمال  
سيطرة التيار الاسلامي على  
الوضع هناك ؛ ذلك أن التنامي  
الاسلامي شهد طفرة نوعية في  
العراق خلال سني الحظر  
المفروض ، أي منذ الانتفاضة  
الجماعية الشعبية بعد حرب  
تحرير الكويت حتى الآن ، فظاهرة  
الحجاب بدأت تجتاح الشارع  
العراقي بشكل بارز ، والمظاهر  
الاسلامية بدأت تشكل معلماً لهذه

أن الحلفاء - وعلى رأسهم اميركا -  
اكتفوا في حرب الخليج الفارسي  
الثانية ، بإجبار النظام العراقي على  
الانسحاب من دولة الكويت ،  
وكذلك تحطيم آلتة العسكرية  
وتدمير البنى التحتية للعراق ، في  
حين أبقت على النظام خدمة لما  
أسمته بالتوازن الإقليمي ، الذي  
خشيت أن يتعرض لاهتزاز يؤدي  
إلى ما لا تحمد عقباه .

إذن جاء هذا التحرك لعدة  
أسباب تتعلق بسياسة اميركا .  
منها :

أولاً : فشل سياسة الاحتواء  
التي كانت تتبناها الإدارة الاميركية  
إزاء العراق ، علماً أن أكثر الاوساط  
الأكاديمية - وحتى بعض الاوساط  
الرسمية الاميركية - انتقدت هذه  
السياسة واعترفت بأنها فاشلة ،  
وأنه لا بد أن تفكر الادارة الاميركية  
بسياسة جديدة إزاء العراق ، كما  
أن هناك ضغوطاً وانتقادات من  
بعض الأوساط الإقليمية لواشنطن  
على هذه السياسة ، كما أن هذه  
الأوساط الإقليمية اتهمت واشنطن

يلاحظ العالم أن الواقع يعاكس تماماً ما تدعيه واشنطن من مبررات لاستمرار الحظر .

رابعاً : وجدت الادارة الاميركية أن لعبة جر الحبل مع العراق ، التي دأبت عليها طيلة الثمان سنوات الماضية ، قد فقدت بريقها ، وباتت تثير الانتقاد والاشمئزاز ليس عند الحلفاء الغربيين فحسب ، وإنما عند الحلفاء الإقليميين أيضاً . فهذه اللعبة التي جنت أميركا من ورائها عقد عشرات الصفقات من الأسلحة مع دول الخليج الفارسي العربية ، باتت اليوم عديمة الفائدة .

خامساً : شعرت اميركا أن طموحها في فرض نظام القطبية الواحد على العالم بدأ يتزلزل ؛ حيث بدأت تظهر تكتلات جديدة تنافس اميركا ، فرغم أن أميركا وبريطانيا ينسقان بينهما في هذا الأمر ، بدأت فرنسا تميل إلى التنسيق والتفاهم مع روسيا . ثم إن التنسيق الروسي بدأ ينمو بشكل متزايد ، وذلك وسط

الفترة ؛ ذلك أن صلاة الجمعة في بغداد والكوفة وفي المدن العراقية الاخرى تضم مئات الآلاف من المصلين ، كما أن المساجد العراقية اصبحت عامرة بروادها بشكل لا مثيل له ، حتى في فترة تنامي الصحوة الاسلامية بعد انتصار الثورة الاسلامية في ايران .

ثالثاً : أن معاناة الشعب العراقي اخذت منذ فترة تشكل إحراجاً شديداً لواشنطن ؛ ذلك أن هذا الحظر فتك بالشعب العراقي دون أن يمسّ النظام العراقي ؛ فأرقام الوفيات بين الاطفال والمسنين تتزايد يوماً بعد آخر ، حتى بلغت عشرات الآلاف ، والامراض المعدية اخذت تسري في المجتمع بسبب نقص الادوية وفقدان التجهيزات الطبية اللازمة ، مما جعل الاوساط الاقليمية والدولية تطرح تساؤلات عن الهدف الحقيقي لأميركا ، الذي تعلن فيه أن الحظر يستهدف إضعاف النظام العراقي ، في حين



القادمة .

أما الحقيقة الأخرى فهي أن اميركا لا تعول على المعارضة العراقية كثيراً؛ لأن المعارضة التي أخذت تنسّق معها اميركا وبريطانيا في الخارج ، هي معارضة إعلامية لا وجود جماهيري لها في اوساط الشعب العراقي ، كما أنها محكومة بمصالحها الفئوية ، وهي لذلك ليس لها أداء ميداني ، أو لازال أداؤها دون المستوى المطلوب ، مما جعل الشعب العراقي في الداخل لا يعول عليها ولا يؤمن بمصداقيتها .

إن الشعب العراقي الذي مُني بالمرح السياسية ، والانقلابات العسكرية المقومة بخطط وقرارات القوى الأجنبية ، ومآسي الحروب التي حُمِلَ إياها ، والتي لم تخدم إلا مصالح الاستكبار ، وعانى من جور حكامه الطغاة الكثير على طول العقود الاخيرة ، - وقد نجح في التعبير عن ارادته الحقيقية المستقلة بانتفاضة شعبان

مساعي صينية وروسية مشتركة لاستقطاب اليابان .

حتى إن الاوساط الإقليمية التي تحسب على النهج الاميركي بدأت تعترض على سياسة اميركا التسلطية على العالم .

لكل هذه الأسباب وغيرها اندفعت اميركا باتجاه المعارضة العراقية لاحتوائها ؛ حذراً من وقوع المحذور في العراق .

وهنا لابد للمعارضة العراقية أن تعي عدة حقائق ، منها أن هناك مصالح اميركية لازالت قائمة ببقاء النظام الحاكم في العراق ؛ لأن هذا النظام مازال يخدم - ولو بشكل غير مباشر - المصالح الاميركية في المنطقة ؛ وإذا قُدِّر أن دخلت القوات الاميركية - وهذا ما لا يحصل بحسب السياسة الاميركية في المنطقة - تحت شعار تحرير العراق وإنقاذ شعبه ، فإن ضريبة هذا الدخول ستثقل كاهل الشعب المظلوم ، وفي نفس الوقت تقيد المعارضة بعشرات الاتفاقيات المجحفة بحق الاجيال

الهاربين والعائدين على حد سواء ، فأوربا لا ترغب بهم على اراضيها ، وبلغراد لا تريد لهم في موطنهم مرة اخرى ، وبين هذه وتلك تنشط مجموعات جيش تحرير كوسوفا بكثافة وفعالية ، وتحاول دون كل اختراق الحدود ومد المقاتلين بالمؤن والاسلحة انطلاقاً من البانيا الأم .

أما الحدث الاهم سياسياً فهو اخفاق الوسيط الاميركي كريستوفر هيل سفير واشنطن في مقدونيا ، في تسويق خطة الحل بين الصرب والألبان ، فالنظام اليوغوسلافي لا يرضى بأي مشروع يؤدي لاحقاً إلى اظهار القومية الالبانية المستقلة ، ولو من الناحية الفكرية والثقافية ، والألبان بمختلف اتجاهاتهم لا يقبلون بأقل من حكم ذاتي موسع ، مع العلم أن جيش تحرير كوسوفا يعلن أنه يرفض الخضوع لنظام بلغراد مهما تكن التضحيات ، وأن هدفه هو الاستقلال الناجز ، وكل الوسائل مشروعة لتحقيق الهدف . وقد

البطولية في عام ١٩٩١م - نقول إنه بكل ذلك لجدير بأن يتعامل بحذر ويقظة تامتين ووعي سياسي مع المؤامرة الجديدة ؛ ويفوت الفرصة على قوى الاستكبار وعملائه أن يستثمروا معاناته ومحنته المتفاقمة ، ليحملوه نظاماً لا يقل سوءاً عن نظام الطاغية صدام وحكمه الجائر .

\* \* \*

### ☐ كوسوفا

#### مسلمو كوسوفا بين

##### مؤامرتين

تتواصل الحرب في كوسوفا بأشكال متنوعة ، ووفق معطيات مختلفة ، فمن الكمائن المتجولة إلى الاغتيالات المتبادلة ثم عمليات الخطف والمبادلات والمفاوضات ، والسكان المذعورون لا يكادون ينزلون من ملاجئهم في الغابات والجبال إلى مدنهم وقراهم ، حتى يعودوا إلى حيث أتوا . ولا مفر عبر الحدود ؛ فتلك مغلقة بوجه

ليس لتعظيم قواهم في المفاوضات ، بل لضمان حسن سير العملية وضمان النتائج ايضاً. بمعنى أن أي اتفاق سلام بين سلوبودان وروغوفا سيكون حبراً على ورق من دون توقيع جيش تحرير كوسوفا.

غير أن الاختلاف إلى درجة معينة قد يشكل خطراً داهماً على منجزات الحركة التحريرية بمجمّلها ، إلا إذا روعي التوازن بمعادلة دقيقة ومرنة في آن واحد .

وقد تكمن مصلحة الغرب والصرب معاً في قطيعة عميقة بين طرفي الالبان ، بحيث يضيع كل شيء في حمأة التناحر العبثي .

غير أن الضغوط الصربية المتواصلة ضد المقاتلين والمدنيين على حد سواء ، تؤدي تلقائياً إلى رص صفوف المسلمين الالبان تدريجياً خلف راية جيش التحرير ؛ باعتباره الأكثر تمثيلاً لرغبات السكان . فقد أعلن جيش

اضحى جيش التحرير منافساً قوياً لحكومة الظل الالبانية ، التي يترأسها ابراهيم روغوفا صاحب نظرية النضال السلمي .

ويتعاضد الاقتناع الشعبي بصواب الخيار المسلح المفتوح على كافة الاحتمالات ، خصوصاً أن خصماً عنيداً مثل سلوبودان ليس من النوع الذي يترك لاعدائه خيارات متاحة أخرى ، بل يسد آفاق الأمل باصراره الوقح على تنفيذ مخططه القديم ، في التنظيف العرقي الذي لا ينطوي على أي تساهل أو تسامح ، أو رغبة بالتعايش السلمي الحضاري على ارض واحدة .

إلا إن الاختلاف في وجهات النظر بين مسلمي ألبان كوسوفا ، يضعف موقفهم العام بإزاء الآخرين ، مع العلم أن الاختلاف نفسه يمنح المسلمين الألبان فرصاً أكبر للمناورة والضغط . ومن المعروف أن الولايات المتحدة الاميركية والاتحاد الاوربي يطالبان بتوحيد صفوف الالبان ،

السافر ، والاخرى مؤامرة دول  
حلف الناتو المتخفية وراء ستار  
حماية حقوق الالبان في كوسوفا .

\* \* \*

#### □ فرنسا

#### إصدار وثيقة مسيحية بأن الدين الاسلامي لا يناقض الدين المسيحي

تمخّضت اللقاءات والندوات  
السنوية التي اشترك فيها ممثلون  
للكنيسة الفرنسية والجمعيات  
الاسلامية ، منذ عام ١٩٤٥م ولحد  
الآن ، عن إصدار وثيقة اعتبرت  
الايواساط المعنية والاعلامية مهمة ؛  
لكونها تعالج جوانب العلاقة بين  
المسيحيين والمسلمين في فرنسا .  
وقد صدرت هذه الوثيقة بعد  
اختتام مؤتمر أساقفة فرنسا  
السنوي الذي عقد في مدينة لورد  
المقدسة عند المسيحيين  
الفرنسيين ، وقد حددوا المحاور  
الاساسية لسياستهم المستقبلية  
في مؤتمرهم هذا ، وكذلك تداولوا  
تفاصيل هذه السياسة وخاصة في

تحرير كوسوفا مثلاً عن تأسيس  
محطة اذاعة ووكالة انباء محلية ،  
رداً على التهديدات الصربية  
المتكررة ، بإخضاع وسائل  
الاعلام الالبانية للقانون الصربي ،  
واغلاق الصحف الالبانية .

على أن المأساة في طرفها  
الآخر تكمن في طريقة تعامل دول  
حلف الناتو ، التي تدعي أنها المعنية  
بحماية ابناء كوسوفا المظلومين ،  
حيث إن التجارب التي ظهرت لحد  
الآن في منطقة البلقان ، تحكي لنا  
أن دول الناتو ، وفي مقدمتهم  
اميركا ، تسوّق الاحداث باتجاه  
تحقيق سياستها في بسط النفوذ ،  
واحكام السيطرة على منطقة  
البلقان ، وهي ترى في قضية  
كوسوفا - بعد قضية البوسنة  
والهرسك - وتصعيد مسلسل  
المذابح فيها ، وسيلة  
فريدة للوصول إلى اهدافها  
المرسومة .

وهذا يؤكد لنا أن كوسوفا قد  
وقعت في فخ مؤامرتين : احداها  
المؤامرة الصربية بوجه العدائي

افضل المحاولات التي تبذلها الكنيسة في تحسين صورة الاسلام ، التي شوّهها الاعلام في نظر عامة المسيحيين ، حيث سادت اجواء الخوف داخل المجتمع المسيحي في فرنسا من الاسلام ، واصبح المواطن الفرنسي العادي يربط بين الاسلام والإرهاب .

وقد سادت الاجواء الايجابية داخل المؤتمر ، حيث صرح رئيس اساقفة مدينة مرسيليا قائلاً : «نحن نعتزف أن للمسلمين مكانتهم في المجتمع الفرنسي ، وأن لهم حقوقاً وواجبات مماثلة لحقوق المسيحيين وواجباتهم ، وأن محاولات إبقائهم على هامش المجتمع لم تعد تحتملها الكنيسة» .

وعلى صعيد آخر قام رئيس اساقفة ليون الجديد بزيارة الجامع الكبير في مدينة ليون ، وقد عبر عن زيارته بقوله : «رغبت أن أزورك في بداية حضوري إلى ليون ؛ لكي اعبر لكم عن تحياتي

مسألة الحوار مع المسلمين . وهذه الوثيقة المكوّنة من خمس عشرة صفحة ، تناولت دور الكنيسة الفرنسية في التعامل مع الحضور الاسلامي على الاراضي الفرنسية، الذي يشكل اليوم عشر سكان فرنسا . علماً أن الجالية الاسلامية في فرنسا تتعرض للكثير من التجاوزات بسبب ممارستها لعقائدها الاسلامية .

تكمن اهمية هذه الوثيقة في كونها تصدر عن اكبر الهيئات الدولية الفرنسية ، التي تدعو إلى الحوار مع المسلمين ، واعتبار الدين الاسلامي هو الدين الثاني في فرنسا من حيث عدد الأتباع . وتطالب هذه الوثيقة المسيحيين عموماً بتسهيل طلبات المسلمين من اجل بناء اماكن عبادتهم وجوامعهم ، كما نصّت الوثيقة على أن الدين الاسلامي غير مناقض للدين المسيحي .

وتعتبر هذه الوثيقة التي طالما انتظرها رجال الدين المسلمون ، وكذلك الاساقفة المسيحيون ، من

دورتها الاخيرة اعداداً كبيرة  
من الراغبين في دراسة  
وفهم الاسلام .

كما أن اكثر رجال الدين  
المسيحيين متحمسون اليوم  
لمشروع تأسيس معهد الدراسات  
العليا الاسلامية ، ويتوقعون أنه  
سيساهم بشكل جدي في تقديم  
معرفة علمية بعقائد ومبادئ  
الاسلام السليمة .

إن الغرب اليوم مدين للاسلام  
بالشيء الكثير ؛ فالاسلام وضع  
الاسس الفكرية لمجالات عديدة  
ومهمة وكبيرة في الحضارة  
الغربية ، علمية وثقافية ونفسية  
 واجتماعية . هذا وإن كثيراً من  
الباحثين في العالم اليوم يعيدون  
قراءة الاسلام من جديد ،  
ويكتشفون أن الاسلام هو صاحب  
السمات البارزة ، والشخصية  
الفريدة ، والذاتية المؤثرة ، والفكر  
المهيمن ، والروحانية الغامرة ،  
والواقعية القاهرة ، والقطرة النقية ،  
وأنة ديانة ورسالة ، وهدف وغاية ،  
ودعوة وبلاغ ، وقوة وعزة .

الاخوية لكم ولكل الجالية  
الاسلامية . إنها ليست زيارة  
بروتوكولية ، وإنما جئت  
اقدم احترامامي لكل المؤمنين  
بالاسلام ، وآمل أن يكون من  
اولويات عملنا هو التعاون فيما  
بيننا» .

ومن ناحية اخرى نظمت  
الجامعة الكاثوليكية في مدينة ليل  
مؤخراً دروساً في التاريخ والعلوم  
الاجتماعية الاسلامية ، حاضر فيها  
جامعيون مسلمون ، كما قدم الاب  
جون لوك برونان محاضرات  
حول الرؤية المسيحية للحوار مع  
الاسلام .

هذا وقد بدأ العمل  
في ستراسبورغ في مشروع  
تدريس الفقه الاسلامي . علماً  
أن سكرتارية الاسقفية  
الكاثوليكية الفرنسية  
المكلفة بالحوار مع المسلمين ،  
بدأت منذ سنوات بتنظيم  
دورات سنوية لتعليم الراغبين  
من المسيحيين فقه الاسلام  
ومبادئه وتاريخه ، وقد شهدت

الهولندية ، بأن الكيان الصهيوني استخدم مطار شيبول في هولندا حتى عام ١٩٩٦م ، في عمليات نقل معدات واجهزة عسكرية ، وأن هيئة الملاحة الجوية الهولندية منعت في نهاية عام ١٩٩٦م استمرار هذه العمليات ؛ بسبب الضوضاء التي تسببها الطائرات الضخمة المحملة بالمعدات ، ولا سيما في اوقات ليلية .

وتقدم نواب حزب العمل في البرلمان الهولندي بقائمة استجوابات ، حول عملية الشحن العسكري الصهيونية الكبيرة ، التي غضت الحكومة الهولندية النظر عنها مدة ست سنوات ، وأعربوا عن استيائهم من السماح لاسرائيل - الدولة التي لا تتمتع بعضوية حلف شمال الاطلسي - بهذا الاستثناء الخطير ، كما طالب نواب الحزب بسرعة اتخاذ اجراءات حاسمة لتلافي حدوث ذلك مستقبلاً ، واثبتت المستندات الرسمية التي تم التوصل إليها

إلا أننا نلاحظ في نفس الوقت أن المسلمين اليوم يغفلون عن حضارتهم الاسلامية ، ورسالتهم ومنهجهم الذي أسعد العالم قروناً طويلة .

\* \* \*

#### □ هولندا

#### محطة لعبور اسلحة الدمار للكيان الصهيوني

فجر البرلمان الهولندي فضيحة سياسية ضد حكومة بلاده ، حين اتهمها بالتغاضي والتواطؤ مع الكيان الصهيوني على مدى ست سنوات ، والسماح له بنقل معدات عسكرية عبر اجواء مناطق مدينة آمنة ، دون القيام بعمليات رقابة أو تفتيش على حمولات هذه الطائرات ، تحت دعوى أن التفتيش يؤدي إلى مشاكل في العلاقات الدبلوماسية بين الكيان الصهيوني وهولندا . واعترفت كل من هيئة الملاحة الجوية ووزارة الخارجية

هولندا ، أجازت عبر طائراته العسكرية بما يخالف اتفاقية الملاحة الجوية ، وأن السفارة الصهيونية في لاهاي تقدمت للحكومة الهولندية بطلبات الحصول على تصاريح للطيران ، ولم تبلغ إلا عن أربع عشرة عملية ، في حين أنها نفذت ستين عملية نقل للأسلحة والذخيرة .

وبالرغم من تكرار طلبات التوضيح المقدمة من الحكومة الهولندية ، تحت ضغوط البرلمان لوزارة الدفاع الصهيونية ، حول حقيقة هذه الحملات التي تم نقلها عبر الاجواء الهولندية ، لا تريد الوزارة الصهيونية التعقيب حول هذا الموضوع . غير أن كارثة طائرة العمال الصهيونية عام ١٩٩٢م ، التي انفجرت فوق حي بايلميرز بالعاصمة الهولندية امستردام ، ثبت أنها كانت محملة بمواد كيميائية أساسية لتصنيع غاز الأعصاب ، وبدأت انظار الريبة على المستويات الشعبية تتجه نسبياً نحو الدولة العبرية .

بمطار شيبول الهولندي ، وشركة الطيران الاسرائيلية ، أن اسرائيل هي الوحيدة في العالم التي قامت باستخدام الاجواء الهولندية بصفة منتظمة ، في عمليات النقل العسكرية الكبيرة ، وأنها قامت بستين عملية نقل عسكرية عبر الاجواء الهولندية ، في الفترة ما بين ١٩٩٠ و ١٩٩٦م ، منها ست عمليات خاصة ، ومعظم الرحلات كانت تتجه من الكيان الصهيوني عبر هولندا إلى الولايات المتحدة الاميركية وبالعكس ، واكدت وزارة الخارجية الهولندية أنه خلال هذه الفترة ، لم تقم هيئة الملاحة الجوية الهولندية بأي عملية تفتيش أو رقابة لحمولات الطائرات الصهيونية ؛ حيث لا يوجد قانون يسمح بتفتيش الطائرات العسكرية .

في الوقت نفسه اكدت المصادر الرسمية الهولندية ، أن الكيان الصهيوني حصل خلال هذه الفترة على تصاريح رسمية من حكومة



## الولايات المتحدة الاميركية

### صرعات الهيمنة الاميركية

#### هواء في شبك

من أجل أن نكون فهماً دقيقاً للوضع الدولي ، لابد لنا أن نذكر ما كتب وما قيل عن هذا الوضع واتجاهاته إثر حرب الخليج الفارسي الثانية ، وانتهاء الحرب الباردة وما صاحب ذلك من فرض لقراري الحصار على كل من العراق وليبيا ، وإلغاء لتوصية الجمعية العامة للأمم المتحدة باعتبار الصهيونية شكلاً من اشكال العنصرية ، واندفاع الولايات المتحدة الاميركية لفرض مؤتمر مدريد ، واطلاق المفاوضات الثنائية تحت رعاية اميركية ، على اساس مسارات متعددة .

اندفع الكثيرون الى القول بأن نظاماً عالمياً جديداً آخذاً بالتكوّن ، ستحكمه الشرعية الدولية تحت قيادة الولايات المتحدة الاميركية ؛ فالعالم اصبح تحت سيطرة القطب الواحد ، وتبع ذلك سلسلة من

الموضوعات ، التي راحت تطوّح بالثوابت والشعارات التي عرفتھا المرحلة السابقة ، وفي مقدمتها شعارات الوحدة والتحرر ، او مقاومة الامبريالية ، او مقاومة الاحتلال الاسرائيلي . بل وصل الامر بالبعض الى الهرولة الفكرية باتجاه القبول بكل ما تطالب به اميركا ، او ترفعه من شعارات ؛ بما في ذلك المتعلقة بالتطبيع مع الدويلة العبرية ؛ والتصالح مع الصهيونية .

واعتُبر النظام العالمي الجديد - الذي ستقرر ملامحه وتؤمن له القيادة الولايات المتحدة الاميركية - قطاراً مندفعاً إلى هدفه لا يوقفه شيء ، ولا يستطيع أن يصدّه شيء ؛ واعتُبر مسار التسوية ، والشرق اوسطية ، والتطبيع ايضاً قطاراً مندفعاً الى هدفه بلا توقف .

ولم يكن من نصيب لادوار الدول الكبرى الاخرى في هذه الموضوعات ، إلاّ التسخيف الى حد اعتبارها لاهثة بدورها وراء

اميركا ، لا تستطيع أن تشد عنها أو  
ترد لها طلباً . وإذا كان الامر على  
هذه الصورة بالنسبة الى الدول  
الكبرى ، فكيف هو حال دول العالم  
الثالث ؟ .

اما اذا تذكرنا ما قيل عن  
الوضع العربي رسمياً وشعبياً ،  
فسنستعيد الموضوعات التي  
تحدثت عن الخضوع الكامل  
لاميركا ، او عن العجز والوهن الى  
حد الشلل التام ؛ او تلك التي  
اعتبرت أن الوضع العربي قد دخل  
الزمن الاسرائيلي او العصر  
الصهيوني ؛ فكل شيء انتهى  
بالنسبة الى النظام العربي الذي  
اعلن عن سقوطه نهائياً . أما  
بالنسبة الى الوضع الشعبي فقد  
كثر الحديث عن سقوط عهد  
الشعاعات ، والتظاهرات ، او  
المقاومة المسلحة ضد الاحتلال  
الاسرائيلي .

واستُخفَّ الى ابعد الحدود بما  
برز من معارضة للتطبيع . هذا اذا  
لم يوصم الناس باللامبالاة  
والعجز.

لكن لم تمر بضع سنين حتى  
بدأت كل هذه الموضوعات  
بالخفوت والذبول ، بالرغم مما  
استمر من مكابرة عليها ، ومعاودة  
للسوقائع السياسية التي راحت  
توجه لها ضربات يوماً بعد يوم .  
فما من احد من اولئك يستطيع  
اليوم أن ينشر ما كتبه في تلك  
المرحلة ، وما توقعه للوضعين  
العالمي والعربي . فقد راحت  
تنتشر في الغرب واميركا في هذه  
الايام مجموعة من المقالات ، التي  
اخذت تعطي للوضع العالمي  
صورة غير تلك التي رسمت له  
قبل ثماني سنوات ، وغير تلك التي  
اعطيت للدور الاميركي أو لادوار  
الدول الكبرى الاخرى ؛ فاميركا  
تواجه تراجعاً ملحوظاً في قدرتها  
على السيطرة على الاحداث او  
توجيهها ، وإن لم تفقد قدرتها على  
التعطيل والتأزيم وافساد امكان  
التوصل الى حلول لا ترضيها .  
وشتان بين دورها حين كانت  
تستطيع أن تفرض على مجلس  
الامن القرارات التي تريد ، وتحكم

دون الاشارة إلى سمعتها التي وصلت إلى الدرك الاسفل في نظر الرأي العام العربي والاسلامي .

ويمكن أن يذكر في هذا الصدد ما تواجهه سياستها من معارضة وارباك ، حتى في النقطة التي اعتبرت من اقوى نقاطها ، حيث سجلت فيها تقدماً لنفوذها ، وهي منطقة البحيرات الكبرى ، لا سيما كسبها المعركة في الكونغو ضد فرنسا ؛ ففي هذه النقطة سرعان ما افلنت الامور من يدها ، ودخلت الكونغو حرباً أهلية جديدة . والخطر أن تكتلاً من الدول الافريقية داخل في مواجهتها من خلال مواجهة محور رواندا - بروندي - اوغندا . ويجب أن يشار بهذه المناسبة أن للموساد الاسرائيلي دوراً فاعلاً في هذا المحور كذلك .

ويأتي مؤتمر قمة حركة عدم الانحياز الذي عقد في جنوب افريقيا في ايلول ١٩٩٨م ، ليعطي مؤشراً قوياً على أن

على الجمعية العامة للأمم المتحدة ، وتلغي واحدة من اهم قراراتها من جهة ، وبين دورها حين تلوح بالفيتو او تستخدمه لتعطيل قرارات ترفضها ، أو بين دورها في الجمعية العامة ، حيث راحت تقبع في الزاوية مع الدويلة العبرية وسيشل ومعها احياناً بريطانيا ، مقابل اصوات تزيد على المئة والعشرين ضدها .

لعل تعداد الاحداث التي واجهت فيها السياسة الاميركية فشلاً ، يكاد يغطي معظم ما يمكن أن يعد من الاحداث الهامة . ويمكن أن نذكر هنا سلسلة من الفشل في المنطقة العربية ، تبدأ بما واجهته رعايتها للتسوية من معارضة وصلت إلى حد التلويح برفع يدها عن هذه الرعاية ، وتمر بما واجهته المؤتمرات الاقتصادية العالمية من الدار البيضاء إلى عمان إلى القاهرة ، إلى الضربة القاضية في مؤتمر الدوحة ، وتنتهي - ليس نهائياً - بما تشهده سياستها من ارباكات في علاقاتها العربية ،

الارض في العالم الثالث اخذت  
تميد من تحت اقدام الولايات  
المتحدة الاميركية .

لو روجعت العلاقات الاميركية  
بالدول الكبرى الاخرى ، لوجدنا  
أن نظرية عالم برأس واحد سقطت  
منذ بضع سنين ، امام اصرار  
الصين وروسيا وفرنسا على  
ضرورة أن يتسم النظام العالمي ،  
بعد انتهاء الحرب الباردة ، بتعدد  
القطبية . وهذا السقوط لم يتم  
بالبينانات الرسمية فحسب ، وإنما -

ايضاً - بالممارسات العملية في  
اكثر من مناسبة في مجلس الامن  
وخارجه . ويكفي أن نلاحظ ما قدمه  
كليتون للصين من تنازلات في  
اثناء زيارته الاخيرة لها ، حتى  
لا نرى تلك الصورة التي صُوّرت  
فيها اميركا معلماً بيده عصا  
غليظة يشير إلى الصين وغيرها  
بما يجب أن تعمله ، وما لا يجب  
أن تعمله .

ويكفي استعادة موقف غالبية  
اعضاء مجلس الامن في معارضة  
التدخل العسكري الاميركي

البريطاني في العراق .

هذه الملحوظات لا تعني أن  
اميركا لم تعد الدولة الاكبر ،  
مقارنة بكل دولة كبرى على حدة ،  
وإنما تعني أنها فقدت السيطرة ،  
وفقدت المبادرة ، وفقدت القيادة ،  
وتعني أنها لا تستطيع أن تضع  
نفسها في كفة ميزان ، حتى  
لو كانت معها بريطانيا ،  
لترجح على الدول الكبرى  
الاخرى ، إذا ما اجتمعت في الكفة  
المقابلة .

فالوضع الدولي قدر تقديرأ  
سطحياً حتى في مرحلة ما بعد  
انتهاء الحرب الباردة ؛ فما كان  
لحظة عابرة اعتبر اتجاهها عاماً .  
ولعل الخلل هو نسيان بديهيات  
اساسية في الحياة الدولية ، ومنها  
أن انفراد اميركا بالتحكم في  
العالم ، يتعارض تعارضاً عميقاً  
ومصالح الدول الكبرى وادوارها  
وامنها وتطورها ، كما يتعارض  
ومصالح الشعوب الاخرى كافة .  
وإذا اضيف إلى ذلك أن ميزان  
القوى الفعلي لا يؤهلها للتحكم في

العالم حتى لو كانت اكبر ، أو اقوى ، من أية دولة منفردة ؛ لأن التحكم في العالم كله ، بما في ذلك دوله الكبرى ، وبعضها يضاهيها قوة سلاح واقتصاد ، ناهيك عما يمكن أن يتجمع من تكتلات في وجهها ، ونضالات شعبية ، إن ذلك التحكم ليس بالامر المتاح ولا الممكن . وإذا اضيف إلى ذلك اسلوبها في ادارة السياسة والصراعات ، ابتداء من استخدام سياسة القوة والمقاطعة الاقتصادية ، ومروراً بغطرسة القوة والعنجهية ، وانتهاءً بالدور الصهيوني في مراكز القرار فيها ، فإن الصورة التي رسمت للنظام الدولي الجديد ، تتكشف عن سطحية في تناول الوضع الحالي واتجاهاته . ولهذا عوقبت تلك الصورة الآن بما تستحق من عقاب ، حتى لم يعد هناك من يرددها اليوم .

ولم يكن مصير الصورة التي رسمت للوضع العربي الرسمي والشعبي بمختلف ،

أو مصير الصورة التي رسمت لمسيرة التسوية والشرق اوسطية كذلك .

على أن اللافت للانتباه هنا ، أن كثيرين ممن روجوا لتلك الصورة للوضع العالمي أو للوضع العربي ، سرعان ما تناسوا كل ما قالوه عن النظام العالمي الجديد ، خصوصاً من الناحية السياسية ، وإن ظلوا يرددون مقولة اميركا الدولة الاكبر ، أو الدولة الكبرى الوحيدة ، بمعنى أنها القادرة على فرض ارادتها ، دون الاشارة إلى النظام العالمي الذي ستحكمه الشرعية الدولية تحت قيادتها ، وذلك بعدما بدأت الدول الكبرى الاخرى تتحرك وتحاول انتزاع امكنة لها ، وبعد أن بدا العالم على ابواب فوضى ، بكل ما تحمل الكلمة من معنى . ويكفي أن تكون اميركا غير قادرة على أن تضبط عميلتيها ارتيريا واثيوبيا بالأقتتلا ، أو تمنع زمبابوي وزامبيا من التدخل العسكري في الكونغو حتى ترى قرون الفوضى العالمية . ويكفي أن

تقرر أن تتولى وحدها معالجة موضوع الارهاب بعدوانية على سيادة دول مستقلة ، حتى تجعل آفاقه اوسع ، ومواقعه اقوى .

بيد أن الذين احسوا ، دون أن يعترفوا بتهافت تقديراتهم تلك للوضع الدولي أو الوضع العربي ، راحوا منذ ثلاث سنوات تقريباً ، يطلقون التقديرات بالمنهجية نفسها حول حتمية العولمة ، باعتبارها النظام العالمي الذي سيفرض نفسه لا محالة . إنها القطار المندفع نحو هدفه بلا هوادة . وبدأ الحديث عن ثورات التكنولوجيا والاتصالات ، وتشكل الشركات العملاقة عابرة الحدود ، وبرزت اصوات تطالب بتغيير مناهج التعليم ، ليجد الشباب مكاناً لهم في الشركات متعددة الجنسية عابرة القارات .

ويبدو أنه كلما قُدر موضوع في اميركا ، أصبح في المنطقة العربية حتمية تاريخية يجب التكيف معها. وهذا ما حدث عندما وضع الرئيس

الاميركي بوش مشروعه النظام العالمي الجديد ، أو اطلق بيكر مؤتمر مدريد ومفاوضات واشنطن ، أو حين أطلق كلينتون دعوات التطبيع والمؤتمرات الاقتصادية العالمية بعد اتفاقي اوسلو ووادي عربة ، وهذا ما حدث أيضاً عندما اطلقت اميركا دعوتها للعولمة في مفاوضات الغات ، وما تفعله الآن في منطقة التجارة العالمية أو غيرها من المنظمات وفي مختلف المؤتمرات . يذهل المرء لو احصى الذين تحدثوا عن العولمة واعتبروها حتمية ، ودعوا الدول الاسلامية والعربية للتكيف وإياها ، ويعجب أن يكون اغلبهم ممن قالوا بحتمية النظام العالمي الجديد كما دعا له بوش ، وممن بشروا بنجاح الشرق اوسطية ومسيرة التسوية ، ودعوا إلى التكيف والقبول بالشروط المطروحة ، وبأي ثمن .

أن ينحاز المرء لهذا الاتجاه السياسي أو الفكري أو ذاك ، هو

مستوى يُناقش بالثوابت والمبادئ المقابلة لما عنده . أما أن يخطئ في تقدير الموقف مرة بعد أخرى ، باستخدام منهج واحد فأمر يثير الدهشة من اتصاف العقل بالنسيان أو التناسي ، وقدرته أن يظهر في كل مرة أنه صاحب النظرة الثاقبة للأوضاع والقارئة للمستقبل .

يبدو أن تطورات الاحداث الآن - فيما يتعلق بالعلومة - جاءت بسرعة اكبر من الاحداث التي اطاحت بموضوع النظام العالمي الجديد ، والشرق اوسطية والتسوية وغير ذلك .

فالعلومة الآن تترنح من الضربات والهزات . وهذه لم تأت من الذين رفضوها وقاوموها ، وإنما ممن انخرطوا فيها وحاولوا التكيف وإياها .

كانت بداية الازمات تلك التي اطاحت باقتصاديات النمر الآسيوية ، ثم انتقلت الازمة إلى اليابان . وهي الآن تعصف بروسيا وعدد من دول اميركا اللاتينية ،

وراحت تطرق ابواب واشنطن وسائر العواصم الاوربية . وإذا بالعلومة ضمن محدداتها الاميركية ، كما تبنتها ادارة كلينتون ومسؤولو الخزانة الاميركية وصندوق النقد الدولي والبنك الدولي ، تتحمل مسؤولية تلك الازمات . وقد حاول البعض تجنبها هذه المسؤولية عند تحديد اسباب ازمة النمر الآسيوية ، من خلال القاء المسؤولية على الفساد الداخلي ، وهو الذي كان دائماً موجوداً .

لكنها عندما اندلعت في روسيا ، ثم في هونغ كونغ ، واميركا اللاتينية ، لم يعد من الممكن القاء المسؤولية على الفساد الداخلي . علماً أن الفساد كان مصاحباً للرأسمالية منذ نشأتها ، ولدول العالم الثالث منذ الاستقلال ، وحتى داخل الدول التي تجنبت الطريق الرأسمالي .

وإذا أصبح الفساد اليوم في كثير من البلدان النامية ، أو في روسيا ، ظاهرة صارخة إلى حد

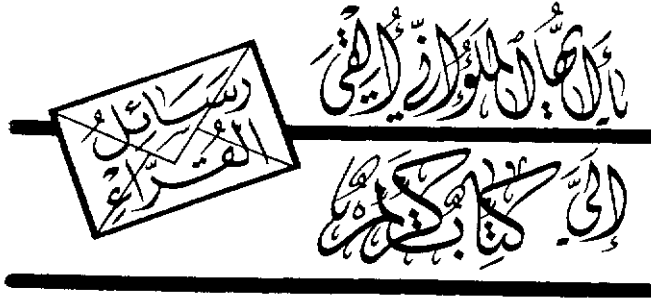
غير معقول ، فقد حدث هذا التطور في ظل انتشار العولمة ونظريات اقتصاد السوق الحرة . الامر الذي يجعل كل حديث عن الفساد اليوم مرتبطاً بالضرورة ارتباطاً عضوياً بموجة العولمة والسوق الحرة .

وللمزيد من معرفة معالم العولمة الجديدة ، ندعو القراء إلى مراجعة كلمات التحرير لمجلة رسالة الثقلين ، المنشورة في الاعداد ٢٤ و ٢٥ و ٢٦ بقلم السيد رئيس التحرير ؛ للوقوف على حقيقة العولمة التي هي في حقيقتها ثوب جديد لجولة استكبارية ، لسيطرة الرأسمالية الاميركية على العالم سياسياً واقتصادياً وثقافياً .

إن ما يحدث الآن من هزات في البلدان التي خضعت لنظريات حرية السوق ، بلا ضوابط ونظريات التكيف مع العولمة التي تطالب بفتح اسواق الدول الاخرى ، للاستثمارات ومضاربات العملة والتجارة الآتية من الخارج بلا

ضوابط ، يؤكد أن ما يسمى بالخيار الواحد الاوحد امام شعوب العالم وحتميته ، أي القبول بشروط العولمة ، لن يقوى على مواجهة الواقع والوقائع ابداً ، وإنما سيشهد العالم فوضى اقتصادية موازية للفوضى السياسية ، وسيشهد اكثر من خيار ، غير الرأسمالية الانكلوسكسونية داخلياً . وهذا التعدد سيشمل غالبية شعوب العالم ، ولن يقتصر على المجال الثقافي فحسب ، بل سيكون له فعله ايضاً في تعدد الانظمة السياسية والاقتصادية . ولا مفر امام النظام الاقتصادي العالمي الراهن ، الذي يواجه هجوم العولمة وازمتها في آن واحد ، ويواجه الوائناً من المطالبات الدولية العالمية بنظام اقتصادي عالمي اكثر توازناً وعدالة ؛ من أن يدخل التعديلات الضرورية ، ويفرض على العولمة أن تتكيف بدورها مع الآخرين ، وإلا فالفوضى الشاملة والازمة الاقتصادية الشاملة .





مع قراء الثقيلين

باب ننتفتح منه على عوالم قراء مجلة «رسالة الثقيلين» بكل ما تزخر به هذه العوالم من آراء ، فنكون معهم في أجوائهم التي يعيشونها مع مجلتهم فكراً وثقافة ومعرفة. وفيما يلي مقاطع منتخبة من بعض رسائلهم الكريمة : «التحرير»

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

#### ● «رسالة الثقيلين»

فريدة في نوعها

وحيدة في محتواها



اقدم شكري وتقديري  
إلى حضراتكم لما تقومون  
به من خدمات جليلة للامة  
الاسلامية .

إنني القيت نظرة إلى مجلتكم  
رسالة الثقيلين فوجدتها فريدة في  
نوعها ، وحيدة في محتواها ،  
خصوصاً اهتمام بحوثها بالعترة

الطيبة لآل الرسول ﷺ .

إن بحوث المجلة القيمة تزيل  
الشبهات والاشكالات التي وقعت  
فيها أنا وكثير من اخواني  
المسلمين ، حول العترة الطاهرة  
من آل الرسول ﷺ هنا في غرب  
افريقيا بشكل عام ، والسنغال  
بشكل خاص .

خادمي مباي  
السنغال

## ● بهرني رقي اعلامكم الاسلامي

### الهاتف

هذه رسالة مختصرة مفعمة بالحب لمجلة رسالة الثقلين ، إذ حصلت على العدد الاخير من أحد الاخوة في مدينة مالمو .

وقد بهرني هذا الرقي في مجال الاعلام الاسلامي الهادف ، ومن هذا الباب ارسل لكم ديواني الأول الذي طبعته في السويد ، وهو مجموعة من القصائد التي كتبتها بعد احتضان المنفى لثوار انتفاضة شعبان سنة ١٩٩١ م في العراق ، سكبت فيه ما أحسه واعانيه من فصول المحنة المتراكمة التي طيخها اعداء الاسلام لقهر ارادة ابناء الشعب العراقي المظلوم .

نسأله تعالى الصبر على ما حلّ بنا من مأس ومحن ، وما علينا إلا الرضا بالمشيئة الالهية . والحمد لله رب العالمين .

اخوكم

اكرم محمد  
السويد

\*\*\*

## ● نحن عطشنى لعلوم

### آل محمد ﷺ

نحن عطشنى لعلوم آل محمد ﷺ ، وظروفنا المادية - كما تعلمون - صعبة جداً ، لاسيما ونحن طلاب ، ونفتقد إلى الكثير من الكتب الاسلامية والفكرية التي تنشرها مدرسة اهل البيت ﷺ ، وذلك لعدم توفرها بكثرة في اليمن ، وإن وجدت فهي نادرة وغالية الثمن . وقد سبق أن وضحنا لكم ذلك في رسالة سابقة ، ولم يصلني منكم إلا مجلة رسالة الثقلين ، وقد استلمتها ببالغ الشغف والسرور لاهميتها عندي ، واستفدت منها كثيراً ، لاسيما ونحن بحاجة شديدة لأن نتسلح بسلاح الايمان والمبادئ والقيم التي تحويها مدرسة اهل البيت ﷺ .

اخوة الايمان ، انشدكم الله ورسوله والائمة ﷺ أن تعينونا بإحسانكم ، ولاسيما وقد

ونبعث إليكم سلامنا الجهادي  
مقروناً بالدعاء لكم بالتوفيق  
والتسديد والنصر في خندق الفكر  
والثقافة . وبعد ، فقد وصلني  
جوابكم لرسالتي التي بعثتها لكم  
سابقاً ، ولا أريد أن اصف  
مشاعري حال وصولها ، فلربما  
لا تمدني حصيلتي الثقافية  
بمفردات تناسب تلك المشاعر  
والآحاسيس، ولكن أريد أن اقدم  
شكري وامتناني الذي لا يقدر  
بمقدار ولا يكال بكيل ، على  
سعيكم الذي يعبر عن اهتمامكم  
الكبير بنشر رسالة  
الاسلام المحمدي الاصيل ،  
الذي اصبح نهجاً وطريقاً  
لكل الاحرار والمجاهدين  
الحقيقيين في العالم .

ارجو من احسانكم أن تمدوني  
بما ينفعني للدار الآخرة من زاد  
لا نفاذ له ؛ ألا وهو الكتب  
والاصدارات القيمة لكي اتسلح بها  
لردع اعداء الاسلام عامة واعداء  
اهل البيت خاصة .

اسأل الباري أن يرعاكم

اخذتم على عاتقكم الاهتمام  
بشؤون الاسلام والمسلمين في  
كل مكان .

خالد هاشم صلاح الدين  
اليمن

\*\*\*

### ● مجلة «رسالة الثقلين»

#### غنية بالفكر الاسلامي

استلمنا مجلتنا الغالية رسالة  
الثقلين ، تلك المجلة الغنية بالفكر  
الاسلامي الانساني . وقد استفدنا  
منها فوائد عظيمة ، وخاصة من  
موضوع منعطفات مهمة في  
التاريخ الاسلامي .

نسأل الله للمجلة وللمشرفين  
عليها البقاء والنجاح ، ونرغب أن  
نصب نتاجنا الفكري العلمي في  
رسالة الثقلين مشاركة في تحقيق  
وحدة العالم الاسلامي .

علي عمران غيت

امين جماعة الصحوة الاسلامية

غامبيا

\*\*\*

### ● نهج «رسالة الثقلين»

#### نهج الاحرار

نحييكم تحية الايمان والاسلام،

الجبار الذي تبذلونه في مجلتكم القيمة رسالة الثقلين ، لتكريس محبة اهل البيت عليه السلام في قلوب المسلمين . لقد أغنتني هذه المجلة التي لم أر لها مثيلاً ، حيث اوضحت لي بعض الامور التي كنت اجهلها عن عقيدة اهل البيت عليه السلام .

أرجو الاستمرار في ارسال اعداد المجلة ، وكذلك الكتب المفيدة والصادرة من مجمع اهل البيت عليه السلام ، داعياً لكم بالتوفيق والسداد .

يوسف سيلا  
ساحل العاج

\*\*\*

### ● توعيتكم الاسلامية

#### توعية صادقة

تحية طيبة لكم وانتم تقومون بتوعية الانسان توعية صادقة ، من خلال نشر الثقافة الاسلامية المنقذة للبشرية .

أيها الاخوة ، نحن نعجز بانتصار الاسلام في مختلف مجالات الدعوة والحركة ، وندعو الله أن يديم هذا النصر ، وأن

ويحفظكم وأن يمن عليكم بجزيل الاجر والثواب وأن يجعلنا واياكم من جند الامام المنتظر عليه السلام .

وفقكم الله لكل خير

اخوكم

ابو جهاد الاسدي  
ايران - دزفول

\*\*\*

### ● اريد اللحاق بمسيرتكم

#### الفكرية

يطيب لي ويسرني أن أبعث إليكم برسالتني هذه ، شاكراً دوركم الرائد في نشر فكر اهل البيت عليه السلام ، راجياً منكم إطلاعي على ما تنشرونه وتصدرونه ، لكي يتسنى لي اللحاق بمسيرتكم الفكرية .

واخيراً دعائي لكم بالصحة والتوفيق .

كاظم المؤمن  
اميركا

\*\*\*

### ● مجلة «رسالة الثقلين»

#### لم أر لها مثيلاً

إنني طالب ادرس في مدرسة النجاح والفلاح ، أبعث إليكم هذه الرسالة الوجيزة لا قدر مجهودكم

بين طياتها دعوات الخير والتوفيق  
لخدمة الاسلام واهل البيت عليهم السلام ،  
وأن يوفقكم المولى عزوجل لهذه  
الخدمة ويسدد على طريق الخير  
خطاكم .

لقد وصلتنى مجلة رسالة  
الثقلين ، وأرجو اهتمامكم بإيصال  
الاعداد اللاحقة إلينا بعونه تعالى .  
والسلام عليكم ورحمة الله  
وبركاته .

السيد نجم عبد عباس حساني المكوطر  
استراليا

يوفقكم في الاستمرار بإرسال  
مجلتكم مجلة رسالة الثقلين إلينا ،  
وكذلك نطلب أن تتفضلوا علينا  
بإرسال الكتب التي تخص النساء  
والاطفال ، كما نود أن نعلمكم بأن  
مدرسة الانصار الاسلامية بحاجة  
إلى اصداراتكم القيمة .

عبد الرؤوف اسحاق

مدرسة الانصار الاسلامية - غانا

● نرجو اهتمامكم بإيصال

الاعداد اللاحقة إلينا

أبعث إليكم رسالتي هذه حاملة

\*\*\*

قَالَ الْأَمَامُ عَلِيُّ (ع) :

إِذَا كَتَبْتَ كِتَابًا فَأَعِدِ النَّظَرَ قَبْلَ خَتْمِهِ  
فَإِنَّمَا تَخْتِمُهُ عَلَى عَقْلِكَ  
(عُدُّوا عَمَلَكُمْ)

### المجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام على خط البريد الإلكتروني

افتتحت المعاونة العلمية - الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت عليه السلام خطاً للبريد الإلكتروني ، من أجل ارتباط أسرع مع العالم الإسلامي للتعرف على قضاياهم ومشاكلهم ونشاطاتهم ، وذلك على العنوان التالي :

E - Mail : Ahlebeyt @ WWW.DCI.CO.IR

وسنقوم بالاجابة في اسرع وقت على أية اسئلة أو شبهات تردنا عن طريق هذا البريد .

### مؤسسة الفكر الاسلامي على شبكة الانترنت العالمية

من اجل استخدام أحدث الاساليب والطرق المعلوماتية للتعريف باصدارات المؤسسة ونشاطاتها قامت مؤسسة الفكر الاسلامي مؤخراً بعرض مطبوعاتها وكتبها عن طريق شبكة الانترنت العالمية وعلى العنوان التالي :

[http : www.iran - itf. com](http://www.iran-itf.com)

■ الخدمات التي تقدمها المؤسسة على الانترنت ، كالتالي :

١ - عرض ٣٥ عنوان كتاب باللغات : الفارسية ، العربية ، الانجليزية ، الهوسائية ، السواحلية ، الفرنسية ، الاسبانية ، الاردية ، اليابانية والالمانية .

٢ - عرض مجموعة من المجلات ضمن اربع مجاميع ، هي :

أ - نسوية (محجوبة ، الطاهرة ، الكوثر) .

ب - اطفال (زمر ، الهدى) .

ج - عامة (Le message ، Echo of Islam ، الوحدة) .

د - تخصصية (رسالة الثقلين العربية ، رسالة الثقلين الانجليزية ، رسالة الثقلين الاسبانية ، التوحيد الانجليزية ، التوحيد ورسالة التقريب العربيين) .

مما يذكر يمكن مشاهدة فهرس المواضيع المدرجة في مجلات اشهر حزيران حتى آب وكشفاف المواضيع المنشورة مع الفهارس من ايلول (سبتمبر) حتى حزيران السنة القادمة كما يمكن تمديد تقديم هذه الخدمات على مدى السنوات القادمة .

■ الراغبين في تقديم اقتراحاتهم من اجل تطوير البرمجة ، يمكن الاتصال بالمؤسسة عن طريق البريد الإلكتروني ، وحسب التالي :

للاتصال بالشؤون الدولية Email: i.t.f @ www.iran - itf. com

للاتصال بالمدير العام Email: manager @ www.iran - itf. com

للاتصال بالعلاقات العامة Email: public relation @ www.iran - itf. com

للاتصال بمكتب الدراسات والابحاث Email: research @ www.iran - itf. com

للاتصال برؤساء التحرير Email: editor - in - chief @ www.iran - itf. com

■ تجدر الإشارة إلى ضرورة ذكر الموارد التالية :

١ - مؤسسة الفكر الاسلامي لها مكانها الخاص على الانترنت .

٢ - لا تفرض المؤسسة أية حدود على سرية اتصال المستفيدين من الشبكة بالمحطة .

٣ - يمكن للمستفيدين الاعزاء الدخول إلى نظام البرمجة الخاص بالمؤسسة على الانترنت دون الحاجة إلى تسجيل اسماءهم أو حصول الشروط الاخرى .

**رسالة الشكّلين  
مجلة إسلاميّة باصة**

**قسمة  
الاشتراك**

الاسم .....  
العنوان .....  
.....  
.....  
المدينة .....  
البلد .....  
المهنة .....  
مدة الاشتراك .....  
ابتداء من .....  
.....  
عدد النسخ .....  
.....

بلد .....  
الارسال .....  
الاشتراك .....  
السوي / لمدة ٦ اشهر

الجمهورية اسلامية  
في ايران (بالريال) ٨٠٠٠ ٤٠٠٠  
باقي دول العالم باندولار  
الأميركي ٣٠ ١٥  
(أو ما يعادلّه)

يرافق التشراكي: ☐ صك ☐ صك بريدي ☐ حوالة بريدية  
أرسل هذه القسمة مع قيمة الاشتراك باسم «رسالة الثقّلين» الى العنوان التالي :  
\* الجمهورية الاسلامية في ايران - طهران . ص. ب . ٣٨٩٩ - ١٤١٥٥

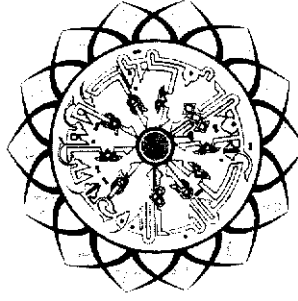
**الاشتراكات**

- في داخل الجمهورية الاسلامية تسدد قيمة الاشتراك السنوي (٨٠٠٠ ريال) بحوالة مصرفية على العنوان التالي :
- الجمهورية الاسلامية في ايران - طهران - بانك تجارت - شعبه سازمان آب - رقم الحساب الجاري ٣١٧ - ٢٥٦٣١ (بالريال) مجلة رسالة الثقّلين
- قيمة الاشتراك السنوي في الخارج (٣٠ دولارا أميركياً أو مايعادلها) تسدد بحوالة مصرفية على العنوان التالي :

1 - Bank Saderat, Hamburg 6232-32 - 3016  
2 - Bank Mellat, Iran 11C/AC/120025 - 11C/A/120207

**ثمن النسخة :**

- الجمهورية الاسلامية الايرانية ٢٠٠٠ ريال ■ العراق ١٠٠ دينار ■ لبنان ٢٥٠٠ ليرة ■ سوريا ٥٠ ليرة
- الاردن دينار واحد ■ الكويت دينار واحد ■ البحرين دينار واحد ■ الامارات ١٥ درهما ■ قطر ١٥ ريالا
- عمان ريال واحد ■ السعودية ٢٥ ريالا ■ اليمن ٣٥ ريالا ■ مصر ٢٥ قرشا ■ ليبيا ١٠٠٠ درهم
- السودان ١٠٠ جنيه ■ تونس دينار واحد ■ المغرب ١٥ درهما ■ الجزائر ١٢ دينار.
- وفي باقي دول آسيا وإفريقيا وأميركا واستراليا وأوروبا ٧ دولارات أميركية أو مايعادلها.



AHL UL BAIT  
WORLD ASSEMBLY

# ***RISALATUTH - THAQALAYN***

**A General Islamic Periodical**

Vol. 8, No. 29, May - Jul. 1999

الغلاف من الداخل

الصفحة الاولى: لوحة فنية تتضمن قول الرسول الكريم ﷺ: «لو اجتمع الناس على حب» بخط الاجازة «علي بن ابي طالب» بخط الجلي ديواني «لما خلق الله النار» بخط الاجازة.

الصفحة الثانية: لوحة فنية تتضمن الآية القرآنية الشريفة: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ بخط الاجازة ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ بخط حرّ فني.